BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
PHILADELPHIA UNIVERSITY
جامعة البترا
منتدى الفكر العربي
Arab Thought Forum
الانتماء والإنماء

سلسلة الحوارات العربيّة
٢٠١١/١

الشّباب وظاهرة العنف

منتدى الفكر العربي
عمّان - الأردنّ
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الشـّبـاب وظـاهــرة العنــف

سلسلة الحوارات العربيّة

«الشّباب وظاهرة العنف»

الإشراف العام
د. الصادق الفقيه

التحرير
محمد سلاَّم جميعان

المراجعة
كايد هاشم

الإخراج الفنّيّ
ميساء «محمد هاشم» خلف

أمانة سرّ المؤتمر الشبابيّ
هنيدا القرالة

تفريغ النصوص
هاجر بلحوض

لوحة الغلاف
للفنان يوسف الصرايرة

سلسلة الحوارات العربية (٢٠١١/١)

المشروع الحضاريّ العربيّ ٣

الشّباب وظاهرة العنف

أعدَّ هذا الكتاب استنادًا إلى
وقائع المؤتمر الشَّبابي الرّابع الّذي عقده المنتدى
في الإسكندريّة في الفترة من ١٣-١٥/١٢/٢٠١٠

منتدى الفكر العربي
عمّان - الأردنّ
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الطّبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

المملكة الأردنيّة الهاشميّة
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنيّة
(٢٠١٢/١١/٤١١١)

٣٦٢,٧
الشباب وظاهرة العنف (٤: ٢٠١٠: الاسكندرية)
الشباب وظاهرة العنف/منتدى الفكر العربي.- عمّان: المنتدى، ٢٠١٢
( ) ص.
ر.إ.: ٢٠١٢/١١/٤١١١
الواصفات: /المشاكل الاجتماعية/الشباب/العنف/

* يتحمل المؤلف كـامل المسـؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ISBN) 978-9957-417-39-0 (ردمك)

حقوق الطّبع والنّشر محفوظة للمنتدى

منتدى الفكر العربي

ص.ب: ١٥٤١ عمان ١١٩٤١ الأردنّ
تلفون: ٥٣٣٣٢٦١ - ٥٣٣٣٦١٧ - ٥٣٣٣٧١٥(٦-٩٦٢+)
ناسوخ (فاكس): ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)
E-mail: *atf@atf.org.jo*
URL: *www.atf.org.jo*

تـوزيـع

دار وَرْد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع

ص.ب: ٩٢٧٦٥١ عمان ١١١٩٠ الأردنّ
تلفون: ٥٦٠٦٢٦٣ (٦-٩٦٢+)
ناسوخ (فاكس): ٥٦٠٦٣٦٢ (٦-٩٦٢+)
E-mail: *wardbooksjo@yahoo.com*
URL: *www.darwardjo.com*

المحتـــويـــــات

• مقدّمة ٧

• كلمات الافتتاح ٩

- كلمة مدير مكتبة الإسكندرية
السفيرة هاجر الإسلامبولي ١١

- كلمة أمين عام منتدى الفكر العربيّ
أ.د. هُمام غَصيب ١٤

- كلمة المشاركين
الشريفة نور بنت علي ١٩

• الورقة الرئيسية ٢٣
د. علي الدّين هلال

• الأوراق المرجعيّـة للمناقشـات ٣٣

- تقديم
أ.د. إسماعيل سراج الدّين ٣٥

- العنف ومظاهره المختلفة في الشّارع والبيت والمدرسة والجامعة ٣٩
د. قدري حفني

- العنف وعَلاقته بالاضطرابات النَّفسيّة، والجنسيَّة، والإدمان ٥٥
د. ماجد موريس إبراهيم

- المُخدِّرات والمُسكرات والعنف ٦٣
د. ماجد موريسَ إبراهيم

- الاضطرابات الجنسيَّة والعنف ٧٣
د. ماجد موريس ابراهيم

- ثقافة الخوف ٨١
د. قدري حفني

- الهُويّة وثقافة العنف لدى الشَّباب (تصوّر مفاهيميّ) ٩٣
د. عمّار علي حسن

- التَّشبيك والتَّواصل والتَّوعية الإعلاميَّة في إطار ظاهرة العنف عند الشَّباب ١٠٩
دة. نائلة إبراهيم عمارة

• حوار سموّ الأمير الحسن بن طلال مع الشباب والمشاركين ١٢٣

• خلاصة لمناقشات ورشات العمل ١٥٩

- خلاصة جلسة عَرْض تجارب شبابيّة ١٧٠
رئيس الجلسة: د. مأمون نور الدّين

- خلاصة المائدة المستديرة ١٧٥
رئيس الجلسة: أ. نصوح المجالي

• الملاحق ١٩١

- ملحق (١): مقالات حول مؤتمر «الشباب وظاهرة العنف» ١٩٣

أ- مؤتمر الشَّباب والعنف: الأسرة أوَّل المحرِّضين ١٩٣
أة. منى علام

ب- الشباب وظاهرة العنف: المستقبل العربي مطروحًا في مؤتمر ١٩٩
أة. مها عبد الفتاح

ج- الشباب وظاهرة العنف .. في حوارات منتدى الفكر العربي ٢٠٢
أ. نصوح المجالي

د- الشباب العربي أمل الأمة ومستقبلها ٢٠٥
أ. أشرف الشنيكات

- ملحق (٢): برنامج مؤتمر «الشباب وظاهرة العنف» ٢٠٧

- ملحق (٣): قائمة المشاركين ٢١٠

- ملحق (٤): من ألبوم المؤتمر (صور) ٢١٧

- ملحق (٥): مطبوعات المنتدى ٢٢٠

تقديم

يتضمن هذا الكتاب البحوث والدراسات وأوراق العمل، وثمرات الحلقات الحوارية، التي قُدِّمت في **المؤتمر الشَّبابي الرَّابع**، الذي عقده منتدى الفكر العربي، بالتعاون مع مكتبة الإسكندرية، في الفترة من ١٣-٢٠١٠/١٢/١٥ . وقد جاء هذا المؤتمر في سياق مؤتمرات وندوات ومحاضرات، يعقدها منتدى الفكر العربي، بغية الإسهام في تكوين الفكر العربي المعاصر، بكل ما يتصل بقضايا الوطن العربي، عبر تعزيز الحوار، وتنشيط التعاون، بما يخدم التنمية في سياقاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وقد سبق لمنتدى الفكر العربيّ عقد ثلاثة مؤتمرات شبابيَّة في السَّنوات الست الماضية؛ وهي: مؤتمر «**الشَّباب العربيّ وتحدِّيات المستقبل**»، ومؤتمر «**الشَّباب العربي في المهجر**»، ومؤتمر «**نحو تطوير مؤسَّسات العمل الشبابي العربي**».

وجاء هذا المؤتمر الذي تناول موضوع: «**الشباب وظاهرة العنف**»، في مرحلة تاريخية لها خصوصيتها، عانت فيها المجتمعات العربية والعالمية من استشراء العنف الفكري والعنف المسلح، بكل ما تحمله هذه الظاهرة من التباسات في الرؤى والمفاهيم، ومن جرأة على القيم الإنسانية والكونية الجامعة. ولهذا جاءت البحوث والحوارات، التي تضمنها هذا الكتاب، معبِّرةً عما يعتمل في نفوس مفكري هذه الأمة، وشبابها، من هواجس ومَهمَّات، في ضرورة تمثُّل الوعي الإنساني الرشيد، واستعادة ذاتنا الجمعيَّة، وبناء تصوُّرات ابتكارية وفق مبدأ الحوار والعقلانية، واحترام تعدُّد الآراء والاجتهادات، فجاءت المفردات الثقافية والمعرفية في هذا الكتاب، حصيلة تفاعل نواظم مضمونية وخبرات متعددة تم استصحابها ، تناولت ظاهرة العنف والشباب، في خصائصها، وبواعثها، وغاياتها، ونتائجها، وطبيعة وعي الشباب على هذه الظاهرة، واستثمار وعيهم وطاقاتهم لإحداث نقلة نوعية،

وتمكينهم من الآليات المستندة إلى التفكير التحليلي النقدي. فالشباب طاقة خلاقة، وهم فئة يمكن التعويل عليها في الوقوف على رهانات الحاضر ومتطلبات المستقبل.

وقد كان لمشاركة سموُّ الأمير **الحسن بن طلال**؛ رئيس منتدى الفكر العربيِّ، بالإضافة إلى مشاركة عدد من النخب الثقافية والفكرية، الأثر البالغ في فتح منافذ أضاءت جوانب هذه الظاهرة، وأبعادها، وتحقيق التكامل في الرؤى والتفاعل وتبادل الخبرات، وتطوير آليات مواجهة ظاهرة العنف، وتبصير الشباب بأدوارهم .

وإذا جاءت الأوراق الرئيسية في هذا المؤتمر، معبِّرة عن فلسفة منتدى الفكر العربي، وتوجهاته، فإنها كذلك أتاحت للمشاركين من الشباب قدراً وافياً من الحرية الفكرية لسبر العلاقة بين الشباب والعنف، وموقهم منه، وأدوارهم في التقليل منه، بمواجهة شروط إنتاجه، وتداعياته ومآلاتها، في حلقة متصلة قوامها الحوار الفكري، والانفتاح المعرفي، والإخصاب الثقافي.

إنَّ إدراك شروط انعقاد هذا المؤتمر لمدارسة هذه الظاهرة، يجعلنا نلمس عن قرب درجة الأزمة التي تعانيها المجتمعات كافة، من ظاهرة العنف، وانعكاساتها الدينية والنفسية والسلوكية، والقيميَّة، على فئة الشباب. وهو ما حدا بنا إلى وضع ثمراته في هذا الكتاب، سعياً من منتدى الفكر العربي إلى نقل الأفكار من إطار النظر إلى حيز العمل، لتحقيق التنمية الفاعلة في الأفراد والمجتمعات، وتوطين الأفكار الخلاّقة الباعثة على النهوض والتقدُّم، في أجواء من احترام التعددية والاختلاف.

المحرر: **محمد سلاّم جميعان**

كلمـــات الافتتـــاح

كلمة مدير مكتبة الإسكندرية

السفيرة هاجر الإسلامبولي*

أرحّب بكم في مكتبة الإسكندريَّة، التي ينعقد في رحابها المؤتمر الشبابيّ الرَّابع، برعاية كريمة من سموِّ الأمير **الحسن بن طلال**.

يأتي انعقاد هذا المؤتمر ثمرة من ثمار التَّعاون بين مكتبة الإسكندرية ومنتدى الفكر العربي، الَّذي أسَّسه سموُّ الأمير الحسن، وقد استطاع أن يضيف به إلى السِّجل العربيِّ مؤسَّسةً ثقافيَّة ترقى إلى المستويات العالميَّة، على مدى سنوات عمر المنتدى. ومكتبة الإسكندرية كذلك، أُنشئت منذ ثماني سنوات، وهي من خلال مراكزها ومكتبتها، تعنى عناية رئيسيَّة بموضوع الشَّباب.

ومؤتمر اليوم، وهو المؤتمر الشَّبابي الرَّابع، يُخصَّص للشَّباب وظاهرة العنف، وهي إحدى المشكلات الَّتي تواجه منطقتنا العربية.

«يزداد الاعتراف حاليًا في العالم بأهمِّيَّة الشَّباب في تشكيل مستقبل الدُّول، إضافة إلى ضرورة توفير مناخ مناسب، وإعطاء فرصة للشَّباب للمشاركة في مختلف الجوانب السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافية في تطوير مجتمعاتهم، لأنَّ الشَّباب يمتازون بخاصِّتين: مساهمة الشّباب تُعدُّ المحرِّك الأوَّل للتَّطوير والتَّغيير. وقدرتهم الفائقة على التَّكيُّف الجديد، وعلى مواكبة الطَّفرات التِّكنولوجيَّة الجديدة، التي تحدث على مستوى العالم كله.

* رئيسة قطاع العَلاقات الخارجية في مكتبة الإسكندرية. وقد ألقت هذه الكلمة بالنيابة عن الأستاذ الدكتور إسماعيل سراج الدين، مدير المكتبة.

بزيارتكم القصيرة إلى مكتبة الإسكندرية، التي أرجو أن تحظوا بها جميعًا، سوف تظهر لكم أهمِّيَّة ما نتحدَّث عنه، في ما يتعلَّق بالطَّفرات التِّكنولوجية الجديدة لتطوير المجتمعات العربية، ودورها في المزيد من الإنتاج والإبداع، الَّذي يمثِّل ظاهرة لشبابنا العربي على امتداد العالم العربيّ. ومن هنا جاء الاهتمام بالشَّباب، سواء في مكتبة الإسكندرية أو في منتدى الفكر العربيّ. فسموّ الأمير الحسن يتمتَّع بعضوية مجلس الأمناء الدّولي في مكتبة الإسكندرية، وقد حاضَر كثيرًا في هذه المكتبة، وعملنا على تنظيم مجموعة من اللقاءات الفكريَّة والثَّقافيَّة مع سموِّ الأمير ومنتدى الفكر العربيِّ.

وهذا هو المؤتمر الرَّابع الَّذي يعقده منتدى الفكر العربيّ؛ إذ عقد المنتدى ثلاثة مؤتمرات شبابيَّة خلال السَّنوات الخمس الماضية، وهي: **مؤتمر الشَّباب العربيِّ وتحدِّيات المستقبل، ومؤتمر الشَّباب العربيّ في المهجر، ومؤتمر نحو تطوير مؤسَّسات العمل والشَّبابيّ العربيّ.**

ومكتبة الإسكندرية كان لها باع طويل في تناول قضايا الشَّباب، وضرورة إعدادهم لتولّي المناصب القيادية. واستضفنا كذلك ملتقىً حول الشَّباب والثَّقافة العلميَّة والتَّفكير العلميّ. وهي مسألة نفتقر إليها جميعًا. وعُقدت ندوة أخرى عن الشَّباب والتَّنمية المستدامة والمنهج العلميِّ. وتخصِّص المكتبة جزءًا من برامجها لموضوعات الشَّباب بشكل عامّ. وبعد ذلك عقد مؤتمر لتعزيز المشاركة المجتمعيَّة للشَّباب والمرأة، ومنتدى التَّمكين الاقتصادي للشَّباب العربي، وملتقى الشَّباب والبيئة، ومنتدى الشَّباب العربي والهُويَّة في عصر العولمة. كذلك، دور الشَّباب ووسائل الإعلام في تحقيق السَّلام والأمن والتنمية. ومنذ ثماني سنوات – تقريبًا – استضافت مكتبة الإسكندريَّة قمَّة عمالة الشباب، وسوف تعقد القمَّة العالمية النِّهائيَّة للشَّباب في مكتبة الإسكندريَّة في العام ٢٠١٢، وهذه القمَّة يتوالى انعقاد مؤتمراتها في عدد من عواصم الدول الإفريقيَّة والأوروبيَّة واللّاتينيَّة، ثمَّ ستعود مرَّة أخرى إلى الانعقاد في مكتبة الإسكندريَّة، لوضع اللَّمسات الأخيرة على الخطط والاستراتيجيَّات والتَّوصيات الَّتي اتُّخِذت خلال هذه المؤتمرات.

نحن نسعى دائمًا إلى تكثيف التَّعاون مع منتدى الفكر العربيِّ، ومع أمينه العام الدكتور **هُمام غَصيب***، الَّذي يشرِّفنا بالحضور في هذا اللِّقاء ممثلاً لمنتدى الفكر العربي، وهو الَّذي أعدَّ مع الدكتور محسن يوسف؛ مستشار المكتبة المختص، فكرةَ هذا المؤتمر. وتمَّت بلورة المحاور المختلفة الَّتي سوف يتم تناولها في النقاش الَّذي نتطلَّع أن يكون مثمرًا، إن شاء الله، لأنَّ ظاهرة العنف أصبحت تمثِّل لمجتمعاتنا العربية سِمة ينبغي دراستها والتعامل بطريقة علميَّة. فالشباب يملك طاقات هائلة وقدرات خلَّاقة، إن استطاع استغلالها، عاد بذلك بالنفع على نفسه وعلى أسرته وعلى مجتمعه، بل وعلى البشرية جمعاء. ولكنَّه إذا اصطدم بالحواجز الاجتماعية والضائقات الاقتصادية والعوائق السياسية، فمن الممكن أن يُصاب بالإحباط والغضب، ويوجِّه طاقاته إلى العنف، الَّذي يمتدُّ إلى مجتمعات بأكملها. وهذا ما نواجهه على مستوى العالم. لهذا ندبت مؤسسات المجتمع المدني نفسها للتعاون في مواجهة هذه القضية، ودراستها، وفي مقدِّمتها منتدى الفكر العربي ومكتبة الإسكندرية.

وأعتقد أنَّ النِّقاش الَّذي سيدور في هذا المؤتمر لن يتوقف عند رصد الظَّاهرة وأسبابها وطرق علاجها، وإنَّما سوف يمتد لمناقشات مفتوحة مع الشَّباب أنفسهم، لأنَّنا نود أن نستطلع آراءهم، وننتظر مساهمتهم في كيفيَّة تغيير هذا الواقع، الذي أصبح يهدِّد مجتمعاتنا العربيَّة.

نأمل أن يكون هذا المؤتمر بجلساته المتنوعة، وكوكبة المثقفين الذين سوف يتناقشون ويتحاورون فيه مع الشباب من مختلف الدول العربية، بداية لعلاج جديد لهذه المشكلة؛ علاج يزيل العنف، ويفتح الأبواب للأفكار الخلَّاقة، وللوسائل الجديدة القادرة على تمكين الإبداع وتعميم التَّعدديَّة والانفتاح.

وفَّقكم الله جميعًا لما فيه الخير والمصلحة.

---

* أمين عام المنتدى سابقًا (خلال الفترة ما بين ٢٠٠٩/٨/١ - ٢٠١١/٢/١).

كلمة أمين عام منتدى الفكر العربيّ

أ.د. هُمام غَصيب*

«بسْم اللّـه»

سعادة السّفيرة هاجر الإسلامبولي، مندوبةِ مديرِ مكتبةِ الإسكندريّة،

الأُستاذ الدّكتور إسماعيل سراج الدّين

حضرة الأخ الدّكتور محسن يوسف

ممثّلةَ المشاركين، سيادة الشّريفة الشّابّة نور بنت علي

الشّابّاتُ والشّبابُ الأعزّاء

الحفلُ الكريم

السّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه

أقفُ بيْنَ أيديكم في رِحابِ هذا المكانِ المَهيب بسعادةٍ غامرة وتواضُعٍ جَمّ. ذلك أنّه يَنْطِقُ حِكمةً وأصالةً وفصاحةً. كما يَشِعُّ علمًا وأدبًا وفنًّا ومعرفةً. فتكادُ نَلْمِسُ عبقريّةَ الهندسةِ وتألّقَ الأرقامِ والأفكارِ بيْنَ جَنَبَاته. ها هُنا تاريخٌ وحاضرٌ ومستقبلٌ نَزْهو به. ونحن هنا لَسْنا ببعيدين عن وسْطِ المعمورة. والإسكندريّةُ – مِنْ قبْلُ ومِنْ بَعْدُ – بندقيّةُ (أو فينيسيا) المتوسّط؛ كما أنّ البندقيّةَ إسكندريّةُ الإدرياتيك. أقول: مدينتُكم العريقةُ هي عروسُ المتوسّط ودُرّتُه بلا مُنازِع؛ ذاك البحْرِ العظيم، بحْرِ الثّقافاتِ والحضاراتِ والحوارات، الَّذي تأجّجَ حياةً وألقًا على يد إميل لودفيغ

* أمين عام المنتدى سابقًا (خلال الفترة ما بين ٢٠٠٩/٨/١ – ٢٠١١/٢/١).

في كتابِهِ المشهور عن البحرِ الأبيضِ المتوسّط. فلنهنأ بالعروسِ الجميلةِ ومكتبتِها الزّاهرة! ولتهنأ المدينةُ والمكتبةُ بنا، شبابًا وشِيبًا!

أيُّها الحضورُ الأفاضل

تأتي مناسبتُنا الشّبابيّةُ اليوم في الشّهرِ الرّابع من «**السّنة الدّوليّة للشّباب**». ومَعَ أنّها لمْ تَمَسَّ شَغافَ قلوبِنا وعقولِنا بَعْد، فإنّنا ما زِلْنا نأمُلُ أنْ يُرَكّزَ فيها على الشّبابِ في كلّ مكان وعلى الحدّ من الفقرِ بكلِّ ضُروبِهِ وأشكالِه، وأنْ تُطلَقَ فيها مبادراتٌ اقتصاديّةٌ تُساعدُ الشّبابَ على البقاءِ في وطنِه؛ فلا نزْفَ للأدمغة ولا هجرةَ! وربّما تدبّرْنا فيها مواءمةَ حاجاتِ سوقِ العمل المحلّيّة مَعَ مُخْرَجاتِ التّعليمِ العالي والمِهْنيّ، بتضافُرِ الجهودِ بيْنَ القطاعيْن العامِّ والخاصّ ومؤسّساتِ المجتمعِ المدنيّ.

إنّ مؤتمرَنا هذا هو الرّابعُ في سلسلةِ مؤتمراتِنا الشّبابيّة. فقد عَقَدْنا مؤتمرَنا الأوّل حوْل «**الشّباب العربيّ وتحدّيات المستقبل**» في نيسان/إبريل ٢٠٠٤؛ والثّاني عن «**الشّباب العربيّ في المهجر**» في نيسان/إبريل ٢٠٠٦؛ والثّالثَ بعنوان «**نحو تطوير مؤسّساتِ العمل الشّبابيّ العربيّ**» في تمّوز/يوليو ٢٠٠٨. كلّ هذه المؤتمرات عُقِدَتْ في عمّان؛ وهذه هي المرّةُ الأولى الّتي نخرجُ فيها في مناسبةٍ شبابيّة من دوْلةِ المقرّ؛ مقرِّ المنتدى.

وأهمُّ ما تعلّمْنَاهُ من هذه المؤتمرات أنّ الشّبابَ لا بُدّ من أنْ يُعْطَوا القيادةَ وزِمامَ المبادرة في شؤونِهم. ومَعَ أنّنا مجتمعٌ واحدٌ شبابًا وشِيبًا، وأنّ الشّبابَ ينتقلون بلمحةِ البصر من جيلٍ إلى آخَر من دون أنْ يَشْعُروا ونشعُر، فإنّ للشّبابِ في أيّةِ لحظة ونقطةٍ زمانيّة مكانيّة [أو زمكانيّة كما يقول الفيزيائيّون] لغتَهم الخاصّةَ وحيويّتَهم وأسلوبَهم. ويبقى للشّيب أنْ يَنْقلوا، بتناغُمٍ وتكامُل، تجاربَهم وحكمةَ الأيّام بأسلوبٍ أنيسٍ نِدّيّ يأخذُ ويُعطي.

كذلك خَلُصْنا من تجارِبنا الشّبابيّة إلى أنّ عملَنا في هذا المضمار لا يُجدي نَفْعًا إنْ لمْ يكنْ متواصلاً مِنْ دونِ انقطاع. من هنا، جاء فصلُنا الشّبابيّ في المنتدى الذي نأمُلُ أنْ يُصبحَ مُلتقى للشّباب في الفضاءِ الحقيقيّ والفضاء الإلكترونيّ، على حدّ سواء، للغَوْص بعُمْق ومثابرةٍ وشجاعة في القضايا الشّبابيّة؛ جَنْبًا إلى جَنْب مَعَ الأجيالِ الأكبرِ سنًّا. وأمسى هاجِسُنا تفعيلَ الحوار المَوْصول، والتّواصلَ والتّشبيكَ بيْنَ الشّباب، ومأسسةَ العمل الشّبابيّ؛ كي نراكمَ خِبْراتٍ فوْقَ خِبْرات، وكي لا نجترَّ الأفكارَ أو ندورَ في حَلَقاتٍ مُفْرَغة.

وأكثرُ ما يُلحّ علينا هو ما سمّيْتُهُ وأُسمّيه «الفكرَ العمليّ»، الذي يُركّزُ على المقترَحاتِ العمليّة والمشروعاتِ التّطبيقيّة التي لها وَقْعٌ مباشَرٌ على الشّبابِ والمواطنين. فلا عموميّاتٍ ولا إنشائيّات، ولا كلامَ فوْقَ كلام! هو الفكرُ اللّاخطّيّ (بالتّعبير الفيزيائيّ)، أو «خارج الصّندوق» كما يُقال؛ أي الفكرُ المُبْدع الذي يَخِزُنا، فنهتزُّ حياةً وطرَبًا.

لقد ضِقْنا ذَرْعًا بالإنشائيّةِ والاستعراضِ والتّظاهُرات. فمَعَ أنّ لهذه وتلك بعضَ الفوائد؛ فإنّ ما نَتَمَنّاهُ هو العملُ الدّؤوبُ الذي لا ينقطعُ ولو ثانيةً واحدة؛ فيُفرِّخُ خيْرًا عميمًا، ويُؤتي أُكُلَه هنيئًا مريئًا. ولا ننسى، في غَمْرةِ الأحداث ومَعْمعانِ الحياة، أهمّيّةَ الإنتاجِ ومنطقِ الإنتاج. فهذا يُعلّمُنا الانضباط، وعدمَ الهَدْرِ والإسراف، ووضوحَ الهدف، وثقافةَ الإتقان.

شابّاتِنا وشبابَنا الأعزّاء

الإخوةُ والأخواتُ الأكارم

لعلّكم تُلاحظون معي أنّ مفهومَ «الشّباب العربيّ» يُمثّلُ طيْفًا واسعًا من النّماذج البشريّة الشّبابيّة. ومَعَ ذلك، فالقواسمُ المشترَكةُ تبقى كثيرة، من حيث القضايا والمشكلاتُ والحلولُ الممكنة. ومن بيْن هذه الجوامعِ أو القواسمِ المشترَكة،

تحتلُّ ظاهرةُ العُنْف والسّلوكاتِ الخطرة مكانةً خاصّةً في حياتِنا المعاصرة. ففي ظلّ التّحوُّلاتِ الاجتماعيّةِ والاقتصاديّةِ والسّياسيّةِ والثّقافيّةِ الَّتي تَعصِفُ بنا بلا هَوَادة، أمستْ هذه الظّاهرةُ مثيرةً للقلق وحتّى الرُّعب. فهي تُعيقُ تقَدُّمَنا الاجتماعيّ والحضاريّ، وتقفُ عَقَبَةً كأداء أمامَ إطلاقِ الطّاقاتِ الشّبابيّة؛ فتمنعُ الشّبابَ من أداء دوْرِهم في خدمةِ مجتمعاتِهم، وتُزعزعُ النُّظُمَ القِيميّةَ والأخلاقيّة.

كيف وصلْنا إلى هذا الحال؟ أهو شعورُ الشّباب بالظُّلْم والغُبْنِ والكبْحِ والقَمْع؟ أم هو الفقرُ الكافرُ هنا؛ ونقيضُهُ، البطْرُ والبَذْخ، هناك؟ أم لعلّه الشّعورُ بالخواءِ والقَهْرِ والحُبُوط؛ فلا أملَ لتحقيقِ الذّات، ولا كرامةَ، ولا وَقَار؟ أم هو تضافرُ هذه العواملِ وتداخُلُها؟ ثمّ مِنْ أين نبدأ؟ من الأسرة؛ أم المدرسة؛ أم الجامعة؛ أو مِنْ هذه كُلِّها؟

لا أريدُ أنْ أستبقَ ما سنسمَعُهُ اليومَ وغدًا وبعْدَ غَد، مِنْ أفكارٍ نيّرة وتحليلاتٍ ثاقبة ومقترَحَاتٍ نافذة. إلاّ أنّني أتطلّعُ إلى فوْرةِ أفكار تُعلِّمُنا كيْفَ نُحوِّلُ العُنْفَ إلى طاقةٍ متسامية، وكيف نوظّفُ الأدبَ العظيم، والفنَّ العظيم، والمناظرات الشّبابيّة، وما إلى ذلك، في صَقْلِ الذّائقةِ والوِجْدان. نتطلّعُ أيضًا إلى استقاء النُّبْلِ والخُلُقِ القويم وفضيلةِ احترامِ الآخَر من الدّين، ومن جوامعِ الكَلِم وخبرةِ الأسلاف. وأرجو أنْ لا ننسى مفهومَ «العيادات التّربويّة»، أو نَغْفُلَ الأدواتِ الفاعلةَ لاستكشافِ الذّهنيّاتِ الشّبابيّة، مثلَ الإستباناتِ والاستطلاعاتِ المُتْقَنَة.

لنبدأْ من حيث انتهى غيْرُنا؛ ولْنُشَبِّكْ مَعَ داراتِ الخيْر والمعرفة في كلِّ مكان؛ ولْنُؤسّسْ قاعدةَ بياناتٍ شبابيّةً وافيةً شاملة تُحَدَّثُ باستمرار. لنعملْ بإيقاعٍ سريع، لكنْ بدقّةٍ وإتقان، وبغيْريّةٍ وإيثار. لنُقْبِلْ على الدّنيا بإيمانٍ وحماسةٍ وهناء، حتّى نواجهَ تغوّلَ المتغوّلين وعُنْفَ الطّبيعةِ حين تثور.

الأخواتُ والإخوة

هذه تحيّةٌ لكم من منتدى الفكر العربيّ الذي يُطفىء شَمعَتَهُ الثّلاثين بعد بضعةِ شهور. وهذه تحيّةٌ أخرى ملؤها المحبّةُ والاعتزاز والاعتداد منّا جميعًا إلى مؤسّسِ المنتدى ورئيسِهِ وراعيه، صاحبِ السّمُوّ الملكيّ الأمير **الحسن بن طلال**، حفظَهُ اللّٰه ورعاه، الذي يبقى مُلهمَنا وأُستاذَنا.

كما أُزجي الشّكرَ والعِرفان إلى الصّندوق العربيّ للإنماء الاقتصاديّ والاجتماعيّ في الكويت، وعلى رأسه الأُستاذ عبد اللّطيف الحمد، الإنسانُ الكبير، صاحبُ الرّؤيةِ النّبيلة والرّؤيا النّافذة، على دعمه السّخيّ الموْصول لمؤتمراتِنا الشّبابيّة منذ أن انطلقت.

ولشركائنا الأعزّاء كلّ المحبّةِ والتّقدير: مكتبة الإسكندريّة، ذاك الصّرْح السّامق: الأُستاذ الدّكتور إسماعيل سراج الدّين، والدّكتور محسن يوسف، وسعادة السّفيرة هاجر الإسلامبولي، وطاقَمُ المكتبة الزّاهي المتألّق؛ جامعة البترا الزّاهرة، ممثّلةً برئيسِها دوْلة الأُستاذ الدّكتور عدنان بدران؛ جامعة فيلادلفيا العامرة، ممّثلةً برئيسها معالي الأُستاذ الدّكتور مروان كمال؛ وأخيرًا، وليس آخرًا، طاقَمُ المنتدى الذي أعتزّ به أيّما اعتزاز؛ مَعَ همسةِ محبّةٍ خاصّة للسيّدة سمر كلداني والدّكتور محمود قطّام السّرحان.

ولا أنسى معالي الدّكتور علي الدّين هلال، الذي أتحفَنا بورقةِ المؤتمرِ الرّئيسيّة، وفريق البحث الذي أعدّ أوراقَ العمل بتفانٍ وإتقان؛ كما أذكرُ بالخيْر الأخواتِ والإخوةَ رؤساءَ الجَلَسات وفرقَ العمل ومُقرِّريها والخبراءَ المُيسِّرين، والحضورَ الكرام من أرضِ الكِنانة ومن الوطن العربيّ الكبير.

بُوركتمْ وعُوفيتم. أُحيّيكم من صميمِ القلب؛ متمنّيًا للجميع مؤتمرًا مُوفّقًا، بإذنِهِ تعالى.

والسّلامُ عليكم ورحمةُ اللّٰهِ وبركاتُه.

كلمـــة المشـــاركين

الشريفة نور بنت علي*

بسم الله الرَّحمن الرحيم

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

والصَّلاة والسَّلام على نبيِّ المرسَلين سيدنا محمد ﷺ.

أصحاب السَّعادة والمعالي الأفاضل.

السيدات والسادة الحضور الكرام.

يشرِّفني أن أكون بينكم في المؤتمر الشَّبابي الرَّابع الَّذي يناقش موضوع الشَّباب وظاهرة العنف. لقد تأثَّرنا جميعًا، في السَّنوات الأخيرة، من انتشار ظاهرة العنف في المجتمعات المحلية في كل مكان من الكرة الأرضية، وما ترتب عليها من آثار وسلوكات محفوفة بالمخاطر، شملت جميع فئات المجتمع، وكان تأثيرها على الأطفال والشَّباب كبيرًا جدًا. ولأن الأطفال والشَّباب هم أجيال المستقبل، الذين يجب أن تُجنَّد جميع الطّاقات للعناية بهم، والاستثمار فيهم، بات لزامًا علينا

* المعهد الدبلوماسيّ الأردنيّ/وزارة الخارجيّة.

أن نناقش هذه الظاهرة من جميع جوانبها؛ الاجتماعيَّة والصِّحيَّة والاقتصاديَّة والسِّياسيَّة.

ولأنَّ العالم أصبح صغيرًا جدًا، ويتأثر ببعضه بعضًا بسرعة شديدة أيضًا، فقد أصبحت ظاهرة العنف تنتقل من مكان إلى آخر كما تنتقل الموضة. فلا أحد يستطيع أن ينكر تأثير العولمة على المجتمعات إذا لم تُحصِّن نفسها ضد التأثيرات السلبية. فالعولمة بحدِّ ذاتها ليست سيِّئة، لكنَّ عدم الاستعداد لفهم المعلومات والتأثيرات الحضارية وتمثّلها، هو ما يؤدي إلى نتائج سلبيَّة. فقد بيَّن التقريرُ العالميُّ الخاصُّ بالعنف والصِّحة الصّادر عن منظَّمة الصِّحَّة العالميَّة أن العنف يتسبب بوفاة أكثر من مليون ونصف المليون شخص سنويًا؛ أي ما يناهز ٤٠٠٠ نسمة في كل يوم. إنَّ الآثار الصِّحيَّة النّاجمة عن العنف لا تقتصر على الإصابات الجسدية؛ إذ يمكن أن يكون للعنف آثار طويلة الأجل، مثل الاضطرابات النفسية ومحاولات الانتحار، ومتلازمة الآلام المزمن، والحمل غير المرغوب فيه والإيدز والعدوى بفيروسه، وغير ذلك من أنواع العدوى المنقولة جنسيًا. ويواجه الأطفال الذين يتعرضون للعنف مخاطر أعلى فيما يخص إساءة استعمال الكحول والمخدِّرات والتَّدخين، وانتهاج سلوكٍ جنسيٍّ غير آمن. وهذا قد يؤدي للإصابة بالإحباط أو الضيق، ولكننا لا ينبغي أن نصاب باليأس؛ فاليأس ليس بديلاً مطروحًا، لا سيَّما بين الشباب، فهم طاقة الأمل المتجدد في غدٍ أفضل. وعلى المستوى الشخصي، وبالرغم من تواضع خبرتي في الحياة، لكنَّني أعرف أنَّ اليأس قرين الضَّعف، والضَّعف دليل الجهل، ولا ينبغي للجهل أن يغلبنا. ويذكِّرني هذا بمقولة نابليون: «إذا كنت لا تعرف تعلّمْ،

وإذا كان ما تريد أن تفعله صعبًا حاول، وإن كان ما تريد أن تفعله مستحيلاً حاول أكثر». وهذا ما ينبغي أن نطبِّقه على المستويين: الشَّخصي والعامّ. فمن يعمل لهذه الأمة مخلصًا عليه أن يستمر في العطاء بنفس منطق من يبني سفينة في الصحراء، وبنفس منطق الرَّسول الكريم الذي أمرنا أن نزرع ما في أيدينا من فسيلة حتى لو قامت القيامة بعد ساعة. فهل سيستفيد أحد من الفسيلة لو كان قيام الساعة بعد ساعة من زراعتها؟ الإجابة: نعم، أنت يا مَنْ زرعتها وفيت أمر ربك لك بأن تعمل وتكدح ابتغاء وجه ربك الأعلى.

أقول للشّباب؛ نحن بحاجة إلى تحديد الأولويّات وتنسيق الأعمال، حتى لا تتكرر الاجتهادات وتضيع الفرص. فمن أسباب الإخفاقِ العفويَّةُ والارتجالُ في العمل، وتركُ مراعاة الأولويات. ويتبيَّن لنا هذا في حديث الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حينما أرسله إلى اليمن، وفيه بيان الأولويّات. ويبين لنا هذا الحديث أيضًا أهمّيَّة التخطيط، فالكثير من الشباب ينوي الخير ولا يقوم به، وذلك لاستعجاله قطف الثمرات. والعجلة لا توصل الإنسان غالبًا إلى غايته.

وأتوجّه للجيل المؤسِّس والرَّاعي الأوَّل، وأناشده الدعم والنصح، لأنَّ إهمال طاقات الشَّباب، وعدم تسخيرها للعمل، وإيجاد برامج تستوعب الشَّباب يولِّد اليأس والفساد.

نيابة عن جميع زملائي العرب المشاركين في هذا المؤتمر، نشكر دعمكم، ونشكر سموّ الأمير الحسن. وأتمنى أن تُترجم مناقشاتنا وأفكارنا الَّتي سوف

تطرح في ورشات العمل في المؤتمر، إلى نتائج تؤدِّي لمعالجة مشكلات العنف الأسري والمجتمعي، فالداء والدواء بيدنا، نحن الشباب الصغار وأنتم الشباب الكبار، وتأكيدي هنا على الشَّباب الكبار.

والله ولي التوفيق. وشكرًا.

الشّباب وظاهرة العنف

الورقة الرئيسية

المتحدِّث: د. علي الدّين هلال

تقديم: السفير د. هاني خلاّف

الـورقة الرئيســية

المتحدّث: د. علي الدّين هلال*

تقديم: د. هاني خلاّف**

كلمة د. هـــاني خلاّف

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب المعالي والسعادة

أعضاء المنتدى الأكارم

أيها الحضور الكريم؛

استمعنا في الجلسة الافتتاحيَّة إلى كلمات مهمَّة للسيِّدة السفيرة **هاجر الإسلامبولي** نيابة عن الأستاذ **سراج الدِّين**، وأيضًا للشَّريفة **نور بنت علي** التي أضافت إلينا الكثير من الأبعاد الَّتي يمكن الاستعانة بها في مناقشتنا، وأيضًا استمعنا بكلِّ اهتمام وتقدير للأستاذ الدكتور **همام غصيب** وهو يشرح رسالة المنتدى وأهدافه وأعماله السَّابقة وخدمته التي أسداها للتنمية العربية عمومًا، وما يخص دور مكتبة الإسكندريَّة والمؤسَّسات العربية الأخرى الداعمة لهذا العمل الشَّبابيِّ المتميِّز، والبحث عن حلول لمشكلاته ومعالجة قضاياه. وقد أعجبت بالكلمة الَّتي قدمها الأستاذ الدكتور **همام غصيب**، لأنه وهو فيزيائي؛ يعرف ويتقن اللُّغة العربيَّة والأدب العربي كما لم يتقنه كثير من أدبائنا أنفسهم. وأحيِّي هذا

* وزير الشّباب والرّياضة السّابق، أمين الإعلام في الحزب الوطنيّ الدّيمقراطيّ.

** مساعد وزير الخارجيّة للشؤون العربيّة، ومندوب مصر الأسبق لدى جامعة الدول العربيّة/سفير سابق.

الجمع النادر. وإذا كان قد لفت انتباهي غياب الأستاذ **غالب وحيشي** من إدارة السُّكّان في الجامعة العربية، فإنَّ ما يعوِّضها هو وجود السيد الوزير المفوَّض هاني مصطفى، مدير إدارة الشَّباب والرِّياضة في الجامعة العربيَّة، وبالتالي فالجامعة العربيَّة حاضرة وإن غاب عنها ممثل قطاع السُّكّان، ولكن قطاع الشَّباب والرِّياضة موجود، وسنستمع إليه إن شاء الله في المحور الأوَّل من الجلسة الأولى، بعد الفراغ من الرئيسية، التي يشرِّفني فيها أن أقدِّم أستاذًا عرفته وهو قادم من كندا بعد حصوله على درجة الدكتوراة في العلوم السِّياسية والماجستير أيضًا من جامعة ماكجيل. ولكن كان معيدًا مميَّزًا في ذلك الوقت، وقد تابعنا عمله بعد ذلك حينما انتقل بأفكاره وبأعماله ليوسِّع من دائرة المستفيدين بعلمه من خلال الكتابة في المجلَّات الدَّورية والمتخصِّصة والصحف، ثم انتقل بنشاطه العلميِّ ورؤيته المنهجيَّة إلى دوائر السياسة العمليَّة حين تم اختياره وزيرًا للشَّباب والرِّياضة في الحكومة المصريَّة في عام ١٩٩٩-٢٠٠٤، ثم انضمَّ إلى أمانة السِّياسات في الحزب الوطنيِّ الدِّيمقراطيِّ، عند إنشائها، ومنها أصبح سنة ٢٠٠٦ أمينًا للإعلام في الحزب. وله مواقع كثيرة في العمل الأكاديميِّ، فهو عميد لكليَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسيَّة، وكثير من الأنشطة الأخرى، ولكن ما يميِّز أستاذنا الدكتور علي الدِّين هلال الذي يتحدَّث إلينا اليوم، أنه من أبرز أبناء المدرسة الوطنيَّة الَّتي تجمع باقتدار بين الفكر العلميِّ والمنهجيِّ من ناحية والعمل الميداني من ناحية أخرى. يذكر له المصريّون أنَّه كان أكثر من تولَّى وزارة الشَّباب والرِّياضة حرصًا على تجذير ممارسة الرِّياضة بين مختلف الطَّبقات الشَّعبيَّة والشَّرائح العمرية، من خلال زيادة عدد المراكز الشبابية للفئات العمرية والرياضية العامة في مختلف الرِّياضات والمدن، كما اتسعت في عهد وزارته شعبية عدد كبير من الرِّياضات الأخرى غير كرة القدم، وذلك من خلال توفير دعم الدولة للاتِّحادات الرِّياضيَّة.

لأستاذي الدكتور **علي الدِّين هلال** رؤاه المعمَّقة إزاء الكثير من الظَّواهر والمشكلات المرتبطة بالشَّباب، ومن بينها إشكاليَّة التَّوفيق بين الطَّابع الوطنيِّ المطلوب للأنشطة الطُّلابية وحدود أنشطتهم داخل الجامعات، إلى جانب مشكلات البطالة، ومشكلات الهجرة غير الشَّرعيَّة، ومشكلات التَّطرُّف، ومشكلات العنف.

وها هو اليوم يحدِّثكم ويحدثنا حديث الفكر والخبرة في هذ المؤتمر المتخصِّص ببحث ظاهرة العنف بين الشَّباب، وكيفيَّة مواجهتها، سواء في التَّجارب المصريَّة أو العربيَّة أو الدّوليَّة. وأتطلع لهذه الرؤية الواسعة التي سيقدمها لنا الأستاذ الدكتور علي الدِّين هلال، وأرجو أن يتكرَّم سيادته فيسمح للحاضرين بفرصة من الوقت بعد انتهاء عرضه، لطرح الأسئلة والتعليقات.

حضرات السَّيدات والسَّادة؛ أدعوكم للترحيب معي بأستاذي وأستاذ الجميع والأجيال الأستاذ الدكتور: وزير الشَّباب والرِّياضة السَّابق وأمين الإعلام في الحزب الوطنيّ الديمقراطيّ في جمهورية مصر.»

كلمة د. علي الدِّين هلال

بسم الله الرحمن الرحيم

أودُّ أولاً أن أعبِّر عن سعادتي البالغة لوجودي معكم. ومصدر سعادتي أنَّني أعتبر نفسي أحد أصدقاء مكتبة الإسكندريَّة، ثمَّ تزيد سعادتي أنَّ هذا التَّجمُّع ينظِّمه أو يتعاون في تنظيمه منتدى الفكر العربيِّ الَّذي كنت أحد مؤسِّسيه من منتصف الثَّمانينات، وشاركت في كلِّ أنشطته قرابة العشر سنوات، إلى أن تكاثرت أعباء الحياة. فمنتدى الفكر العربيِّ قام بأشياء متقدِّمة وفي وقت مبكِّر، كان منها أنَّه أجرى بحثًا مهمًّا عن التَّعليم ومستقبل الأمَّة العربيَّة، وأصدر سلسلة من الكتب الجزئيَّة، ثمَّ قدَّم تقريرًا تجميعيًّا عن موضوع التَّعليم ومستقبله في واقع الأمَّة العربيَّة. وأعدَّ بحوثًا ودراسات عن التَّعدديَّة والدِّيمقراطية الحزبيَّة، وعن الأمن القوميِّ، وعن الصِّراع العربيِّ الإسرائيليِّ، إلى غير ذلك من موضوعات.

اطَّلعت على جدول أعمال المؤتمر، وفهمت أنَّنا سننقسم إلى مجموعات تناقش قضايا مختلفة، والهدف من هذا اللِّقاء التَّمهيديِّ - لا أريد أن أسمّيه محاضرة،

* عضو مجلس الشورى، ووزير الشّباب والرياضة الأسبق في مصر، وأستاذ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسيّة بجامعة القاهرة.

لأنَّها لن تكون محاضرة - يتيح المجال الواسع لمناقشة عدد من الموضوعات المتَّصلة بالعنف وظاهرة الشَّباب، فالهدف هو إثارة أكثر عدد من الأسئلة الَّتي يجب أن يتعامل معها المهتمّون التَّربويون المتخصِّصون في قضايا الشَّباب، وأرى نخبة منهم في الصَّفِّ الأوَّل، وقد زاملت بعضهم ولديهم خبرات واسعة في هذا المجال، بحيث تكون هذه الأسئلة هادية لنا أو مفيدة في مناقشاتنا في الجلسات القادمة.

أودُّ بداية أن نُخرج من اهتمامنا موضوعًا يثار في كلِّ مناقشة، فنحن لا نتحدَّث عن استخدام العنف في حركات المقاومة ضد المحتلِّين، فكلُّ الأوراق المقدَّمة لا تتحدَّث من قريب أو من بعيد عن حق الشُّعوب في استخدام السِّلاح واللُّجوء إلى العنف في مواجهة الاستعمار. وإنَّما حديثنا هو موضوع استخدام العنف وانعكاساته على علاقات أبناء المجتمع. البارحة صباحًا حدث أن انفجرت سيارة في الفلبين، ويوم الخميس الماضي الحكومة البريطانيَّة سحبت الفيز من طلبة الجامعات، فكسروا الحرم الجامعي، ومنذ ستة شهور والأزمة الاقتصاديَّة تتصاعد تأثيراتها في اليونان، حيث نزل النَّاس إلى الشَّوارع وكسَّروا وأحرقوا. والمشهد نفسه شهدته عواصم عربيَّة مختلفة، فالمملكة العربيَّة السُّعوديَّة تقبض على ١٠٦ أشخاص كانوا يعدّون لأعمال إرهابيَّة. هذا هو ما نعنيه بالعنف.

وعندما نحدِّد الموضوع في هذا السِّياق دون غيره، فإنَّ من الأسئلة الَّتي يُفتَرَض أن نسألها لأنفسنا: ما هو العنف؟ من الممكن أن يقول أحدنا إنَّه مع العنف، وآخر يقول: أنا ضدَّ العنف، وكلٌّ منهما لديه تعريف مختلف للعنف. إذن؛ من النَّاحية المنهجيَّة العاطفيَّة لا بدَّ أن أبدأ بتعريف العنف. وعندما أبيِّن ما هو العنف سوف أسأل القليل من الأسئلة بعد هذا السُّؤال: ما هي مجالات ظهور العنف؟ ماذا يفيد العنف في علاقاتنا مع بعضنا بعضًا؟ ما هي مظاهر العنف الَّتي عند رؤيتك لها تقول هذا هو العنف؟ ما هي أسباب ومظاهر العنف في علم النَّفس السِّياسي وفي علم النَّفس الاجتماعيّ؟ وكيف نفسِّر العنف؟ وما هي الأسباب المختلفة الكامنة وراءه؟ وأقول لكم: كل سبب في حدِّ ذاته ناقص!

فلو قيل لك مثلاً: توجد أسباب نفسيَّة للعنف، سنجد أنَّ هناك أفرادًا يولدون بشخصيَّة عدوانيَّة. أو يقول لك شخص آخر: الفقر أو التَّطرف الدِّيني. أو شخص آخر يقول لك: التَّعصُّب القوميّ، والمواقف العدوانيَّة إزاء الأقليَّات، سواء كانت أقليَّات دينيَّة، أو أقليَّات قوميَّة.

فما هو العنف؟ وما مظاهره وأشكاله؟ وما هي أنماطه وأسبابه؟ يمكننا أن نسرد عددًا من النَّظريّات، منها ما يعيد العنف إلى التَّهميش الاجتماعيِّ أو الاضطراب النَّفسيِّ، أو التَّفكُّك الأسريّ، أو الشُّعور بالحرمان.

لا يوجد أي سبب من هذه الأسباب يمكن أن يفسِّر بمفرده ظاهرة العنف Is correct but incomplete يجب أن ننظر ونأخذ في حساباننا مجموعة من الأسباب للتَّفسير، فإذا أخذنا الفقر مثلاً، فإنَّنا عندما ننظر إلى أبناء العائلات السُّعوديَّة الكبيرة، لا نجد أنَّ الفقر هو سبب العنف. ثمَّ انظر إلى اليابان وإيطاليا الَّتي تسودها أعمال إرهابيَّة يقوم بها أناس من الطَّبقة الرَّاقية Upper class إذن الفقر ليس سببًا. ثمَّ هل التَّديُّن هو سبب للعنف؟ لا، ليس التَّديُّن! وإنَّما الفهم الخاطئ للدِّين هو ما يولّد التَّطرُّف. وبعد كلِّ هذا يجب أن نسأل: ما هو موقف الأخلاق من العنف، بغضِّ النَّظر عن أسبابه وأشكاله؟ فأنا كرجل لديَّ ضمير، هل هناك موقف أبرِّر فيه العنف؟! نقول: نعم! العنف في هذه الحالة مبرّر، أو نقول: لا، العنف في كل الأحوال مدان قانونًا وشرعًا.

وآخر سؤال يرد على الذِّهن: كيف نتعامل مع ظاهرة العنف في المجتمع؟ يجب أن نحدِّد مَن الَّذي سيتعامل؛ هل الشَّخص أم الدَّولة، ثمَّ كيف تتعامل الدَّولة كاستراتيجيَّة عليا لمواجهة العنف؟ وكيف تتعامل الوزارات المختلفة؟ وكيف تتعامل وزارات الشَّباب ومجالس الشَّباب؟ ويمكن أن أقول: كيف يتعامل الشَّباب الأكثر استنارة والأكثر فهمًا مع العنف؟ هل يمكن أن نتصوَّر مجتمعًا خاليًا من العنف؟ نعم، موجود.

إذن سنقول إنَّ العنف ظاهرة إنسانيَّة اجتماعيَّة شهدتها وسوف تشهدها كلُّ المجتمعات، حتَّى مجتمع سيِّدنا المسيح كان فيه عنف، وفي مجتمع سيِّدنا محمَّد كان فيه عنف، ففي كلِّ المجتمعات في عصور الأنبياء كان عنف. فالمجتمع الخالي من العنف ربَّما يكون هو الجنَّة. قد يكون أحد منكم قرأ وصف كارل ماركس للمجتمع الشُّيوعي، أو قرأ لثومس مور أو كامبريلا، فكلُّهم أساتذة كتبوا قصصًا أو روايات أو رؤى اجتماعيَّة للمستقبل، ذات نزعة طوباويَّة، وترجمتها العربيَّة: «الفكر الخيالي» أو الفكر الطوباوي.

إذن؛ فالمجتمع الخالي من العنف يفترض طبيعة بشريَّة مختلفة، ويفترض مجتمعًا انتهت فيه مختلف أشكال التَّناقضات أو التَّباينات بين النَّاس، ومن ثَمَّ يستطيع النَّاس أن يعيشوا فيه في سلام وأمن دون وجود العنف.

فالعنف مرتبط إمَّا بفكر النُّدرة Scarcity أو الاختلاف في المصالح أو الرُّؤى، فكلَّما كان هناك ندرة واختلافات وتباينات بين النَّاس سيستمرُّ العنف، والفارق في المجتمعات يثبت أنَّ العنف سيظل موجودًا في كلِّ المجتمعات إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. ولكن يوجد فرق بين المجتمعات؛ أي بين ما رأته استكهولم البارحة وما لم تره قبل عشرين سنة، ودولة تشهد العنف كل يوم. إذن؛ سوف يظل العنف موجودًا في شكلٍ هامشي؛ أي ٣٪ من المجتمع أو Violent society or violent situation الَّتي يكون فيها العنف حادثًا متكرِّرًا ويوميًّا في المدرسة والمسجد والكنيسة والأسرة والجامعة، وفي الحياة السِّياسيَّة.

وثمَّة أسئلة كثيرة، مثل: ما هو العنف؟ ما هو دوره في المجتمع؟ عرف العنف. ما هو السُّلوك الذي أسمّيه عنفًا؟ ما هي أشكاله؟ ماذا تعني كلمة عدواني؟ تعدي باللفظ، الشتم، التَّعرُّض للحرمات، تهكُّم بالقول أو الفعل. جوهر العنف هو سلوك behavior قد يكون كلاميًّا verbal أو عمليًّا physical وكلاهما يكون فيهما طابع عدوانيٌّ.

أيّ حديث فيه إساءة للآخر، كما لو كان مجموعة أشخاص جالسين مع بعضهم بعضًا ويصفون شخصًا آخر بقولهم: إنه رجل مسيحي!، أو رجل صعيدي! ولو كنا في الأردن سيقولون هذا شركسي! لو قلت مثل هذه الأوصاف لشخص ما فقد جرحته. فالعنف سلوك بالقول أو بالفعل يأخذ أشكالاً مختلفة، ولكنَّها كلّها تحمل معنى الاقتحام، والتَّعدِّي على حرمة الآخرين بالقول أو بالفعل.

لماذا يمارس العنفيّون العنف؟ هل العنف سلوك عشوائيّ Random؟ أم سلوك هادف؟

العنف سلوك هادف كأن تشارك في مظاهرة لتحرق وتقوم بأعمال إرهابيَّة أو تحرق بيتًا. فـ ٩٠٪ من حالات العنف هي عنف هادف؛ هدفه تغيير سلوك الأطراف الَّتي يقع عليها العنف. أما الـ ١٠٪ فهي حالة مرَضيَّة، كأن يصدر من شخص عنف نتيجة لانفصام، فالعنفيُّ هنا غير واعٍ لما يقوم به من إيذاء مَن حوله. ثمَّ ما هي المعاني الَّتي ترد على ذهنك عندما أردِّد كلمة «العنف»؟ سيقول بعض المشاركين: عدم احترام الآخرين، الإجبار، رد فعل، الإهانة، سلوك بشع. لو قمنا بتحليل ما سمعنا فإنَّنا سنجد أشكالاً ومظاهر للعنف، مثل مَن وصف العنف بأنه إهانة، أو إضراب، فهنا قاموا بتحديد الأشكال الخارجيَّة للعنف. لن أخفي عليكم أنَّني لم أتوقَّع هذه الإجابات، مع أنَّها كلَّها صحيحة ضمن المستوى الَّذي نتحدَّث عنه، فالعنف: القهر، الإجبار، الضَّرب، التَّعسُّف، التَّمييز، العدوانيَّة، التَّعدّي، التَّكبُّر، الطُّغيان، فهذه المعاني concepts فيها dominations التَّكبُّر والتَّجبُّر!

العنف سلوك يمارسه الفرد بالقول أو بالفعل بهدف تغيير سلوك الآخرين وإرادتهم بالقوَّة، أو لمنع المستهدَف من ممارسة عمل معيَّن، أو لإجبار المستهدَف من أن يسلك سلوكًا معيَّنًا. وقد يكون مخطَّطًا له أو غير مخطَّط. والعنف قد يكون فردياً أو جماعيًّا يمارسه عدد من النَّاس، وعندما يكون جماعيًّا فمعنى ذلك أنَّ مجموعة من النَّاس يتشاركون في فكر أو تنظيم معيَّن، وبالضَّرورة وجود تنظيم، أو قد يكون عشوائيًّا مثلاً كخروج مظاهرة بصورة عشوائيَّة.

الخلاصة

إنّ ظاهرة العنف موجودة في الواقع ولا يخلو مجتمع من أشكالها المختلِفة، لكنّ المُثير للقلق أنْ تزيد نسبة العنف في مجتمعٍ ما بشكل كبير. وأضاف: إنّ العنف يحمل في جوهره معاني الاقتحام والتعدّي على الآخر بالقول أو بالفعل، وقد يكون فرديًّا أو جماعيًّا. وهنالك نوع ثالث هو العنف الهيكليّ. فأوضاع اجتماعيّة مثل الفقر والبطالة تُعدّ شكلاً من أشكال العنف ضدّ الفقراء، وضدّ من لا يجدون فرصة عمل. ويمكن تسمية هذا النوع أيضًا العنف الصّامت.

وأنّ ظاهرة العنف ليست قاصرة على فئة الشّباب فقط؛ لكنّ هنالك علاقة خاصّة تربط بين الشّباب والعنف بناءً على مجموعة من الأسباب، أوّلها: ديموغرافيّ، إذ إنّ الشّباب يمثّلون حاليًّا ما يناهز ثلثي عدد السكّان في الوطن العربيّ، وهو وضع سوف يستمرّ لسنوات طويلة مع استمرار الطّفرة السكانيّة. وثانيها: أنّ الشّباب يشكّلون الشّريحة التي تتميّز بالفتوّة والحركة؛ ومن ثمّ فهم الأكثر قدرة على ممارسة العنف. وثالثها: ازدياد إمكانية تضليلهم بحكم حداثة السنّ وقلّة الخبرة والميل إلى التمرّد؛ مشيرًا إلى أنّ ما يعيشه المجتمع العربي من أزمات سياسيّة واجتماعيّة ينعكس على الشّباب ويجعلهم يشعرون بالتهميش السّياسي والاجتماعيّ؛ ما قد يدفعهم إلى اللجوء للعنف.

الأوراق المرجعيّة للمناقشات*

* أعدَّ هذه الأوراق عدد من الخبراء والمختصين للاسترشاد بها خلال المناقشات. علمًا بأنّ جميع الآراء الواردة في هذه الأوراق لاتعبرٌ عن وجهة نظر الجهات المنظِّمة للمؤتمر؛ بل تمثِّل وجهة نظر مؤلِّفيها فقط.

تقديم

أ.د. إسماعيل سراج الدّين*

يزداد الاعتراف حاليًا في جميع أنحاء العالم بأهمية الشباب في تشكيل مستقبل الدول، وضرورة توفير المناخ اللازم، وإعطاء فرصة للشَّباب للمشاركة في مختلف الجوانب الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، لأنَّ التَّقدُّم الاجتماعيَّ مرهون بإسهام الشَّباب، فهم المحرِّك الأوَّل للتَّطوير والتَّغيير. ولديهم القدرة الفائقة على التَّكيُّف مع الجديد، ومواكبة الطَّفرات التِّكنولوجية الجديدة بالمزيد من الإنتاج والإبداع.

وينبغي أن يكون الاهتمام بالشَّباب على رأس أولويَّات النُّهوض بالمجتمع، ولهذاَ عُنيت المؤسَّسات الثَّقافية الكبرى بتخصيص الندوات واللقاءات لمناقشة القضايا المتَّصلة بالشَّباب. وقد تضافرت جهود منتدى الفكر العربيِّ ومكتبة الإسكندرية في هذا الشَّأن؛ إذ عقد منتدى الفكر العربيّ ثلاثة مؤتمرات شبابيَّة في السَّنوات الخمس الماضية؛ وهي: مؤتمر «**الشَّباب العربيّ وتحدِّيات المستقبل**»، ومؤتمر «**الشَّباب العربي في المهجر**»، ومؤتمر «**نحو تطوير مؤسَّسات العمل الشبابي العربي**».

---

* مدير مكتبة الإسكندريّة.

أمّا مكتبة الإسكندريَّة فقد نظَّمت ندوات ومؤتمرات وملتقيات عدّة تتّصل بقضايا الشَّباب؛ ومنها: ندوة إعداد الشَّباب لتولّي المناصب القياديَّة، وملتقى الشَّباب حول الثَّقافة العلميَّة والتَّفكير العلميّ، وندوة الشَّباب والتَّنمية المستدامة والمنهج العلميّ، ومؤتمر تعزيز المشاركة المجتمعيَّة للشَّباب والمرأة، ومنتدى التَّمكين الاقتصادي للشَّباب العربيِّ، والملتقى العربيِّ للشَّباب والبيئة، ومنتدى ثقافة الشَّباب العربيّ والهُويّة في عصر العولمة، ومنتدى الشَّباب ودَور الإعلام في تحقيق ثقافة السَّلام والأمن والتَّنمية، ومؤتمر قمة عمالة الشَّباب (Youth Employment Summit-YES) وملتقى الشَّباب العربيّ للفكر والإصلاح، والملتقى البيئيِّ العالميِّ للشَّباب.

وفي السَّنوات الأخيرة كثَّف منتدى الفكر العربيِّ أوجه التَّعاون بينه وبين مكتبة الإسكندريَّة؛ إذ التقت أهداف كلتا المؤسَّستين في الاهتمام بقضايا الإصلاح العربي بكافَّة مستوياته، وفي ضرورة تفعيل العمل الثَّقافيِّ في سبيل النُّهوض بالمجتمعات العربيَّة. وقد حاضر سموُّ الأمير **الحسن بن طلال**؛ رئيس منتدى الفكر العربيِّ في مكتبة الإسكندريَّة، بالإضافة إلى عضويَّته بمجلس أمناء المكتبة. كما شارك الأمين العام لمنتدى الفكر العربي؛ الدُّكتور همام غصيب في عددٍ من اللقاءات بمكتبة الإسكندريَّة.

ويتناول هذا المجلد عددًا من الأوراق البحثيَّة عن موضوع المؤتمر المشترَك بين منتدى الفكر العربي ومكتبة الإسكندرية، والذي تمَّ تخصيصه لمناقشة الشَّباب وظاهرة العنف مرتكزًا على رؤية منتدى الفكر العربي ومكتبة الإسكندريَّة بضرورة التَّصدّي لهذه الظاهرة، التي بدأت تتنامى يومًا بعد يوم على كافة الأصعدة والمراحل العمرية، خاصَّة بين الشَّباب.

ولا يخفى على أحد من المتابعين للأحداث، وللتغيرات المرصودة في نسيج المجتمع وسلوكه في البلاد العربية، أنَّ العنف أصبح بارزًا بقوة في سلوكات الأفراد في كافَّة النطاقات، وبين جميع الطَّبقات.

ويتطرق هذا الكتاب لموضوع المؤتمر: «الشباب وظاهرة العنف» من خلال عدد من البحوث المتعلّقة بهذه الظاهرة، قدّمتها كوكبة من المثقفين والخبراء المعنيين بهذه القضية، التي تتناول الموضوعات التالية:

- العنف ومظاهره المختلفة في الشارع والبيت والمدرسة والجامعة، للدكتور قدري حفني.
- العنف وعلاقته بالاضطرابات النفسية والجنسية الإدمان، للدكتور ماجد موريس إبراهيم.
- ثقافة الخوف، للدكتور قدري حفني.
- الهوية وثقافة العنف لدى الشباب... تصور مفاهيمي، للدكتور عمار علي حسن.
- التَّشبيك والتَّواصل والتَّوعية الإعلاميَّة في إطار ظاهرة العنف عند الشَّباب؛ للدكتورة نائلة إبراهيم عمارة.

ومما لاشك فيه أنَّ الشَّباب يملك طاقات هائلة، وقدرات خلاَّقة، إن استطاع استغلالها عاد ذلك بالنفع على نفسه وعلى أسرته وعلى مجتمعه، بل وعلى البشرية جمعاء، ولكن إذا اصطدم بالحواجز الاجتماعيَّة والضائقات الاقتصادية والعوائق السياسية، فمن الممكن أن يتحول إلى إحباط وغضب، يوجِّه الطّاقات إلى العنف الذي يمتد إلى مجتمعات بأكملها.

ولكل مؤسَّسات المجتمع دورها في التَّعامل مع هذه القضية، وإسهامها الخاص في معالجتها، التي سوف تعتمد - فوق كلِّ شيء - على فتح الأبواب وتذليل العقبات، وتمكين القدرات لتفعيل مشاركة الشَّباب في صناعة المستقبل.

ولذلك كله، كان لا بد من أن تتكاتف الجهود جميعها، لعلاج هذه الظاهرة، وأن يكثف المختصون دراساتهم لرصد هذه الظاهرة ودراسة أسبابها وسبل علاجها

بالوجه الأمثل، وخاصة من خلال المناقشات المفتوحة مع الشَّباب أنفسهم، لتحفيزهم على المضيّ إلى الأمام، باستخدام وسائل فعّالة، وتوظيف الدِّراسات العلميَّة في التَّوعية والتَّدريب على سُبل العلاج الأمثل لمشكلة العنف الَّتي نشهدها.

ونأمل أن يكون هذا المؤتمر بجلساته المتنوِّعة، وبكوكبة المثقفين الَّذين يتناقشون ويتحاورون فيه مع الشَّباب من مختلف الدول العربية، بداية لعلاج جديد لهذه المشكلة؛ علاجٍ يزيل العنف، ويفتح الأبواب للأفكار الخلَّاقة، وللوسائل الجديدة القادرة على تمكين الإبداع وتعميم التَّعددية والانفتاح.

وفقنا الله جميعًا لما فيه الخير والمصلحة.

العنف ومظاهره المختلفة

في الشَّارع والبيت والمدرسة والجامعة

د.قدري حفني*

التَّنشئة الاجتماعيَّة

يشير مفهوم التَّنشئة الاجتماعيَّة إلى تلك العمليَّة المستمرَّة الَّتي تهدف إلى غرس وتكريس أو تعديل وتغيير مجموعة من القيم والاتِّجاهات والسُّلوكات والرُّموز الاجتماعيَّة ذات الدلالة الاجتماعيَّة لدى الأفراد، وهي بذلك عمليَّة مستمرَّة، تلازم الفرد منذ طفولته المبكِّرة حتَّى وفاته. وتقوم هذه العمليَّة على التَّلقين والتَّعليم لقيم واتِّجاهات معيَّنة للأفراد، من خلال اشتراك مجموعة من المؤسَّسات منها: المدرسة والأسرة وجماعة الرِّفاق. وهذه كلّها مصادر تعتمد أساسًا على الاتِّصال الشَّخصي ووسائل الاتِّصال الجماهيريّ الأخرى مثل: الرّاديو والتِّلفيزيون، والصّحافة، والسِّينما.

فالتَّنشئة الاجتماعيَّة عمليَّة يتمُّ بموجبها تلقين الأطفال، القيم والمعايير السُّلوكيَّة المستقرَّة في ضمير المجتمع، بما يضمن بقاءها واستمرارها عبر الزَّمان. إنَّها في أوسع معانيها؛ كيفيَّة نقل الثَّقافة الاجتماعيَّة للمجتمع من جيل إلى

* أستاذ علم نفس السياسي - جامعة عين شمس/مصر.

جيل. إنَّها التَّلقين الرَّسميُّ وغير الرَّسميّ، والمخطَّط له وغير المخطَّط للمعارف والقيم والسُّلوكات الاجتماعيَّة، وخصائص الشَّخصيَّة ذات الدّلالة الاجتماعيَّة، في كلِّ مرحلة من مراحل الحياة، عن طريق المؤسَّسات الاجتماعيَّة القائمة داخل المجتمع. بما يمكِّن الأفراد من التَّكيُّف مع الآخرين.

لقد ازدادت وتيرة العنف في الشَّارع والبيت والمدرسة والجامعة، في كثير من المجتمعات الإنسانيَّة بعامّة، ومجتمعاتنا العربيَّة بخاصّة. وقد تعالت الأصوات الَّتي تدين ظاهرة العنف من كلِّ اتِّجاه. وثمَّة حقيقة ينبغي أن لا تغيب عنّا، وهي أن الَّذين يمارسون العنف الآن، كانوا أطفالاً في زمن مضى. وإذا ما استمرَّت أساليب تنشئتنا لأطفالنا على ما هي عليه، فإنَّ الأجيال القادمة لن تكون في منأىً عن العنف وثمراته المُرّة. فهذا الجيل الَّذي يمارس العنف، إنَّما هو نتاج لأساليب التَّنشئة الاجتماعيَّة الَّتي مارسها الآباء والأمَّهات في البيت، والتَّربويون في المدرسة والجامعة، والإعلاميّون في الإذاعة والتِّلفزيون ووسائل الاتِّصال، والمسؤولون كافَّة في الأندية والمكاتب والمؤسَّسات المختلفة، سواء كانت هذه الممارسات بالقول أو بالفعل، أو حتَّى بالصَّمت السَّلبيّ.

لقد تواطأنا جميعًا لدفع أطفالنا إلى ما يتنافى مع فطرتهم التِّلقائيَّة الطَّبيعيّة. فالطِّفل بفطرته مُحاوِر، ولكنَّنا دفعناه إلى الصَّمت. والطِّفل بفطرته متسائل، فدفعناه إلى التَّسليم بما يلقى إليه من إجابات. والطِّفل بفطرته مفاوض فعّال، فدفعناه إلى الجمود العدوانيّ. والطِّفل بفطرته ميَّال للمشاركة، فدفعناه إلى الانطواء والتَّوجُّس من الآخرين. ولأننا كنّا في ذلك نسبح ضدَّ تيّار الفطرة السَّليمة، فقد كان علينا أن نبذل جهدًا شاقًّا ومستمرًّا، وقد بذلنا بالفعل، وحقَّقنا نجاحًا كبيرًا، ولكنَّه – لحسن الحظِّ – لم يكن كاملاً تمامًا. فما زال لدى أطفالنا بقيَّة من تلقائيَّة وإيجابيَّة وانفتاح، ولكنَّ جهودنا أيضًا ما زالت مستمرة.

العنف أو الاستسلام

إنَّ حبَّنا لأطفالنا حقيقة لا يماري فيها أحد. ولكنَّ ذلك وحده لا يكفي، فقد أدَّت تنشئتنا لأطفالنا إلى حيث لا يجد الطِّفل أمامه لمواجهة مواقف الحياة إلّا واحدًا من سيبلين لا ثالث لهما: إمَّا التَّصدّي بالعنف لإزالة ما يحول بينه وبين ما يريد، إذا ما استطاع، فإن لم يستطع، كون العقبة أقوى من إمكاناته، فلا يعود أمامه إلا السَّبيل الآخر وهو الاستسلام دون شروط: هجرة أو مرض نفسيّ أو انطفاء سلبيّ.

لقد أردنا لأطفالنا القوَّة في عالم يسوده الأقوياء، وأردنا لهم السَّلامة في عالم يسوده العنف. أردنا أن نجنِّبهم مغبَّة التَّمرُّد والمخالفة في عالم يدفع فيه المتمرِّدون ثمنًا باهظًا من مستقبلهم ومن حرِّيتهم، بل ومن حياتهم أحيانًا. أردنا أن نصونهم من مخاطر التِّلقائيَّة والصَّراحة في عالم يُشجِّع التَّصنُّع والمداهنة. أردنا أن نحميهم من المُضيِّ بتساؤلاتهم إلى غايتها في عالم يضع حدودًا صارمة لما يجوز وما لا يجوز التَّساؤل عنه. أردنا أن ندرِّبهم على الطّاعة في عالم يسوده الانصياع والمجاراة. لقد أردنا لأطفالنا الخير، كلَّ الخير، فما الَّذي حدث؟

لقد أغفلنا عددًا من الحقائق الأساسيَّة من أهمِّها:

أوَّلاً: أن محاولة إزالة العقبات بالقوّة، أو مواجهة المعتدي بالعنف، قد تكون الوسيلة الأكثر فعاليَّة وسرعة، ولكنَّها تفترض أن يكون الطِّفل هو الأقوى والأقدر، وإلا هُزم. ولكن إذا زادت العقبة رسوخًا، وازداد المعتدي في ممارسة اعتداءاته، لا يصبح أمام الطِّفل إلا الاستسلام للعنف إذا ما تكرَّر، والعجز أمام العقبات إذا ما واجهها. فالفشل في هذه الأحوال يؤدّي إلى مزيد من الفشل.

ثانيًا: أن العقبات والاعتداءات متعدِّدة ومتنوعة، فقد تكون العقبة زميلاً أو

أخًا منافسًا، أو مُدرِّسًا يبدو متشدِّدًا، أو قد تكون أبًا يراه الطِّفل قاسيًا، أو أُمًّا يراها الطِّفل منحازة، وقد يكون الاعتداء الَّذي يواجهه الطِّفل بدنيًا أو لفظيًا، مباشرًا أو ضمنيًا. وقد يكون موجَّهًا إلى الممتلكات والإخوة والأصدقاء، وقد يكون موجَّهًا صوب المشاعر والأفكار. ومواجهة العقبات والاعتداءات كافَّة بأسلوب واحد هو القوَّة أو العنف وتكريسه أسلوبًا أوحدَ للتعامل مع مواقف الحياة جميعها، دون تمييز.

ثالثًا: المواجهة الفعَّالة لمواقف الحياة ينبغي أن تشمل إلى جانب إمكانيَّة العنف أو القوة عددًا مُوجَّهًا لا نهاية له من البدائل، وهو ما يمكن أن نطلق عليها تعبير «مبادئ السَّلام الهجوميّ»، وتتضمَّن هذه المبادئ مهارات القدرة على الحوار والمناقشة، وتفنيد الآراء وطرح البدائل، وجمع المعلومات وتحليلها، والتَّفاعل مع الآخرين، وتأجيل الإشباع، والتَّفاوض... إلخ.

إننا في حاجة ماسَّة إلى تعديل أساليب التَّنشئة الاجتماعيَّة الَّتي نمارسها حيال أطفالنا، لأنَّ الخطر داهم، والأحداث تتسارع، ولم يعد مجديًا الاكتفاء بتوجيه النِّداء إلى المسؤولين أو مَن يعنيهم الأمر، فالأمر يعنينا جميعًا.

قد يصعب علينا نحن الكبار تعديل ما اعتدناه من أساليب التَّنشئة، وقد نستسهل إلقاء المسؤوليَّة على فريق منَّا دون فريق. وقد يزيد من صعوبة مَهمتنا أيضًا، ذلك الميلُ الطَّبيعيّ لدى البشر جميعًا لمقاومة الاعتراف العلنيِّ بالخطأ. وقد يزيد من صعوبة تلك المَهمة كذلك، أنَّنا قد نواجه بنية اقتصاديَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة راسخة، يستفيد أصحابها - على المدى القصير والمتوسط – من بقاء الوضع على ما هو عليه.

فالمَهمَّة صعبة ما في ذلك من شكّ، ولكنَّها تهون أمام حبِّنا الصَّادق لأغلى ما في حياتنا: أطفالنا، وتهون المَهمة أيضًا إذا ما تذكَّرنا أنَّ الأطفال أنفسهم سيكونون سندنا الرَّئيسيّ.

فالأطفال منذ طفولتهم المبكِّرة يقاومون عمليات التَّطويع قدر استطاعتهم، ويحاولون الاحتفاظ باستقلالهم الذَّاتيّ قدر طاقتهم، ويقاتلون في سبيل ذلك ما وسعهم الجهد، مستخدمين أساليبهم المتميِّزة في السَّلام الهجوميِّ؛ الاحتجاج بممارسة الصُّراخ، أو الإضراب عن الطَّعام، أو الرَّفض باللِّجوء إلى الصَّمت. وهي ممارسات أشبه ما تكون بالعصيان المدنيّ حيال ما يصدر إليهم من أوامر. بل إنهم كثيرًا ما يلجأون إلى العديد من ألوان المفاوضة والمداورة، ومحاولة النَّفاذ من خلال الثَّغرات واستغلال التَّناقصات. وهنا علينا أن نسعى إلى تدعيم تلك المهارات الفطريَّة لدى أطفالنا، وإدارة حوار جادٍّ حول: ماذا نريد من أطفالنا للغد؟ وماذا نريد من الغد لأطفالنا؟

التَّعصُّب جذر العنف

لا بدَّ أن يكون للعنف هدف. ولكي يتدَّرب الفرد على اختيار العنف، تقوم عمليَّة التَّنشئة الاجتماعيَّة على تحديد هدف كريه، يستفزُّ مشاعر الفرد العدوانيَّة. ولا بدَّ أن يكون هذا الهدف خارج إطار الذّات. ومن هنا فإنَّ التَّدريب على العنف يبدأ بغرس التَّعصُّب، بحيث يصبح العنف حيال الآخر عنفًا مبرَّرًا.

والتَّعصُّب في تراث علم النَّفس السِّياسيّ هو ميل لإصدار حكم مسبَق يتَّصف بالجمود حيال موضوع معين. وتكوين ذلك التَّعصُّب يضرب بجذوره في أعماق عمليَّة التَّنشئة الاجتماعيَّة منذ الطُّفولة، فهو شديد الارتباط بعمليَّة التَّدريب على الانتماء.

إنَّ الانسان – وهو أقوى الكائنات – يبدأ حياته وليدًا ضعيفًا بالغ الضَّعف، عاجزًا عن كفالة حياته، ومن ثَمَّ، فإنَّ استمراره حيًّا يتوقَّف على رعاية الكبار. ولا يتحمَّل الكبار مسؤوليَّة إعاشته فحسب، بل يُقدِّمون له كذلك الحماية المتعلِّقة

بالملامح الرَّئيسيَّة لشخصيَّته، وخاصَّة ما يتعلَّق باتِّجاهاته نحو جماعته ونحو الجماعات الأخرى.وتُشارك الأسرةَ في عمليَّة التَّنشئة الاجتماعيَّة هذه بقيةُ المؤسَّسات الإعلاميَّة والدِّينيَّة والتَّعليميَّة.

وتختلف عمليَّة التَّنشئة الاجتماعيَّة بين جماعة وأخرى فيما يتعلَّق بتحديد مدى الاختلافات العِرقيَّة والتّاريخيَّة والدِّينيَّة والجغرافيّة، بل والسُّلوكيَّة المسموح بها في نطاق تشكيل جماعة الانتماء. ومن ثَمَّ فإنَّ عمليَّة التَّنشئة الاجتماعيَّة- أيًّا كان نمطها- تتضمَّن نوعًا من التَّدعيم لتمايز تلك الجماعة عن جماعات «الآخرين»، الَّذين تتعدَّد صورهم، وتتباين الأساليب الَّتي نتدرَّب على اتِّباعها حيالهم. فهناك الآخر «المجهول»، والآخر «الصَّديق»، والآخر «العدوّ». وتتَّسم الأساليب الَّتي نتدرَّب على اتِّباعها حيال الآخر «المجهول» بطابع الاستكشاف الحَذِر، ومحاولة التَّعرُّف، بهدف معرفة ما إذا كان المجهول «صديقًا» أم «عدوًّا». ونتدرَّب كذلك على أساليب التَّعامل مع الآخر «الصَّديق»، وهو تعامل يتَّسم –غالبًا- بطابع التَّعاون المتبادَل، والتَّنافس السِّلميّ، في إطارٍ من الحرص على التَّمايز. أمَّا الآخر «العدّو»، فأساليب التَّعامل معه شديدة التَّباين؛ إذ يتدخَّل في تشكيلها طبيعة توازن القوى بين «جماعة الانتماء» وذلك الآخر «العدوّ». وقد تجمع تلك الأساليب بين التَّجاهل، والمقاطعة، والملاينة، والعنف... إلخ.

ومن خلال تفاعل تلك الصُّور للآخر، يتشكَّل ما يمكن أن نطلق عليه «عالَم الآخَرين». وقد يكون ذلك العالَم في مجمله أميل إلى أن يكون «معاديًا»، يكاد يخلو من الآخر «الصَّديق». وقد يكون أحيانًا عالَمًا «صديقًا» يقل فيه وجود الآخر «العدوّ». وقد ينبغي علينا اكتشافه وتصنيفه في بعض فترات النُّموّ النَّفسيّ أو التَّغيُّر الاجتماعيّ كونه عالمًا «مجهولاً». وغنيٌّ عن البيان أنَّ تشكيل العقل المتعصِّب يقوم على ترسيخ صورة العالَم المعادي لجماعة الانتماء.

الخصائص النَّفسيّة للمتعصِّب

التَّعصُّب سمة اجتماعيَّة سيِّئة، ولهذا فإنه يندر أن يصف أحدهم نفسه بالمتعصِّب. فكثيرًا ما نلصق هذه الصِّفة بالآخرين. وثَمَّة كثيرٌ من الدِّراسات الَّتي تهدف للتَّعرُّف على أهمِّ الخصائص النَّفسيّة الَّتي تُميِّز الشَّخص «المتعصِّب»، بصرف النَّظر عن اتِّجاهاته وميوله التَّعصُّبيَّة، سواء كان تعصُّبه لحزب سياسيّ أو زعيمٍ تاريخيّ، أو مذهبٍ دينيّ، أو حتَّى فريقٍ رياضيّ. وأسفرت تلك الدِّراسات عن مجموعة محدَّدة من الخصائص. ويستطيع كلٌّ منا أن ينظر إلى أيِّ جماعة أخرى تختلف عنه في الدِّين أو الجنس أو الثَّراء أو اللَّون أو المهنة أو حتَّى الموطن الأصليّ، ثُمَّ يرصد مدى موافقته على العبارات التّالية، ليعرف مباشرة درجة تعصُّبه:

١- السِّمة الغالبة لدى أبناء الجماعة الأخرى هي ضعف القدرة على استعمال المنطق، وإلّا فكيف نفسِّر عجزهم عن الاقتناع بمواقفنا، وتمسُّكهم بترّهاتهم السّاذجة؟ ويختلف تحديد طبيعة تلك التُّرَّهات باختلاف هُويَّة الجماعة المقصودة، فقد تكون فكرًا إيديولوجيًّا، أو معتقدًا دينيًّا، أو حتَّى نشرات دعائيَّة، أو مجرد هتافات جماهيريَّة. إنَّ مجرد الاستماع إلى ما يقولونه مضيعة للوقت؛ فضلاً عن أنَّ النِّقاش الفرديَّ معهم قد يُعرِّض البسطاء منّا لتضليلهم.

٢- أنَّ الحوار مع أفراد الجماعات الأخرى، بهدف إقناعهم بالحقيقة، ودعوتهم إلى طريق الحقِّ الَّذي هو في صالحهم في النهاية، لم يعد مجديًا. إنَّهم متعصبون جامدون لا تجدي معهم سوى القوَّة، وأن تظلَّ لنا اليد العليا باستمرار، وألَّا تخدعنا محاولة بعضهم ادِّعاء الموضوعيَّة والِّلين. إنَّ أيَّة محاولة للتَّساهل معهم سوف لا تعني لديهم سوى ضعفنا وتخاذلنا.

٣- أنَّ أفراد الجماعة الأخرى خارجون على الأصول الصَّحيحة الَّتي ينبغي الالتزام بها، والَّتي نلتزم نحن بها دائمًا. وبطبيعة الحال تختلف تلك «الأصول» باختلاف هُويَّة الجماعة المقصودة، بحيث تتمثَّل في حُسن الخلق، أو الشَّرعيّة القانونيّة، أو الِّدين الصَّحيح، أو النَّظرة الموضوعيَّة... إلخ.

٤- أنَّ وجهة نظرنا تمثِّل غالبيَّة جماعتنا بكلِّ تأكيد، وأيّة مؤشِّرات تشير إلى غير ذلك فإنَّها - أيًّا كانت - مجرَّد زيف وتضليل، خاصَّة وأنَّ أولئك الآخَرين مَهَرة في عمليات الخداع والتَّزييف.

٥- لا ينبغي أنْ نفرّق في مواجهتنا لأفراد الجماعة الأخرى بين «المفكِّرين» و«المنفِّذين»، أو حتَّى بين «الموافقين» و«المعارضين» في صفوفهم، فكلّهم نسيج واحد، يحاولون من خلال توزيع الأدوار تشتيت جهودنا وإيقاعنا في حبائلهم. إنَّ ما يبدونه من تنوُّع في المواقف ليس سوى خديعة.

٦- ينبغي أن ننقّي صفوفنا من أولئك المتخاذلين الَّذين يدعون إلى إقامة حوار مع الآخَر. صحيح أنَّهم أبناؤنا، ولكنَّهم إمّا سُذّج نجح الآخرون في تضليلهم، أو لعلَّهم عملاءُ نجح الآخرون في دسِّهم داخل صفوفنا.

ولا نبالغ إذا ما أشرنا إلى أنَّ أيَّة قراءة متأنية للواقع العربيّ الرّاهن، تُرجِّح أنَّ غالبيَّة القائمين على صناعة المزاج العامِّ قد اتَّفقوا - على الرَّغم تباين مشاربهم ومسوِّغاتهم - على تدعيم صورة مؤادّها أنَّنا جميعًا على شفا كارثة، وأنَّ كلَّ جماعة منّا محاطة بعالم من الآخرين يناصبونه العداء. ولسنا في حاجة لتبيان تأثيرات ذلك المناخ على تعاملنا مع الواقع المحيط بنا، فهي تأثيرات جليَّة لا تحتاج إلى بيان.

التَّعصُّب إفراز للهزيمة وتعبير عنها

تردَّد بيننا مؤخرًا تساؤلات يشوبها قدر كبير من الدَّهشة والاستنكار: ماذا حدث لنا؟ لماذا نشهد ذلك الانتشار في استخدام أكثر أشكال التَّعامل خشونة وفجاجة وابتذالاً في ممارسة خلافاتنا؟ لماذا امتدَّت هذه الممارسات لتصل إلى أعلى المستويات القياديَّة في المجالات الحزبيَّة والسياسيَّة والرياضيَّة؟ لماذا انتشر ذلك النَّمط السُّلوكيُّ ليشمل حتَّى أولئك الَّذين يفترض فيهم عِفَّة اللِّسان ورهافة التَّعبير؟ لماذا تنتشر السُّلوكات التَّعصُّبية بين بعض قادة الرَّأي العامِّ من السُّلطة والمعارضة على حدٍّ سواء؟

إنَّ ما تنقله أجهزة الإعلام من ممارسات فرديَّة معدودة، ليس سوى قمة جبل العنف الَّذي صنعناه على عيوننا عبر سنوات طوال، ولكن كيف حدث ذلك؟

صحيح أنَّه لا يخلو مجتمع من عنف، وصحيح كذلك أنَّ العنف الراهن ليس قصرًا على مجتمعنا، ولكن كل ذلك لا يُسوِّغ تجاهل أنَّنا أمام تشكيل لمناخ جديد، وإلّا ففيم الدهشة إذن؟

ثقافة الهزيمة في مقابل ثقافة الانتصار

تتناول دراسات علم النَّفس السِّياسيِّ ما يطلق عليه «ثقافة الهزيمة» مقابل «ثقافة الانتصار». ومن أهمِّ ملامح تلك الثَّقافة لدى بعض الشُّعوب، ميل المهزوم إلى تحاشي إرجاع بعض عوامل هزيمته لأسباب داخليَّة تتعلَّق بالفساد واختلال القيم، واختزال الأمر في قوَّة المنتصر فحسب. ومن ثَمَّ فإنَّ السَّبيل الأضمن والأجدى والأفضل، بل الوحيد لمحو عار الهزيمة، أن تكون قويًّا.

ذلك ما حدث تحديدًا عقب هزيمة عام ١٩٦٧، الَّتي رُفع فيها شعار: «ما أخذ بالقوّة لا يُستردُّ إلّا بالقوَّة»، ولم يقتصر ذلك على صدام الجيوش، بل أصبح الأسلوب المفضل في حلِّ كافَّة أساليب الاحتجاج المدنيّ، مؤكِّدين أنَّ القوَّة وحدها

هي الحلُّ، وكلّ ما عداها ضعف وهوان واستسلام، ودأبنا على تعميق ذلك خلال عمليات تشكيل الوعي الاجتماعيِّ الَّتي مارسناها جميعًا دون استثناء.

لقد انتشرت في هذا المناخ فكرة أنَّ ما حدث ليس هزيمة، بل مجرد «نكسة تعرَّض لها العمل الوطنيّ». ومن ثَمَّ أصبحنا مهيئين لانتشار التَّفسير الدّينيِّ للهزيمة، الَّذي ترك بصماته العميقة على الجميع. وأبرز تلك البصمات يتمثل في سمتين أساسيَّتين:

• السِّمة الأولى: سيادة الإيمان بأنَّ تدهور واقع الأمة يرجع أساسًا إلى ابتعادنا عن «صحيح الدِّين» واقترابنا من العَلمانيَّة. وغنيٌّ عن البيان أنَّ هذا الملمح قد أصبح بمثابة الملمح السائد في نمط تنشئتنا الاجتماعيَّة السّائد رسميًا منذ يونيو عام ١٩٦٧ على الأقل حتَّى الوقت الرّاهن. إنَّه التَّيار الفكريُّ الَّذي أرجع هزيمة ١٩٦٧ إلى عَلمانيَّة النِّظام آنذاك، وأرجع «معجزة» أكتوبر عام ١٩٧٣ إلى صيحة «الله أكبر». وتكفي نظرة إلى مجمل المحتوى الإعلاميِّ لأجهزة الإعلام العربيَّة المقروءة والمسموعة والمرئيَّة رسمية كانت أو غير رسمية، ليتَّضح أنَّ التَّعبير عن هذا التَّيار الفكريِّ بالتَّحديد هو الأعلى صوتًا، والأكثر انتشارًا ونفوذًا وجماهيريَّة. ولم يَعُد الأمر قاصرًا على تفسير الهزيمة والانتصار، بل امتدَّ ليشمل كافَّة أوجه الحياة من النَّجاح والإخفاق في الدِّراسة أو في العمل، إلى تفسير المرض والشِّفاء، وكذلك الفوز والهزيمة في المباريات الرِّياضيَّة. فإحراز النَّجاح والإنجاز والصِّحة – وكلّها أمور دنيويَّة – لا يتحقَّق بفضل الجهد والإخلاص في العمل، ولكن يتوقَّف في المقام الأوَّل والأخير على درجة الالتزام بالطُّقوس الدِّينيَّة فحسب.

• السِّمة الثّانية: ترسيخ فكرة أنَّ العنف هو السَّبيل الأوحد لاسترداد الحقوق وردع المعتدي. وضربت تلك الفكرة في بنياننا الفكريِّ، وتجاوزت إلى حدود الصِّراع مع العدوِّ الخارجيّ، وأصبحت بمثابة الأسلوب الأوحد لمواجهة مصدر التَّهديد، خارجيًّا كان أو داخليًّا، وما ترتَّب على ذلك من القضاء على مؤسَّسات المجتمع المدنيِّ، والقضاء بالتَّالي على اكتساب أبنائنا مهارات النِّضال المدنيِّ السِّلميّ.

تراكم كلُّ ذلك شيئًا فشيئًا حتَّى أصبح بمثابة ضمير الأمَّة: «كن قويًا خشنًا عنيفًا مرهوب الجانَب تحظى باحترام الجميع وتضمن ألّا يعتدي عليك أحد. لا تسلك كالضُّعفاء فتلجأ للقضاء، أو تتعلَّق بأوهام الرَّأي العامِّ والاحتجاج المدنيِّ والتَّفاوض». واستمرَّ حرصنا على تعميق ذلك التَّوجُّه حتَّى الآن.

لقد تشكَّل مناخٌ يقدِّس العنف، ويشجِّع الإرهاب، ويلتمس المسوِّغات لمن يمارسونه؛ مناخٌ يشعرك بالخجل والاضطرار إلى تفسير سلوكك «الغريب» إذا لم تبتهج لرؤية الدِّماء، أو إذا ما تحدثت عن مزايا السَّلام. وهو مناخ يدعوك إلى إبادة من يخالفك إذا ما استطعت، وإلّا فلتكمِّمْ فمَه وتُخرس صوته، ولتشتمْه وتُهِنْه، فإذا عجزت عن كلِّ ذلك، فلتولِّه ظهرك مقاطعًا إيّاه، محتقرًا له، متعاليًا عليه نافيًا لوجوده.

والآن، هل يمكن القضاء على ذلك المناخ؟ هل يمكن أنْ نحوِّل دهشتنا واستنكارنا إلى فزعٍ صِحيٍّ حقيقيّ، يكشف أمام أعيننا جسامة ما حدث، ويدفعنا إلى البدء فورًا في محاولة إذابة جبل العنف والكراهيّة؟ هل ثَمَّة سُبل أُخرى لإدارة الصِّراع؟ هل يمكن البحث عن بديل للعنف في إدارة الصِّراعات بيننا؟ هل يمكن الحديث عن إمكانيَّة الصِّراع السِّلميّ؟ وهل يمكن حقًا مواجهة الظُّلم دون المبادرة فورًا إلى رفع السِّلاح، أو ما هو دون السِّلاح؟

الإدارة الحكيمة للصِّراع

تشير حقائق العلم فضلاً عن وقائع التَّاريخ إلى أنَّ الإدارة الحكيمة للصِّراع يمكن أن تحفظ الكثير من الدِّماء، ويمكن لها أن تصون العديد من الحقوق. ولتلك الإدارة الحكيمة للصِّراع قواعدها وأسسها العلميَّة. ومن هنا نشأ وتطوَّر مجالان تطبيقيّان من مجالات علم النَّفس السِّياسيِّ: «دراسات إدارة الصِّراع»، و«دراسات السَّلام». ولعلَّ أهمَّ ما خلصت إليه الدِّراسات في هذين المجالين يمكن تخليصها في ما يلي:

أوَّلاً: محاولة مواجهة المعتدي بالعنف، قد تكون الوسيلة الأكثر فعاليَّة وسرعة، ولكنَّها تفترض أن تكون أنت الأقوى والأقدر دائمًا، وإلَّا حاقت بك الهزيمة، وازداد المعتدي إمعانًا في عدوانه، ولا يصبح أمامك آنذاك إلّا الاستسلام أو الفرار أو الانتحار.

ثانيًا: المواجهة الفعليَّة لمواقف الحياة ينبغي أن تشمل عددًا لا نهاية له من البدائل، ممّا يمكن أن نطلق عليها تعبير: بدائل السَّلام الهجوميّ. وتتضمَّن مهارات القدرة على الحوار والمناقشة، وتفنيد الآراء وطرح البدائل، وجمع المعلومات وتحليلها، والتَّفاعل مع الآخرين، وتأجيل الإشباع، والتَّفاوض، وبناء التَّحالفات... إلخ.

ويحتاج التَّصدي لمخاطر تفضيل العنف إلى جهد مكثَّف، ونفس طويل، وتفكير علميٍّ وموضوعيٍّ، وشجاعة في مواجهة الذّات قبل مواجهة الآخر. ولكنَّه يحتاج قبل هذا كلِّه إلى أن نجيب في صدق وصراحة عن سؤال جوهريٍّ: هل نحن حقًّا نكره العنف ونحبُّ السَّلام؟

صناعة الحرب وثقافة السَّلام

تؤكّد دراسات علم النَّفس الإعلاميِّ أنَّ رواج سلعة معيَّنة لا يتوقَّف على مجرَّد الإعلان عن وجودها وعرض مزاياها، بل إنَّ الرواج الأمثل إنَّما يتحقَّق بقيام ثقافة مساندة للسِّلعة، تضمن لها دوام الطلب عليها. ويتطلَّب خلق مثل تلك الثَّقافة تشكيلاً لخريطة الوعي بما تتضمَّنه من معايير وقيم واتِّجاهات، بحيث يصبح الطَّلب على تلك السِّلعة جزءًا لا يتجزَّأ من نسيج تلك الثَّقافة. يصدق ذلك على صناعة السِّياحة بالقدر نفسه الَّذي يصدق على صناعة السّينما، وجراحات التَّجميل، وكذلك الأسلحة.

ولعلَّنا لا نضيف جديدًا إذا ما ذكرنا أنَّ صناعة السِّلاح تُعدُّ من أضخم مجالات الصِّناعة وأكثرها ربحيَّة، ولذلك فمن الطَّبيعيّ أن تسعى تلك الصِّناعة لدعم الثَّقافة الَّتي تساندها وتساعد على ترويجها، وأنْ تُجنِّد لنشر ثقافة الحرب، تراثًا ضخمًا من مختلف العلوم الإنسانيَّة، وفي مقدِّمتها الإعلام وعلم النَّفس، بل والتَّاريخ أحيانًا. وهكذا شهدنا عبر سنوات طوال آلاف الأفلام والكتب ودواوين الشِّعر، والدِّراسات «العلميَّة» الَّتي تصبُّ جميعًا في تقديس العنف، وتعتبره جوهر الطَّبيعة الإنسانيَّة، والسَّبيل الأوحد للحصول على الكرامة والاحترام والحفاظ على الحقوق.

لقد ازدهرت تلك الثَّقافة وضربت بجذورها في كافَّة مناحي الحياة؛ إذ لم يعد أمام الدُّول والجماعات مهربٌ من غواية الحصول على الأسلحة حتَّى لو لم تكن تخطِّط لقتال، فعليها دومًا تكديس الأسلحة لكي لا يجرؤ أحدٌ على الاعتداء عليها، وبحيث تستمرُّ تجارة السِّلاح في الازدهار تحت كافَّة الظروف. وما إنْ تشتعل الحرب حتَّى يبلغ ذلك الازدهار أَوْجَهُ، فلا يقتصر تدفُّق الأرباح آنذاك على منتجي

السِّلاح فسحب، بل يشمل المهرِّبين وتجّار السُّوق السَّوداء وغيرهم. وممَّا يدعم ذلك أنَّ مناخ الحرب بما يفرضه من سرِّيَّة – خاصَّة فيما يتعلَّق بصفقات الأسلحة وعمولاتها- يشجِّع على استشراء الفساد دون رقابةٍ أو خوفٍ من افتضاح، بخلاف ما ينبغي أن يفرضه السَّلام من شفافيَّة تتيح على الأقل فضح الفاسدين والمرتشين. ولعلَّنا ما زلنا نذكر تعبيرًا شاع بيننا خلال فترة الحرب العالميَّة الثانية عن «أغنياء الحرب»؛أي أولئك الَّذين ظهرت عليهم مظاهر الثَّراء فجأة، بفضل مناخ الحرب والسُّوق السَّوداء. غير أنَّ «أغنياء الحرب» هؤلاء لا يحتلّون سوى ذيل قائمة أغنياء الحرب الحقيقيين.

لقد أصدر الصّحفيُّ البريطانيُّ «جدوين باروز» عام ٢٠٠٢ كتابًا بعنوان: «صناعة السِّلاح»، استخدم فيه تعبير «المجموعة القذرة»، مشيرًا إلى قائمة الدُّول الَّتي تتصدَّر صناعة السِّلاح. وتتربَّع الولايات المتحدة على رأسها، تليها روسيا، ثمَّ فرنسا، ثمَّ بريطانيا، وألمانيا، ثمَّ هولندا. وتستأثر تلك الدُّول السِّتُّ بتصدير ٨٥٪ من السِّلاح في العالم، وتحتلُّ إسرائيل المرتبة الثّانية عشرة في تلك القائمة. ومن المثير للانتباه أنَّ الدُّول الأربع الَّتي تتصدَّر تلك القائمة أعضاءٌ دائمون في مجلس الأمن؛ المسؤول عن «السَّلام العالميّ».

نستطيع في ضوء ما تقدَّم أنْ نفهم مصدر تلك المقاومة الشَّرسة الَّتي تثيرها الدَّعوة لثقافة السَّلام، فهي في النِّهاية مجرَّد ثقافة لا تستند إلى صناعة تدعمها وترعاها، شأنها في ذلك شأن ثقافة الطِّبِّ الوقائيِّ في مقابل صناعة الأدوية، وثقافة حماية البيئة في مقابل الصِّناعات الملوِّثة للبيئة.

لقد استخدم «جدوين باروز» في كتابه تعبير «المجموعة القذرة»، وغنيٌّ عن البيان أنَّه لا يقصد بطبيعة الحال شعوب هذه الدُّول، فهو شخصيًّا ناشط بريطانيٌّ في حقل المنظَّمات غير الحكوميَّة المعارِضة لهذا النَّوع من التِّجارة. ومثله آخرون

- في كافَّة أنحاء العالم- يدعمون ويموِّلون ويقدِّمون أرواحهم -أحيانًا- دفاعًا عن تلك الثَّقافة. ولعلَّ بعضنا ما زال يذكر المناضلة الأمريكيَّة اليهوديَّة الدّاعية للسَّلام «راشيل كوري» البالغة من العمر ٢٣ عامًا، الَّتي سحقتها جرّافة إسرائيليَّة خلال احتجاجها على الممارسات الإسرائيليَّة في رفح في مارس ٢٠٠٣.

صحيح أنَّ مجموع أعداد النّاشطين في مجال ثقافة السَّلام في العالم لا يمكن أن يقارن بأعداد العاملين في أجهزة القتال والأمن في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وحدها مثلاً، وصحيح كذلك أنَّ تمويل أنشطة السَّلام بل وحتَّى أنشطة التَّعليم والرِّعاية الصِّحيَّة لا يمكن أن يقارَن بتلك المليارات الَّتي تُنفق على صناعة السِّلاح وتجارته، وصحيح كذلك أنَّ الدَّعوة لثقافة السَّلام تتعرَّض دومًا لمحاولة التَّزييف على صناعة السِّلاح وتجارته، وصحيح كذلك أنَّ الدَّعوة لثقافة السَّلام تتعرَّض دومًا لمحاولات التَّزييف والتَّهجُّم، ووصمها بأنَّها ليست سوى دعوة لاستسلام المظلوم للظّالم، وأنَّها نقيض لثقافة المقاومة؛ مع كلِّ ذلك، فإنَّ ثقافة السَّلام مازالت -بالرَّغم من كلِّ العقبات- تحاول الاستمرار في الحياة، مستندة إلى تزايد الدَّمار الَّذي تُحدثه تكنولوجيا الأسلحة المتطوِّرة، وما تُنذر به أسلحة الدَّمار الشّامل الأكثر تطوُّرًا، وما يؤدي إليه ذلك من تزايد وعي مَن يدفعون ثمن الحرب، ويتحمَّلون خسائرها وويلاتها.

ولهذا يغدو البحث عن مخرج أمرًا ضروريًّا يكاد يكون فرض عين على كلِّ مهتمٍّ بشؤون الوطن، ولكنَّ الاندفاع الفرديَّ لتحديد العلاج النّاجع لن يكون مجديًا، مهما خلصت النَّوايا. إنَّنا لسنا حيال لغز فكريٍّ يبحث عن حلٍّ عبقريٍّ غير مسبوق، بل العكس قد يكون صحيحًا، فكلُّ مهتمٍّ بشؤون الوطن لديه تصوُّرٌ لحلٍّ ما.

إنَّنا حيال أزمة اجتماعيَّة فكريَّة معقَّدة، تحتاج مواجهتها إلى فعل إيجابيٍّ ضمن خطَّة مدروسة. ويعلِّمنا التّاريخ أنَّ الاندفاع لفعلٍ لا تجمع عليه الأمَّة، يصبُّ في خانة أعدائها، مهما كان بريق الفعل، ومهما كان إخلاص مَن يقدمون عليه ووطنيَّتهم. وينطبق هذا على الجميع، فالممسكون بالسُّلطة قد يغيِّرهم اقتناعهم بأنَّهم يعملون لصالح الجمهور فيتعالون عليه، مستندين إلى قوَّتهم. ومن ناحية أخرى فإنَّ المعارضين للسُّلطة قد تغريهم عدالة مطالبهم، وتباطؤ استجابة السُّلطة لتلك المطالب، فيندفعون إلى تصعيدٍ غير محسوب، يضعهم في مواجهة السُّلطة.

ومكمن الخطر أنْ ينسى الجميع أو يتناسوا أنَّهم جميعًا – سلطة ومعارضة – في قارب واحد، وأنَّ الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة لم تَعد كما كانت على أبواب المنطقة، بل أصبحت في قلبها بالفعل، ولم تَعد تحرص على إخفاء خططها. ولم يعد الأمر يحتاج إلى حصافةِ عقلٍ أو تخصُّص ليدرك المرء أنَّ الموجة القادمة لا تستثني أحدًا مهما كان موقعه، معارضًا كان أو مساندًا للسُّلطة، وأنَّ مسوِّغات التَّدخُّل الأجنبيّ لا تحتاج إلى استنتاج، فهي ماثلة أمامنا.

ومكمن الخطر كذلك، أنْ ينسى الجميع أو يتناسوا أنَّ مناخنا الفكريَّ يعاني من غياب سمة التَّسامح الَّتي ميَّزته تاريخيًّا، وأنَّ ممارستنا السِّياسيَّة قد افتقدت لحقبة طويلة، أساليبَ الاحتجاج المدنيِّ، وقواعد التَّعامل معها. وفي مثل هذا المناخ يصبح العنف هو الأسلوب المُفضَّل.

فهل يمكن أنْ ترى الأجيال القادمة تصاعد وعي المقهورين والمظلومين وضحايا الحروب بإمكانيّات وجدوى النِّضال السِّلميّ والكفاح المدنيِّ، مقابل ذلك الثَّمن الباهظ، والنَّتائج غير الحاسمة للاعتماد على السِّلاح؟

العنف وعَلاقته بالاضطرابات النَّفسيّة، والجنسيَّة، والإدمان

د. ماجد موريس إبراهيم*

مقدمة

لسُّلوك الفرديّ تعبير مستمرٌّ عن عمليَّة حواريَّة دائمة بين الفعل أو الرَّغبة في الفعل، وبين البنى الاجتماعيَّة، والخلفيَّة البيئيَّة الثَّقافيَّة. وإذا أردنا أنْ نحلِّل ظاهرة العنف في المجتمع، فإنَّه يجدر بنا أن نرجعها إلى عنصرين أساسيين، يتفاعلان على الدَّوام، هما: الفرد والمجتمع.

يتحرَّك كل إنسان على مدى سنيِّ حياته وَفق ما يتصوَّر أنَّه الأفضل والأجدى، ولكنَّ هذا التَّحرُّك ليس حرًا على الإطلاق، لأنَّه محكوم بضوابط، ومقيَّد ببدائل معيَّنة يقدِّمها له المجتمع أو ينكرها عليه. من هنا تأتي ضرورة تحليل ظاهرة العنف في المجتمع العربيِّ بعامَّة، ولدى الشَّباب بخاصَّة، في ضوء ثلاثة عناصر هامَّة، تتعلَّق بالاضطرابات النَّفسيّة، وإدمان المُخدِّرات والمؤثِّرات العقليَّة، والاضطرابات الجنسيَّة.

---

* استشاري الطب النَّفسيّ بمعهد الطب القومي بدمنهور/مصر.

الاضطرابات النَّفسيّة والعنف

تختلف تعريفات الصِّحة النَّفسيّة باختلافات الخلفيَّة الثَّقافيَّة وتوقُّعات المجتمع من الفرد، ومنظومة القيم الدِّينيَّة والمناخ السِّياسيِّ.

والصِّحة النَّفسيّة في إحدى تعريفاتها هي النَّجاح في القيام بالوظائف العقليَّة، بما يتبع ذلك من المشاركة في الأنشطة الإيجابيَّة والاستمتاع بعلاقات مُشبَعة، والقدرة على التَّكيُّف مع الظُّروف المعاكسة. وتُمكِّن الصِّحة النَّفسيّة مَن يتمتَّع بها من التَّفكير المنطقيِّ ومهارات التَّواصل، والتَّعلُّم والنُّمو الوجداني، والتَّعافي السَّريع بعد الأزمات، وتحقيق قدر معقول من المكانة الذَّاتيَّة.

ومن الصَّعب أنْ نضع حدًّا فاصلاً على نحوٍ قطعيٍّ بين الصِّحة النَّفسيّة والمرض أو الاضطراب النَّفسيّ، ولهذا لجأ علماء النَّفس إلى النَّظر للصِّحة النَّفسيّة بوصفها نقطة على محورٍ واسعِ المدى يصل بين قطبين، ولنفترض أنَّ قطبيٍّ أحد هذين المحورين هما التَّكيُّف، وسوء التَّكيُّف؛ بمعنى أنَّ سلوكات الأشخاص تتفاوت في قدراتها على حلِّ المشاكل والتَّعامل مع المستجدّات والمتغيِّرات. فالأشخاص سيّئو التَّكيُّف هم مَن يتركون مشكلاتهم تتفاقم حتَّى تَنتج عنها مشكلات أُخرى معوِّقة على المستويين: الاجتماعيِّ والمهنيِّ. وعلى محور آخر يمكن أن يكون قطبا التَّكيُّف هما: البناء والهدم. فالشَّخص الَّذي يقترب من السِّمات الهادمة هو الَّذي لا يفشل فقط في حلِّ مشكلاته، وإنَّما يعمد إلى تدمير ذاته نفسيًّا وبيولوجيًّا، إلى الدَّرجة الَّتي يتأثَّر به تأثُّرًا بالغًا ومدمِّرًا أقربُ النَّاس إليه. أمَّا الشَّخص البنَّاء، فهو الَّذي يسعى باستمرار تجاه النُّمو العاطفيِّ والعقليِّ والبدنيِّ.

إنَّ فهمنا للصِّحة النَّفسيّة ضروريٌّ لفهم طبيعة الاضطراب النَّفسيّ. فإذا كانت الصِّحة تعني السَّعادة والمرح، فإنَّ الاضطراب النَّفسيّ يعني الحزن والاكتئاب. وإذا كانت الصِّحة النَّفسيّة تمنح من يتمتَّع بها القدرة على التحكُّم في السُّلوك فإنَّ الاضطراب النَّفسيّ يسلب المصاب به هذه القدرة على التَّحُّكم في سلوكه الَّذي يغدو سلوكًا عدوانيًّا. لو كانت الصِّحة النَّفسيّة تعني القدرة على الإدراك الواقع والانسجام بين الفكر والسُّلوك والوجدان، لكان المرض النَّفسيّ يعني الفصام بين هذه الدَّوائر الثَّلاث اللَّازمة لتكامل الشَّخصيَّة. فالشَّخص المستقلُّ الواثق بقدراته هو من يتمتَّع بقدرٍ وافرٍ من الصِّحة النَّفسيّة. والشَّخصيَّة السَّلبيَّة الاعتماديَّة توصَف بأنَّها تعاني من المرض النَّفسيّ.

وسوف نحاول في العجالة التَّالية أن نجيب عن ثلاثة أسئلة: ما العلاقة بين الاضطراب النَّفسيّ والعنف؟ وما طبيعة هذه العلاقة؟ وما عوامل دعم الصِّحة النَّفسيّة؟

الاضطراب النَّفسيّ والعنف

ربط بعض الباحثين بين المرض النَّفسيّ والعنف، بعد ملاحظتهم انتشار حالات العنف والإفراط في النَّشاط النَّفسيّ الحركيِّ بين المرضى النَّفسيّين، وكذلك لوجود نسبة من الموقوفين بسبب جرائم العنف، ممَّن يعانون من أمراض نفسيَّة. وتدلُّنا الإحصائيّات الدَّقيقة على أنَّ ٧٪ ممَّن يعالجون من أمراض نفسيَّة كبرى كالفصام أو الاضطراب الوجدانيِّ، يرتكبون فعلاً عدوانيًّا على الأقلِّ في العام، في حين لا تزيد النِّسبة على ٢٪ عند الأشخاص الآخرين. وتصل النِّسبة إلى ٢٩٪ إذا اقترن المرض العقليُّ بالإدمان. ومع هذا فإنَّ العلاقة بين العنف والاضطراب النَّفسيّ تظلُّ غير واضحة، لأنَّ بعض الأمراض النَّفسيّة - بحكم تعريفها ووصفها - لا يمكن

أن تتَّصف بأنَّها سلوكات عنف، ومثال ذلك حالات الاكتئاب الشَّديدة المصحوبة بالعزلة وبطء النَّشاط والتَّفكير، وكذلك حالات الانفصام حين تغلب فيها الأعراض السَّلبيَّة الَّتي تتمثَّل في فقر الفكر والانطواء، وتجنُّب الاستجابة للمؤثرات المحيطة. ولهذا السَّبب نفضِّل أن ندرس العلاقة بين أعراض الاضطراب النَّفسيّ (بصرف النَّظر عن الزملة الكاملة الَّتي تلزم للتَّشخيص الإكلينكيّ) وبين السُّلوكات المتَّسمة بالعدوانيَّة والعنف.

فقد بينت الدِّراسة الَّتي أجراها «بارتلز» عام ١٩٩١ على ١٣٣ مريضًا بالفصام أنَّ نسبة كبيرة من العنف سببها ما يعاني منه المرضى من هلاوس hallucination وضلالات delusions. وكذلك وجد «زوبور» و«كراكوفسكي» ١٩٨٩ عددًا من الحالات الَّتي قتل فيها الأب أو الأُمُّ بواسطة أحد الأبناء (١٤ حالة أُم، و٣ حالات أب)، ووجد أنَّ وراء هذه الجرائم كلّها ضلالات الاضطهاد delusion of persecution وضلالات توهُّم المرض Hypochondriases. ومن جهة أخرى وجد «ستارزينكس» عام ١٩٩٣ أنَّ ٢٩٪ من حالات عنف الأزواج ضدّ زوجاتهم سببها ضلالات خيانة الزَّوجة delusion of infedilty. في بعض الحالات النّادرة يساعدنا تحليل مستوى الهلاوس أو الضَّلالات على استنتاج شخصيَّة الضَّحيَّة المستهدَفة، بما يساعد على الاحتياط اللّازم، وكثيرًا ما نتنبَّأ ببعض حالات الانتحار عندما تأمر الهلاوس صاحبها بقتل نفسه. وقد لوحظ – في حالات كثيرة– أنَّ الشَّخص الَّذي يعاني من اضطراب نفسيٍّ يسلك سلوكًا عنيفًا، دون أن يكون المرض النَّفسيّ هو السَّبب المباشر، لأنَّ بعض أفعال العنف تتمُّ في أوقات كمون الأعراض النَّشِطة. وقد ثبت أنَّ٢١٪ من المرضى الَّذين ارتكبوا الجرائم قالوا إنَّ الأعراض المَرضيَّة كانت يقينًا هي السَّبب،

في حين رجَّح ٢٦٪ من المرضى أنْ تكون الأعراض هي السَّبب. وتُعدُّ الضَّلالات ذات تأثير أقوى على الشَّخص من الهلاوس. وتقلُّ نسبة الاستجابة للهلاوس كلَّما زادت خطورتها؛ بمعنى أنَّ البصيرة الذاتيَّة للشِّخص لا تغيب تمامًا في كلِّ الأحوال.

اتجاهات العلاقة بين الاضطراب النَّفسيّ والعنف

لا يفقد مرضى الاضطراب النَّفسيّ جميعهم مَلَكاتهم العقليَّة كلّها، فكثيرًا ما يحافظون على درجة عالية من الذَّكاء مدَّة طويلة. وبعض مرضى الضَّلالات يرتكبون أعمالاً عنيفة بتدبير مُحكَم للدِّفاع عن النَّفس. ومع أنَّهم يقتنعون بأفكار خاطئة اقتناعًا شديدًا، إلا أنَّهم يتصرَّفون بحرص وحنكة للدِّفاع عن أنفسهم، وهذا ما نطلق عليه مبدأ العقلانيَّة المبنيَّة على اللاعقلانية rationality within irrationality. ولهذا السَّبب نجد أنَّ ضلالات الاضطهاد تؤدِّي إلى العنف كلَّما كانت منظَّمة organized delusions، لأنَّ هذا التَّنظيم تتبعه دقَّة في إدراك الإحساس المشوَّه بالواقع، ومن ثَمَّ يأتي العنف. أمَّا إذا كانت الضَّلالات غير منظَّمة disorganized فإنَّها تُنتِج سلوكًا عشوائيًّا غير محكمٍ.

والعلاقة بين الاضطراب النَّفسيّ والعنف علاقة ثنائيَّة الاتِّجاه، فكلاهما يؤدِّي إلى الآخر، وكذلك فإن السُّلوك الَّذي يتميَّز بالعنف يمكن أنْ يتعلَّق بعدد من السِّمات الشَّخصيَّة الأُخرى مثل المزاج العام. وكلَّما زادت مشاعر الخوف والقلق وترقُّب الخطر والحزن، زادت احتمالات العنف، وكلَّما زاد الانضباط العامُّ في الوسط المحيط قلَّت نسبة العنف. ويزداد العنف بغياب الانضباط وسيادة الفوضى، سواء في الأسرة أو المجتمع. وفي بعض الحالات تسير العلاقة السَّببيَّة في اتِّجاه عكسيٍّ، حين يؤدِّي العنف إلى الاضطراب النَّفسيّ، وأمثلة ذلك كثيرة

بين الشَّخصيات الَّتي عانت في طفولتها من سوء المعاملة البدنيَّة أو الجنسيَّة Physical sexual abuse، أو الَّذين تربُّوا في ظلِّ أسرة قاسية وأب حازم، أو مَن نشأوا في مجتمع سلطويٍّ بوليسيّ، أو في بيئة صحراويَّة جديبة نائية. وحيثما ازداد تأثير العنف كمسبِّب للاضطراب النَّفسيّ ازداد الفقر. وما يفسر ذلك هو أنَّ الأشخاص المنتمين لأسفل السُّلَّم الاجتماعيِّ يقعون تحت تأثير الضَّبط الخارجيِّ، ويفتقدون بدرجات كبيرة الإحساس بالذاتيَّة autonomy والقدرة على الضَّبط الدّاخليِّ internal control. وكذلك تقلُّ عندهم آليّات التَّكيُّف وذكاء حلِّ المشكلات، وتظهر بعض اضطرابات الشَّخصيَّة الَّتي تتَّسم بالعنف، وتكون أوضح ما تكون لدى الشَّباب، وكلّها لها جذورها الوراثيَّة، بالإضافة إلى ظروف التَّربية والتَّنشئة. ومن هذه الاضطرابات: اضطراب الشَّخصيَّة ضدّ الاجتماعيَّة Antisocial personalty، واضطراب الشَّخصيَّة الحَديِّة Borderline personality، واضطراب الشَّخصيَّة الضَّلاليَّة Paranoid personality، واضطراب الشَّخصيَّة شبه الفصاميَّة Schi typal Personalit.

العوامل الَّتي تساعد على دعم الصِّحة النَّفسيّة للشَّباب

عند النَّظر لما يحتاجه الشَّباب لدعم شخصيَّاتهم وتغذية روافد الصِّحة النَّفسيّة، نرى أنَّ هذه الرَّوافد إمَّا أنْ تكون شخصيَّة، أو بين شخصيَّة، وتكون عوامل ثقافيَّة بيئيَّة. وتتعلَّق الرَّوافد الشَّخصيَّة للصِّحة النَّفسيّة بالنَّظرة الإيجابيَّة للذّات الحيويَّة، والنَّشاط والبحث عن معنى للحياة، والانسجام النَّفسيّ والصِّحة البدنيَّة.

وهناك روافد أُخرى تتعلَّق بالتَّواصل الجيِّد المؤثِّر، والعلاقات الحميمة، والتَّأهُّب لمساعدة الآخرين، والتَّوازن بين الارتباط والتَّفرُّد. ومن ناحية أخرى نجد

أنَّ البيئة الثَّقافيَّة للصِّحة النَّفسيّة تتعلَّق بمظاهر الانتماء للمجتمع، والوازع الدِّيني والرُّوحيّ، ودعم المجتمع لفكرة التَّنوُّع داخل الوحدة، والانضباط العامّ الَّذي لا يسمح بالفوضى.

ولتغذية هذه الرَّوافد، يلزم أنْ نوفِّر للشَّباب عددًا من العناصر، من أهمِّها الدَّعم الماديّ والمعنويّ من الأُسرة والأصدقاء والمجتمع، ومستوى معقول من الثَّقافة الدِّينيَّة بمفهوم الجوهر وليس بمفهوم المظهر، بالإضافة إلى ضرورة تحسين الأحوال المعيشيَّة بيئيًّا واقتصاديًّا، مع وجود المنظومة العامَّة للقيم الَّتي تتناغم مع المنظومة الخاصَّة بالأقليّات، وكذلك تشجيع العادات الصِّحيَّة العامَّة، والعناية بالصِّحة البدنيَّة، وبالتَّوازن الهرمونيِّ والغذائيِّ.

المراجع

١-إلياس زحلاوي (مترجم). **المجتمع والعنف**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٩٣. ص١٢٢-١٥٣.

٢-ماجد موريس إبراهيم. **الإرهاب. الظاهرة وأبعادها النَّفسيّة**. دار الفارابي. بيروت ٢٠٠٥. ص٢٣٧-٢٥٠.

3- Olf oeber Dale Hay. Ey Issues in the development of aggression and violence from childhood to adulthood. Annu Eveiw. Psychol. 7 48: 37-40.

4- Ohn unginger. Psychosis and Violence: the case of content analysis of psychotis experience. Schi ophernia Bulletin. 22: -0

5- Virginia Aldige Hidy. The social context of mental illness and violence. Ournal of health and social behavior. 3: 22-37.

6- Alpha AA awarence. The Anatomy of violence. Med as. 3: 407 – 4.

7- Ileen Murno udith umgay. 2000. Ole of risk assessment in reducing homicide by people with mental illness. Birtish ournal of psychiatry, 7: - 20.

8- Varcarolis li M.200. Foundations od psychiatric Mental Health Nursing. Clinical Approach. 5th edition. Missouri Saunders lsevier.

المُخدِّرات والمُسكِرات والعنف*

د. ماجد موريس ابراهيم**

تبدأ العلاقة بين المراهق أو الشابِّ وأنواع المُخدِّرات بالتَّجريب العارض، الَّذي قد يتطوَّر إلى سوء الاستعمال وقد يتمادى إلى الإدمان، والنِّسبة بين الحالات الثَّلاث سالفة الذِّكر هي ١:٤:١٦؛ أي إنَّه من بين كل ١٦ شخصًا يجرِّب المادَّة يصل في نهاية المطاف شخصٌ واحدٌ إلى مرحلة الإدمان. وبعد التَّجريب قد يمارس الشَّخص الاستعمال الخاطئ misuse للعقاقير الطِّبيَّة عن طريق وصفة طبيَّة، أو بالشِّراء من صيدليَّة غير ملتزمة بآداب المهنة، وهي درجة أقلّ وطأة من سوء الاستعمال، Abuse وهي الاستعمال المتكرِّر لأدوية المؤثِّرات العقليَّة بغرض التَّطبيب الذّاتيِّ، بحيث يتجاوز الجرعات والمدَّة المحدَّدة ويضطرُّ للخروج على القانون أو العرف الاجتماعيِّ. ثمَّ تأتي الاعتماديَّة dependence، وفيها يستعمل الشَّخص المادَّة المرغوب فيها مدَّة طويلة حتَّى يعتاد عليها نفسيًّا، دون أنْ يتسبَّب عن عدم استعمالها أعراضٌ انسحابيَّة. ويتَّسع هذا المفهوم ليشمل التَّعوُّد على الألعاب الخطرة أو العنيفة، أو قضاء ساعات طويلة أمام الإنترنت. وآخِر المراحل

* أُعدَّت هذه الورقة للمناقشة في المحور الثاني للمؤتمر الذي تناول موضوع «**المخدّرات والمُسكرات، والتدخين، والأمراض الجنسيّة**» (أنظر الورقة التالية حول موضوع «**الاضطرابات الجنسيّة والعنف**»).

**استشاري الطب النّفسي بمعهد الطب القومي بدمنهور/مصر.

هي مرحلة الإدمان Addiction، وفيها يستعمل الشَّخص المادَّة بتكراريَّة وبجرعات متزايدة، يؤدِّي التَّوقُّف عن استعمالها إلى ظهور أعراض انسحابيَّة مربكة للوظائف الفسيولوجيَّة، وإلى سلوكات خطرة تستعصي على المقاومة، وتدفع للتَّمادي في البحث عن المادة، لمزيد من التَّعاطي، بما يؤدِّي إلى مضاعفات ضارّة على المستويين: البدنيِّ والعقليِّ.

يتعرَّض مَن يتعوَّدون استعمال المُخدِّرات بأنواعها إلى حالات طارئة، نذكر منها أعراض التَّسمّم Intoxication، حين يزيد تركيز المادَّة في الدَّم فتؤثِّر في الوظائف العقليَّة، وتؤثِّر في درجة الوعي، وفي وظائف القلب والجهاز التَّنفسيِّ. وقد يعاني الشَّخص من الأعراض الانسحابيَّة withdrawal symptoms إذا لم تتوفر المادَّة الَّتي أدمنها، أو إذا نقصت الجرعة بطريقة مفاجئة. ولكلِّ مادَّة أعراضها الانسحابيَّة المميّزة، الَّتي تشمل في مجملها: اضطراب درجة الوعي وضغط الدَّم، وعدد دقّات القلب، والتَّوتُّر العضليّ، واضطراب الجهاز الهضميّ، وأحيانًا نوبات من التَّشنُّجات، بالإضافة إلى اضطرابات السُّلوك والفكر والعواطف.

ومن الآليّات الفسيولوجيَّة في الإدمان آليَّة التَّعوُّد Tolerance، وفيها يقلُّ تأثير الجرعة المحدَّدة، أو يحتاج الشَّخص لجرعة أكبر حتَّى يستمتع بالتأثير الَّذي تعوَّد أنْ يصل إليه بجرعة أقلَّ. ويبدو التَّعوُّد أيضًا في قدرة الشَّخص على أداء وظائفه المعتادة بالرَّغم من تعاطيه المادَّة المخدِّرة. وفي إطار الخلفيَّة الاجتماعيَّة الَّتي يعيشها الشَّخص المدمن، هناك مصطلح يُعرف بمصطلح «المدمن المشارك Co Dependence»، والمقصود بهم أفراد الأسرة الَّذين يؤثِّرون ويتأثَّرون بعمليَّة سوء استعمال المادَّة، ومَن يوفِّرون المال أو المادَّة المخدِّرة أو يُسهِّلون شراءها، أو يتغاضون عن السُّلوك المنحرف، ويحولون بين المدمن والعلاج نتيجة حالة الإنكار denial، الَّتي تأبى الاعتراف بوجود مشكلة تتطلَّب العلاج طبيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا.

المُخـدِّرات والمؤثِّـرات العقـليَّة

Narcotics and Psychoactive Substances

المُخدِّرات نباتات طبيعيَّة تؤثِّر في درجة الوعي والملَكات العقليَّة العليا كالتَّركيز والانتباه، وتثير مشاعر البهجة والارتياح. أمَّا المؤثِّرات العقليَّة فهي الأدوية الَّتي تُصنع لأغراض طبيَّة ولكن يُساء استخدامُها في غير موضعها حتَّى يدمنها الشَّخص ولا يستطيع التَّخلُّص منها من دون علاج. ومن المُخدِّرات: الحشيش Cannabis والأفيون pium والكوكايين Cocain والقات hat وغيرها ممّا يُسوَّق بطرق غير شرعيَّة Street Drugs. وهناك ما يعرف بالعقاقير - الَّتي لها أيضًا تأثيرات عقليَّة- وتتضمَّن الأدوية المنشِّطة مثل: أمفينامين Amphetamine ومثيل فينيدات Methylphenedate ومجموعة المنوِّمات، ومضادّات القلق مثل: فينوباريتونPhenobarbital وديازيبين Ben odia epine ومشتقّاتها. والقواعد الحاكمة لصرف هذه الأصناف غير مُفعَّلة بدرجة كافية في معظم البلاد العربيَّة مقارنة بالغرب. وكذلك نجد الأصناف المختلفة من الكحول thyl alcohol بأسمائها التِّجاريَّة وتركيزاتها المختلفة. ويتعامل جسم الإنسان مع كلٍّ من الموادِّ السَّابق ذكرها من خلال عمليات التَّمثيل الغذائيِّ أو الأيض metabolism، فتنتج عن المادَّة الخام أو المُصنَّعة مادَّة نشطة تصل من خلال الدَّورة الدَّمويَّة إلى المخ، فتؤثِّر على المستقبِلات العصبيَّة المنتشرة، فتسبِّب التَّأثير المرغوب فيه. فالأفيون ومشتقّاته تؤثِّر في مستقبِلات الأندورفين والأنكفالين endorphins encephalin، في حين يؤثِّر الكوكايين على مستقبِلات الدوبامين Dopamine السيروتونين serotonin والنورابينفيرين Norepinephrin وتُحدث الكحول تأثيرها عن طريق مستقبِلات الجلوتامين glutamine.

أبعاد حجم انتشار المشكلة (الوبائيّات)

بالرَّغم من عدم دقَّة الأرقام الإحصائيَّة في الدِّراسات المسحيَّة لهذا النَّوع من المشكلات، بسبب الإنكار أو عدم الصِّدق في الإدلاء بالبيانات، فإنَّه أمكن بطرق غير مباشرة افتراض أنَّ نسبة تجريب المُخدِّرات والمؤثِّرات العقليَّة في المرحلة العمريَّة ١٥-٢٥ سنة يبلغ ١٠-١٢٪، ونسبة سوء الاستعمال ٢,٥ -٣٪، وتصل نسبة المدمنين في المرحلة العمريَّة نفسها إلى ١٪ دون اختلافات كبرى بين البلاد العربيَّة.

وعلى مدى عقود زمنيَّة عرفت الشُّعوب العربيَّة المُخدِّرات وتداولتها في جوٍّ من التَّصالح مع الظّاهرة. وكانت أكثر المُخدِّرات المستعملة من الأنواع الطَّبيعيّة مثل الحشيش والأفيون، يليهما الكحول، ولكن في العقود الثَّلاثة الأخيرة قفزت الظّاهرة لتحتلَّ بؤرة الاهتمام، بسبب تعدُّد المضاعفات الاجتماعيَّة والصِّحيَّة والجنائيَّة الَّتي نتجت عنها، بالتَّزامن مع ظهور الموادِّ المُصنَّعة مثل أدوية المؤثِّرات العقليَّة والهيروين.

ومع العولمة ازداد عدد العقاقير الَّتي يساء استخدامها وتضاءلت محليَّة الظّاهرة؛ إذ نجد أن الإدمان ينتشر في كلِّ الطَّبقات الاجتماعيَّة. وتوجد بعض الدِّراسات الَّتي تُرجِّح ارتفاع نسبته في الطَّبقات الفقيرة، وأنَّ ارتفاع النِّسبة في هذه الطَّبقات يرجع إلى لجوئها إلى الجهات الحكوميَّة، سواء في العلاج أو طلب الإرشاد النَّفسيّ، وكذلك لأنَّها أكثر عرضة للوقوع تحت طائلة القانون. ولهذا السَّبب، تُعدُّ الأرقام الَّتي تشير إلى ارتفاع نسبة المدمنين في أوساط الطَّبقات الفقيرة، أرقامًا زائفة.

وينتشر الإدمان عند صغار السِّن ومن بينهم أطفال الشَّوارع، ويبلغ متوسط العمر على مستوى الوطن العربيِّ ٢٠ سنة، مع ملاحظة أنَّ سنّ الإدمان في مصر والمغرب وعُمان أقلّ قليلاً من مثيله في لبنان والسُّعودية. وينتشر الإدمان بين الرِّجال أكثر من انتشاره بين النِّساء، ولكنَّ عدد النِّساء يزداد عامًا بعد عام. وتشير الدِّراسات إلى أن معدَّل انتشار الموادِّ يأتي بهذا التَّرتيب من الأكثر إلى لأقلِّ: السجائر، أدوية المؤثِّرات العقليَّة، الكحول، الحشيش، الأفيون ومشتقّاته، الهيروين وأخيرًا القات. وتتنوَّع طرق استخدام المُخدِّرات بين التَّدخين والاستنشاق والخلط مع الحلويّات مثل الحشيش، أو استنشاق الزُّيوت الطَّيّارة والموادّ اللَّاصقة، أو التَّدخين واستنشاق الكوكايين، أو المضغ مثل القات، أو المضغ والتَّدخين مثل الأفيون، أمَّا ما يُستعمل عن طريق الحَقن فينحصر في الهيروين والكوكايين والأمينكامين.

السِّمات المحليَّة للإدمان

توجد سمات محليَّة للإدمان تختلف بين بلد وآخر: فالإدمان في مصر مثلاً، هو مشكلة المتعلِّمين غير المتزوِّجين، الَّذين تنتشر بينهم السِّمات العصابيَّة neurotic والانبساطيَّة extroversion. والدّافع الأوَّلي لهذا الإدمان هو حبُّ الاستطلاع في ٦٦٪ من الحالات، والإحباط في ٢٧٪ من الحالات، و٢١٪ من الحالات يكون السَّبب هو البحث عن وسيلة لقضاء وقت الفراغ. وكذلك فإنَّ ٢٨٪ من المدمنين يستعملون مادَّة واحدة، و٤٦٪ يستعملون أكثر من مادَّة، و٦٦٪ من مستعملي الهيروين يدمنون أيضًا أدوية السُّعال والمُسكِّنات ومضادّات الاكتئاب. ويبلغ متوسط المدَّة الَّتي يتوقَّف فيها المدمن عن الاستعمال بعد العلاج ١١,٦٥ شهرًا في ٨٢٪ من الحالات، وعادة ما يكون الانتكاس بسبب نمط الحياة الَّذي لم يتغيَّر والتَّعوُّد النَّفسانيّ. وقد لوحظ أنَّ الاستعمال في لبنان قد زاد بصورة وبائيَّة إبّان

الحرب الأهليَّة في الفترة ١٩٧٣-١٩٩٠، وبلغ متوسط العمر ٣٠ سنة. أمَّا استعمال المادَّة للمرَّة الأولى فكان في سن ٢٠ سنة، وبلغت نسبة الرِّجال للنِّساء ١:٤، وأكثر المواد المستعملة هي الهيروين في ٨٠٪ من الحالات. ولوحظ زيادة الاستعمال في المدن الكبرى. ومِن بين مدمني الهيروين وُجد أنَّ ١٧٪ منهم يستعملونه بالحَقن، بالإضافة إلى الحشيش والكوكايين.

ومن العوامل الَّتي فسَّرت انتشار الظاهرة: الحرب والخوف، وتوافر الموادِّ، والاستعداد الشَّخصيُّ، والأزمات الاقتصاديَّة، بالإضافة إلى المناخ العامِّ المنفتح والمتسامح. وفي لبنان وُجد أنَّ ٣٦٪ من السُّكّان مدخِّنون، منهم ٨٨٪ يدخِّنون السَّجائر، و١١,١٪ منهم يدخِّنون الأرجيلة من بينهم ٥٧٪ من النِّساء، وترتفع نسبة تدخين الأرجيلة عند صغار السِّنِّ وغير المتعلمين.

وفي الكويت نجد أنَّ ٢٤٪ من المدمنين يستعملون الأفيون، و١٠٪ كحوليات، و٥٪ الأمفيتامين والعقاقير المنشِّطة، و٤٠٪ الأدوية المهدئة والمنوِّمة، ونسبة ٤٠٪ يتعاطون الحشيش، مع ملاحظة زيادة استعمال الكحول والأدوية المهدِّئة في السَّنوات الأخيرة.

ويُعدُّ القات من النَّباتات المنتشرة في اليمن. ويُستعمل عن طريق المضغ خاصَّة في اليمن والصُّومال وشرق السودان. والمادة الفعّالة فيه يتشابه مفعولها مع المنشِّطات وهي مادَّة كاثينون Cathenon وألفا أمينوبر وبيوفان Alpha amino propiophan. ولم تُدرجه منظَّمة الصِّحة العالميَّة ضمن المُخدِّرات؛ لهذا كان استيراده مسموحًا في الولايات المتَّحدة حتَّى وقت قريب، مع أنَّه ممنوع في كلٍّ من فرنسا وسويسرا. وتفيد آخر التَّقارير أنَّه يتسبَّب في بعض الأعراض الذّهانيَّة.

وهناك بعض المعلومات عن خريطة انتشار الموادِّ المخدِّرة في الوطن العربيِّ؛ إذ ينتقل الهيروين إلى منطقة الخليج من أفغانستان عبر إيران. وتُعدُّ

تركيّا مصدر الكوكايين المهرَّب إلى سوريا ولبنان والعراق. والماريجوانا من أكثر المُخدِّرات المنتشرة في مصر، يليها الحشيش والهيروين والكوكايين والأمفيتامين والإكتساسي Ecstasy.

وتعتبر لبنان من أهم مصادر أدوية المؤثِّرات العقليَّة، وتنتشر فيها زراعة الحشيش في بعلبك ووادي البقاع. وقد زادت مساحة الأرض المزروعة بالحشيش في المغرب منذ الثمانينيّات في القرن العشرين، وتُعدُّ مصدرًا رئيسيًّا لدول السُّوق الأوروبيَّة. وتُستعمل المواد اللَّاصقة الطَّيارة بكثرة في مصر والأردنّ وفلسطين وسوريا والمغرب وتونس.

وغالبًا ما يعاني المدمنون من أمراض نفسيَّة أُخرى في الوقت ذاته، وهي حالات التَّشخيص الثُّنائيِّ Dual diagnosis والاضطرابات النَّفسيّة الأخرى، الَّتي تشمل: الانحراف السُّلوكيّ conduct disorder واضطراب الشَّخصيَّة ضدّ الاجتماعيّ antisocial personalty disorder والاكتئاب والقلق، ونوبات الهَلع ومشاعر اللَّوم العنيف للذّات.

العلاقة بين الإدمان والعنف

العلاقة بين الإدمان والعنف علاقة وثيقة، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة. وسوف نستعرض في عجالة أنواع العنف النّاتج عن الإدمان، وما يجمع بينهما من عوامل مشتركة، وأخيرًا دوافع العنف عند المدمنين.

أنواع العنف النّاتج عن الإدمان

١- العنف المدرسيُّ بين الطلبة، ويبدأ من الاستئساد أو امتهان كرامة التِّلميذ ضعيف البنية، والسَّرقة، مرورًا بالإصابات الجراحيَّة حتَّى يصل إلى الإكراه على الاغتصاب.
٢- العنف المنزليّ بين الزَّوجين وسوء معاملة الأطفال. وقد أصبح معدل العدوان بين الزَّوجين الآن متساويًا بين الرِّجال والنِّساء، بعد أنْ كانت

نسبة الرِّجال هي الأكبر. والعنفُ المنزليُّ يؤهِّل الأطفال لارتكاب أفعال العنف، وسوء استعمال العقاقير في فترة الشَّباب.

٣- حوادث الطُّرق والسَّيارات. وممّا يلفت الانتباه تقريرٌ صحفيٌّ نُشر مؤخرًا، وضع مصر على رأس قائمة الدُّول الَّتي تحدث فيها إصابات الطُّرق.

٤- الانضمام لعصابات الجريمة المنظَّمة نتيجة الضلوع في السَّرقة، أو تحت وطأة الحاجة المادِّيَّة، أو العمل في توزيع المادَّة لحساب التّاجر.

٥- الانضمام للجماعات الإرهابيَّة الَّتي تستقطب الفئات المهمَّشة من المجتمع.

٦- حالات الانتحار والقتل العمد والخطأ بكافَّة الوسائل.

العوامل المشتركة بين الإدمان والعنف

١- عدم الانضباط الاجتماعيّ، والتَّسيُّب الأخلاقيّ، والانفلات الأمنيّ.

٢- أوقات الحرب والأزمات الاقتصادية الحادَّة، والتَّحوُّلات الاجتماعيَّة.

٣- الظُّروف الاجتماعيَّة المُحبِطة.

٤- الهجرة من الرِّيف إلى المدينة، وانتشار المجتمع الصِّناعيّ على حساب المجتمع الزِّراعيّ.

٥- ضعف العلاقة المتبادَلة بين الأبناء والآباء.

٦- الإدمان والعنف من السُّلوكات الَّتي تنتشر بين الرِّجال أكثر من النِّساء.

دوافع العنف عند المدمنين

تظهر عند معظم مدمني المُخدِّرات والكحوليّات، نتيجة لسلوكاتهم غير الآمنة، درجاتٌ متفاوتةٌ من ضمور القشرة المُخيَّة، أو اضطراب الدَّورة الدَّمويَّة في الفصِّ الجَبهيِّ. ويُعدُّ الإدمان هو الوسيط الَّذي يؤدِّي إلى الانحرافات السُّلوكيَّة الحادَّة عند

مرضى اضطراب ما يعرف باسم Post Traumatic stress disorder PTSD حين تظهر عليهم.

أعراض السُّلوك الاندفاعيّ المغامر، والعنف الشَّخصيّ

وترتفع نسبة العنف عند مدمني الكحول في عدد من الحالات الآتية، ومنها:

- الإفراط في تناول كمية كبيرة تؤثِّر في درجة الوعي والإدراك.
- الجمع بين الكحول ومادة أخرى مثل الكوكايين، إذا كانت الشَّخصيَّة ممَّن تعودوا قمع مشاعر الغضب.
- تُعدُّ الحاجة المباشرة للمال اللَّازم لشراء المخدِّر من بين الدَّوافع المباشرة للعنف، ولهذا يرتفع معدَّل جرائم المدمنين في أوقات التَّعاطي النَّشط.
- يزداد معدَّل العنف عند المدمنين الَّذين يعانون من أمراض نفسيَّة أُخرى في الوقت نفسه؛ لأنَّ كليهما يُسهم في تدهور ملَكات البصيرة والإدراك والتَّفكير المطلق والفهم. ومن أهم هذه الأمراض: اضطراب الشَّخصيَّة والاكتئاب والذّهان، بالإضافة إلى انخفاض نسبة الذَّكاء وحالات الصَّرَع بأنواعها.
- يوجد ارتباط بين الإدمان والانحراف الجنسيِّ وجرائم الاختطاف والاغتصاب، ولذلك فإنَّنا نجد بين الآليَّات الفسيولوجيَّة الوسيطة في فعل العنف، التَّأثرَ بالمنشِّطات النَّفسيّة الحركيَّة مثل الأميفتامين، وتثبيط آليّات الضَّبط بالقشرة المُخيَّة، بالإضافة إلى إعاقة القدرة الذِّهنيَّة على حلِّ المشكلات.

لا بدَّ من التَّذكير بأنَّ هناك ارتباطًا بين الإدمان والمجتمع الأبويِّ السُّلطويّ، الَّذي يشيع في الجماهير الرُّوح الاعتماديَّة التَّواكليَّة، بالإضافة إلى الخوف. وهي العوامل الَّتي تُرسِّخ لدى الجماهير والأشخاص حالة الذّات الطُّفوليَّة Child ego state الَّتي تعتمد على العاطفة الجيّاشة، وتؤجِّل الأحكام المنطقيَّة، ويتَّسم سلوكها بالاستهلاكيَّة، والرَّغبة في اللَّذة والمكافأة السَّريعة والمباشرة. وكلُّ هذه آليّات تدفع لتفاقم الظّاهرة. ويعتقد البعض أنَّ مزيدًا من السَّماحيَّة والانفتاح يعني مزيدًا من التَّفسُّخ والانحراف،

وهذا وارد بالطَّبع، ولكن كلَّما كان الانفتاح والسَّماحيَّة عاقلين مستبصرين كان هذا مؤذنًا بمصارحة الشَّخصيَّة الطُّفولية الاعتماديَّة المستهلكة، وبشيرًا بخلق جيل مستقلٍّ الفكر، وراشد الضَّمير، تحلُّ فيه الرَّقابة الذّاتيَّة محلَّ الرَّقابة المجتمعيَّة.

المراجع

1- Skarberg Nyberg f Ngtsrom I. 2000. Is there any association between the uses of anabolic. Androgenic steroids and criminality? Ur addicts es 4: 23-.

2- Norstrom T page H. 200. Alcohol suppressed anger and violence. Addiction 05: 587-8.

3- Darke S Torok S oss Meketin. 20 0. Comparative ate of violent crime among egualr Methamphetamine and pioid users: offending and vicimi ation. Addiction 05 5: -.

4- Barsari B ead P Campbell 2008 post traumatic stress disorder and substances use disorder in college students. College stud Psychotherapy s 22 3: -85.

5- Poldrug F. Alcohol and criminal behavior alcohol 33: 2-5.

6- Ron Schneider P. when a domestic ue Violence is a hidden face of addiction. Psychoactive drugs 2 4: 337 -44.

7- Ichary M ehayem C houry C safe hayat Aoun- Bacha saad- iachy C ouche N eahchan N.2008. Arc Narghile smokers different from cigarette smokers. Ev mal espir 25 3: 33 3 3 -8.

8- Abou hatwa SA amal FA Yossf M attia MS fawal. 7.pidemiological study of addicts admitted to maamoura psychiatric hospital in Alexandria. Gypt public Health Assoc. 372- 2: 87 -2.

9- Adam f hasselot N. hat: from traditional use to isk drug addiction Med Trop 542: 4 -4.

10- Pali an T Mu iniel odel ak S.200 Psychiatric co morbidity in forensic Psychiatry. Psychiatr Danub 2 3: 42-3.

الاضطرابات الجنسيَّة والعنف

د. ماجد موريس ابراهيم*

تحتلُّ الحياة الجنسيَّة بؤرة اهتمام الإنسان عبر التَّاريخ البشريِّ؛ فهو دائم الانشغال بها، ويسعى إلى مزيد من المعرفة عنها وتحليلها. والقصص الَّتي تدور حول الجنس نتعقَّب أثرها منذ ما قبل التَّاريخ مرورًا برسومات دافنشي التَّوضيحيَّة لأوضاع الجماع، وصولاً إلى الأفلام والصُّور الفاضحة. ويُعدّ الجنس موضوعًا مركَّبًا، تدخل فيه عناصر التَّكوين التَّشريحيّ والوظائف الفسيولوجيَّة، وثقافة المجتمع. ويقترن السُّلوك الجنسيّ الصِّحي بالمتعة المشترَكة، ولا تشوبه مشاعر القلق ولا الخوف ولا الذَّنْب، ولا تحرِّكه الضَّرورة والاندفاع. أمَّا السُّلوك الجنسي التَّرفيهي أو المنحرف، فهو الَّذي يتمُّ خارج إطار العلاقة الشَّرعيَّة، وتشوبه محاذير كثيرة.

وتنطوي العلاقة الجنسيَّة على تلخيص لفهم النَّاس لدور النَّوع، متأثِّرًا بنظريَّة التَّحليل النَّفسيّ بدرجة كبيرة؛ إذ يقوم الذَّكَر بالدَّور الإيجابيِّ المبادِر المقتحم، وتقوم الأنثى بالدَّور السَّلبي: المرحِّب المستقبِل. وكذلك الحال فيما يتمُّ بين الحيوان المنويِّ والبويضة. وهذا ما يُلقي الضُّوء على أُولى الروابط بين الجنس والعنف. وإذا اعتبرنا أنَّ الاختراق الذَّكَريَّ لون من ألوان العدوان أدركنا وجود التَّلازم المَرَضيّ في حالات الانحراف الجنسيِّ، الَّتي يقترن فيها الألم بالمتعة

* استشاري الطب النّفسي بمعهد الطب القومي بدمنهور/مصر.

الجنسيَّة، سواء أصاب هذا الألمُ الشريكَ الآخَر (السّاديَّة) أو استمتع به الشَّخص نفسه (المازوخيَّة).

هناك مجالان رئيسيّان يمكننا من خلالهما رصد اضطرابات الجنس؛ الأوَّل: المجال الطِّبيّ، والثّاني: ثقافة المجتمع. علمًا بأنَّ حالات الجنس المُثلى قد استبعدت مؤخَّرًا من التَّصنيف المَرضيَّ الإكلينيكيَّ، لتصبح في عداد المشكلات الاجتماعيَّة الثَّقافيَّة، في حين بقيت في المجال الطِّبيّ مشكلات التَّغيير الجراحيّ للجنس، بحيث تتواءم هُويَّة النَّوع مع التَّكوين التَّشريحيّ.

من النّاحية الفسيولوجيَّة، تُصنَّف اضطرابات الجنس عند كلٍّ من الرِّجل والمرأة بحسب المرحلة الَّتي يصيبها الخلل. فهناك اضطرابات تصيب مرحلة الرَّغبة، والاستثارة، أو تحول دون الوصول إلى ذروة الشَّبق، وهناك الآلام المصاحبة للجماع. وكلُّ هذه الاضطرابات قد تكون أوَّليَّة نفسيَّة المنشأ، وقد تنتج عن أسباب طبيَّة، أو نتيجة استعمال العقاقير، أو إدمان الكحول، أو غير ذلك من الأسباب.

أما أنواع الانحرافات الجنسيَّة الأخرى Paraphilia فنذكر منها: الافتضاحيَّة exhibitionism والفتشيَّة Fetshisim ومضاجعة الأطفال Pedophilia والاستثارة عن طريق محادثة التّلفون Telephone Scatologia ومضاجعة الحيوان zoophilia وهناك أنماط كثيرة غيرها. وبالبحث عن سمات الشَّخصيات الَّتي تعاني من هذه الانحرافات، وُجد أنَّهم مجموعة غير متجانسة تنتمي لمختلف الطَّبقات الاجتماعيَّة ولمختلف المراحل العُمريَّة. ولا يمكن وصفها بالجنون، ولكن يمكن تلخيص الصفات المشتركة بينها في:

١- عدم القدرة على إقامة علاقات شخصيَّة واجتماعيَّة صحيحة.

٢- درجة من الانحراف المعرفيّ، الَّذي يدفع الشَّخص لمواصلة السُّلوك، مع

إدراك خطئه تحت ستار تسويغات متعددة واهية، منها أنَّ السُّلوك غير ضارٍّ، وأنَّه يتمُّ بمعرفة الشَّريك.

٣- عدم القدرة على فهم مشاعر الضَّحيَّة.

٤- ضعف القدرات التَّكيُّفيَّة العامَّة والقدرة على حلِّ المشكلات.

٥- المعاناة في سنوات الطُّفولة والمراهقة من سوء المعاملة بدنيًّا وجنسيًّا.

أشكال العنف المرتبط بالجنس

١- ختان الإناث Circumcision وهو عادة منتشرة في البلاد العربيَّة وبخاصَّة السودان ومصر.

٢- العنف في صميم العلاقات الجنسيَّة، الَّذي يأخذ شكل الانحراف المازوخيِّ أو السّاديّ.

العنف المرتبط بالعلاقات الجنسيَّة مثل الإجبار أو الضَّرب بغرض الإجبار، وكلاهما يلتمس مسوِّغات ثقافيَّة، أو يتمسَّح بالدِّين، مثل أنْ ترى المرأة أنَّ خضوعها نوع من الوفاء بواجباتها الدِّينيَّة. وقد شاع بين العامَّة أنَّ مَن ترفض رغبة زوجها، لا يقبل لها صيام ولا صلاة، وتلعنها الملائكة يوم القيامة. وربَّما ينطبق على هذه الحالات مصطلح الاغتصاب الزَّوجيّ Marital rape.

العنف في علاقات الحبِّ والصَّداقة، بسبب سيادة روح التملُّك على روح العطاء. وهذا ما يسبِّب كثيرًا من الغضب والتَّشاحن بسبب الغيرة، أو عندما تتحوَّل العلاقة الرّومنسيَّة إلى إغواء أو إجبار جنسيٍّ، وهو ما نسمّيه Violent Dating.

العنف بسبب أعراض نفسيَّة لها علاقة بالجنس، ونذكر هنا حالات ضلالات الخيانة Delusion of infidelity، وفيها يعتقد الزَّوج أنَّ شريكته تخونه وتقيم

علاقات جنسيَّة مع آخرين، دون أدنى دليل ماديٍّ، ودون أنْ تسلك الشَّريكة هذا السُّلوك أصلاً. ويتتبَّع الزَّوج زوجته أو العكس، ويتلصَّص عليها بمختلف الطُّرق، وقد يعتدي عليها أو يرتكب جُرمًا في حقِّها أو في حقِّ مَن يظنُّ أنَّه شريكها. وفي حالات أخرى نجد جنون الولَع بحبٍّ شخصيَّة مشهورة Erotomania، حيث تتوهَّم المرأة أنَّ شخصًا ذا مكانة في المجتمع يحبُّها ولكنَّه لا يظهر حبه لها، فتحرص على متابعته ومحاولة الاتِّصال به، وقد تنطوي سلوكاتها على ما يعرِّضها للعنف، أو ترتكب هي نفسها عنفًا ضد الآخر الَّذي يحول بينها وبينه، أو ضدَّ نفسها.

المرأة ضحيَّة العنف

تقع المرأة من فعل العنف موقع الضَّحيَّة في عدَّة حالات، منها: الاغتصاب والتَّحرُّش والضَّرب والإهانة. والاغتصاب Rape هو الفعل الجنسيُّ بكلِّ أشكاله دون موافقة الطَّرف الآخر باستعمال القوَّة أو الإيذاء الجسديّ، أو عندما تكون الضَّحيَّة في وضع لا يسمح لها بإعطاء موافقتها، مثل حالات اضطراب درجة الوعي أو التَّخلُّف العقليِّ أو صغر السِّن. وليس هناك إحصاءات واضحة عن الاغتصاب في الوطن العربيِّ. وحالات الاغتصاب قد تؤثِّر نفسيًّا في صورة أعراض حادث الاغتصاب Rape trauma syndrome، وهو ما يشابه في كثير من أعراضه اضطراب كرب ما بعد الصَّدمة Post traumatic stress disorder PTSD. وكذلك توجد ظاهرة المرأة المهانة المضروبة Battered Woman. ويرى البعض أنَّه لوقاية المرأة من خطر الاغتصاب، يجدر بها أن تلتزم بيتها ولا تنزل للشَّارع، مع أنَّ الأرقام تشير إلى أنَّها في البيت تتعرَّض لتهديد يفوق ما تتعرَّض له من خطر في الشَّارع. وتفيد الإحصائيَّات في الولايات المتَّحدة أنَّ كثيرًا من النِّساء يتعرَّضن للضَّرب من الزَّوج سنويًّا، ومنهنَّ مَن يتعرَّضن للضَّرب المبرِّح الَّذي يتطلَّب التَّدخُّل الطِّبي، وأنَّ حالات العدوان البيتيِّ تصل إلى القتل.

وهناك حالات التَّحرُّش الجنسيِّ sexual harassment؛ فأيّ تلميح أو طلب سلوك ينطوي على طابع جنسيٍّ يُعدُّ تحرُّشًا في الحالات الَّتي يتمُّ فيها تحت ضغوط الوعد بالحصول على وظيفة، إذا ما كان عدم الخضوع أو الرَّفض ينطوي على التَّهديد بفقد الوظيفة أو بقرار ضارٍّ بالموقع الوظيفيِّ. وكذلك في الحالات الَّتي عندما يُحدِث هذا التَّدخُّل اضطرابًا في مجال العمل، أو يُشيع فيه جوًّا من الخوف أو الحذر. ومن الملاحظ ارتفاع حالات التَّحرُّش في الشَّوارع ووسائل المواصلات، وهي حالات تتراوح بين الفرديَّة والظَّواهر الجماعيَّة، في بعض المواسم أو الأماكن.

المجتمع، العنف، الاضطراب الجنسيّ

هناك ظاهرتان ثقافيَّتان. على غاية من الأهمِّيَّة، لا بدَّ من الإشارة إليهما عندما نتناول سلوكات العنف المرتبط بالجنس.

ثقافة الاغتصاب Rape Culture

ليس هناك مبالغة في القول إنَّ مجتمعاتنا تسودها ثقافة الاغتصاب، وهي تلك الَّتي تُشجِّع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة العنف والعدوان على المرأة، من حيث إنَّها تفترض أنَّ الجنس والعنف صنوان لا يفترقان، ومن ثَمَّ فإنَّ اجتماعهما لا يعدو أن يكون وجهًا من أوجه الحياة. فضلاً عن أنَّ وسائل الإعلام تُهوِّن من شأن عدوان الرَّجل على المرأة، وتلتمس له الأعذار والمبرِّرات. وشاهدي على هذا تخفيفُ الحكم مؤخَّرًا في إحدى قضايا القتل الشَّهيرة. وكذلك فإنَّ الأعمال الدّراميَّة والرَّسائل الَّتي تروِّجها شبكة المعلومات، تُظهر العنف المصاحب للجنس كأنَّه مظهر من مظاهر الاستمتاع. وكذلك الصُّحف وتعليقاتها على حالات الاغتصاب تلقي باللَّوم على الضَّحيَّة، ومن ثَمَّ تنتقل الظَّاهرة إلى لأحاديث الشَّعبيَّة الَّتي تلوم الضَّحيَّة وتنتقدها، متسائلة عن سبب سيرها في مكان الواقعة في ذلك

الوقت!! ونوع الملابس الَّتي كانت ترتديها!! مع تغافل شبه تامٍّ لعناصر التَّخطيط والعنف والجرم في سلوك مرتكب الواقعة. وهذا ما يستدعي أن نراجع تناولنا لمثل هذه الجرائم، فنواجه الرَّجل بجرمه، ونستبدل تضييق الخناق على المرأة بمزيد من مطالبة الرَّجل بضبط سلوكه، والتزامه بأحكام القانون والعرف العامّ، فبدلاً من التَّمادي في لوم الضَّحيَّة، علينا أنْ نوجِّه اللَّوم للجاني كذلك.

الجسد موضوع لأنماط المتعة والعدوان

أليس الجسد هو موضوع اللَّذَّة والاستمتاع في الجنس، وهو أيضًا موضوع الألم والمعاناة في العنف والعدوان؟ نستطيع أن نربط بين المتعة والعدوان في إطار علاقة عكسيَّة. فكلَّما كان الجسد موضوعًا للمتعة، يقلُّ ما يقع عليه من عدوان أو ما يرتكبه من عنف، وإذا حرمنا الجسد من الاستمتاع صار متوجِّهًا نحو العنف، ضليعًا في العدوان. وقد بيَّنت الدِّراسات الفسيولوجيَّة الَّتي أجريت على حيوانات التَّجارب أنَّ توافر أحد العنصرين يتنافى مع الآخر، فإذا وُضعت موصِلاتٌ كهربائيَّةٌ عند مراكز المتعة في مخِّ فأر التَّجارب العدواني، وبدأ يستشعر المتعة، فإنَّ النَّتيجة المباشرة هي توقُّف سلوكه العنيف.

وحرمان الجسد من الاستمتاع، جزء لا يتجزَّأ من حالات الحرمان الحسِّيِّ sensory deprivation. في مرحلة النُّموِّ والتَّطوُّر يمرُّ الطِّفل ببعض الخبرات المؤثِّرة في مستقبله وهو شابٌّ ورجل، فتدفعه إمّا للعنف أو للهدوء والمتعة. وكلَّما عاش الطِّفل مزيدًا من الملامسة والاحتواء في حضن أُمِّه فإنَّ جسده يستمتع بهذه الأحاسيس، ويتولَّد في شخصيَّته الميل نحو الحنو والرِّقة. أمّا عندما يعاني الطِّفلُ الحرمانَ، فإنَّه يشبُّ عدوانيًّا عنيفًا. ومن أنواع حرمان الشَّخص من المؤثرات الحسِّيَّة، تأتي حاسَّة اللَّمس في المقدِّمة من حيثُ الأهمِّيَّة؛ إذ تتفوَّق على كلٍّ من حاسَّتيِّ الرُّؤية والسَّماع عن بُعد، لأنَّها تشترط الاقتراب. والأطفال المحرومون من الملامسة يميلون للاكتئاب والتوحُّد، والإفراط في النشاط، والانحراف الجنسيِّ

والإدمان، بخلاف الأطفال الَّذين ينشأون في وسط ضامٍّ ومحتوٍ. ولا تنتهي هذه العلاقة عند دخول الأطفال في طور المراهقة والشَّباب ثمَّ الرُّجولة. وكلَّما زادت عدوانيَّة المجتمع وتجريمه للعاطفة، تحوَّلت العواطف لتكون وقودًا للعنف. وكلَّما زادت سماحيَّة المجتمع، وشجعت ثقافته الوئامَ والعلاقات العاطفية، انخفض مؤشِّر العنف.

المراجع

1- B Extros 7 A Cross Summary New Haven Conn: Human Elations Area Files H Af Press.

2- Ames W. Prescott. Body Pleasure And The Rigins Of Violenece. The Bulletin Of Atomic Scientists November 75 0-20.

3- S. Suami And H.F Harlow Social Ehabilitation Of Isolate- Eared Monkyes Developmental Psychlogy 72 487-4.

4- Ben Amin Sadock Virginia Sadock. Human Sexuality In Synopsis Of Psychiatry. 0Th Edition 2007. Ippincot Wilkins. Page 5-80.

5- Hyd S.Half The Human Experience The Psychology Of Women. Houghton Mifflin Company Boston New York.2007. 7Th Edition. Page 3-38.

6- Ibd Page 382- 45.

7- Oss Maryp. Ood Man Isa Brown Anglea Fit Egerald Ouise Eita Wendolyn P. Usso Nancy F. 4. No Safe Haven Male Violence Against Woman At Fame At Work And In Community Washington Dc: American Psychology Association.

ثقـافـة الخــوف

د. قــدري حفـنــي*

مقدّمة

يمكن تعريف الخوف بأنَّه أحد الانفعالات الطَّبيعيّة الَّتي تؤدّي دورًا أساسيًّا في الحفاظ على الحياة، فالتَّحسُّب من خطرٍ قادم، وما يصحب ذلك من قدر محسوب من الخوف، يدفع المرء، بل والجماعة إلى شحذ الهمم، وتجميع القوى لمواجهته. وفي الكثير من الحالات يطلق على ذلك لفظ الخوف الإيجابيّ.

غير أنَّ ثقافة الخوف أمر آخر؛ إنَّها خوفٌ داخليٌّ لا مسوِّغ له في الواقع. لأنَّه خوف ممّا لا يخيف. وقد يصل أحيانًا – وهو الشَّكل الأخطر – إلى حدِّ الخوف ممَّا هو إيجابيٌّ ينبغي السَّعي إليه، وليس مجرَّد التَّرحيب به.

وهناك ما يمكن أن يُطلق عليه الخوف من التَّفكير. وقد يبدو هذا التَّعريف غريبًا، ولكن ما يحدث أنَّنا جميعًا نفكِّر في حلول لمشكلاتنا، وقد نخاف من أمور كثيرة ولكن ليس من بينها التفكير بأيِّ حال. هذا ما يبدو لنا للوهلة الأولى. ولكن إذا تأمَّلنا أنفسنا وواقعنا تكشَّفت لنا صورة مختلفة بعض الشَّيء.

ليس صحيحًا أنَّ حلَّ أيِّ مشكلة يحتاج إلى تفكير، فثمَّة مشكلات لا تتطلَّب من الفرد إلا أن يلجأ إلى مخزونه من الحلول، الَّتي سبق أن مارسها، وثبتت جدواها.

---

* أستاذ علم النفس السياسي – جامعة عين شمس/مصر.

وتنتهي المشكلة تمامًا فور استعادة تلك الحلول وتطبيقها. وقد لا تستغرق هذه العمليَّة بكاملها طَرْفة عين، ومن المؤسف أنَّ مثل تلك الحلول الخاطفة لا تتحقَّق في كلِّ المواقف، فإذا ما أخفق الحلُّ التقليديُّ المألوف، فعلى المرء أن يبحث عن حلٍّ جديد مبتكر لمشكلته الَّتي يعاني منها؛ إذ إنَّ عليه أن يفكِّر تفكيرًا إبداعيًّا. والتَّفكيرُ الإبداعيُّ يعني الاختلاف والخروج عن النَّمط المألوف. وكلّها أمور قامت أغلب المجتمعات على رفضها والتخويف منها، فالتَّنشئة الاجتماعيَّة تقوم - عادة - على التحذير من الخطأ وعقاب المخطئ. ومن ثَمَّ فقد يفضِّل المرء في كثير من الأحيان تجاهُل وجود المشكلة. ومع التَّجاهل يختفي الهدف، وتتلاشى آلام الوعي والإحباط، وتسود الطُّمأنينة والسَّعادة، ولكنْ تظلُّ المشكلة قائمة، وقد تتفاقم.

ورُبَّ مَن يتساءل: هل هنالك مَن يفضِّلون سعادة اللَّحظة الرَّاهنة مهما كانت خطورة المشكلات القائمة والقادمة؟ والإجابة: نعم، بل لعلَّ هؤلاء يمثِّلون الغالبيَّة في بعض الأحيان. ويصدق ذلك بخاصَّة على المشكلات الاجتماعيَّة، والبيئيَّة، والاقتصاديَّة، والسِّياسيَّة. وقد يبدو للوهلة الأولى أنَّ مثل تلك المشكلات - بحكم حجمها وشموليَّة طبيعتها - عصيَّة على التَّجاهل، فضلاً عن التَّجهيل. ولكنَّ الحقيقة غير ذلك تمامًا، إنَّها الأكثر قابليَّة للتَّجاهل، والأكثر استهدافًا للتَّجهيل، خاصَّة إذا ما كانت من تلك المشكلات الَّتي لا تبدو في اللَّحظة الرَّاهنة سوى علاماتها المنذرة فحسب.

الأنواع والأشكال المختلفة للمشكلات

تتميَّز المشكلات بثلاثة أمور يمكن بيانها في ما يلي:

الأوَّل: أنَّها ذات طابع تاريخي؛ إذ يندر ظهورها فجأة بين عشيَّة وضحاها، وإنَّما تبدأ نُذرُها خفيفة في البداية، ثمَّ تأخذ في التَّراكم والتَّضخُّم والظُّهور شيئًا فشيئًا. ولذلك فإنَّ رصد بداياتها الأولى، ربَّما يتطلَّب توافر عدد من السِّمات

الشَّخصيَّة، والقدرات العقليَّة، بالإضافة إلى بعض المعارف المتخصِّصة، ممَّا قد لا يتاح مجتمِعًا سوى لنخبة محدودة من الأفراد. ومثل أولئك الأفراد حين يمسكون بنواقيس الخطر، ويرفعون رايات التَّحذير، لا يَلقون - في الغالب - من مجتمعاتهم ترحيبًا كبيرًا. إنَّهم دعاة التشاؤم، المنقِّبون عن المشكلات. وفي أغلب الأحوال فإنَّ هؤلاء الأفراد يعانون كثيرًا من نبذ أبناء مجتمعاتهم لهم، خاصَّة وأنَّهم يرون أنفسهم الأكثر انتماء، وحرصًا على مصالح تلك المجتمعات، ولذلك فإنَّهم - في كثير من الأحيان - يختارون - في النِّهاية - الحفاظ على انتمائهم لجماعتهم، وعلى تقبُّل أبناء جماعتهم لهم، ومن ثَمَّ فإنَّهم قد يُقدِمون على طيِّ رايات التَّحذير، والكفِّ عن دقِّ نواقيس الخطر.

الثَّاني: أنَّ حلَّ ذلك النَّوع من المشكلات لا يمكن أن يتأتّى بجهدٍ فرديٍّ مباشر، فلا بدَّ من أنْ يكون ذلك الجهد جهدًا اجتماعيًّا جماعيًّا مخططًا له.

الثّالث: أنَّ حلَّ ذلك النَّوع من المشكلات لا يتطلَّب - فحسب - وعيًا بالمشكلة، وبحثًا عن الطَّريق الأنسب للتَّخلُّص منها، بل يتطلب - في أغلب الأحيان - تصدِّيًا لقوىً ومؤسساتٍ اقتصاديَّة اجتماعيَّة عاتية، تستفيد من بقاء تلك المشكلات قائمة، وتدفع بها إلى المزيد من التَّفاقم.

ومن هنا، فإنَّنا لا نبالغ عندما نقرِّر أنَّ تعثُّر الوعي، ومن ثَمَّ التَّعثُّر في حلِّ الكثير من المشكلات الاجتماعيَّة الَّتي نعاني منها، لا يرجع إلى كونها غير قابلة للحلِّ، أو لكونها بالغة التَّعقيد فحسب، ولكنَّه يرجع في المقام الأوَّل إلى وجود أوضاع اجتماعيَّة اقتصاديَّة تاريخيَّة، تخلق مصالح اقتصاديَّة يقوم بقاء أصحابها على استمرار الحال على ما هو عليه، ومن ثَمَّ التَّصدّي بوعي وحسم لأيَّة محاولة للحلِّ. ويرجع كذلك إلى عزوف النُّخَب القادرة على طرح الحلول المبتكرة، تخوُّفًا وقصورًا؛ تخوّفًا من دفع ثمن المبادرة والتَّصدّي، وقصورًا فيما يتعلق بالمهارات

الَّتي يتطلَّبها تكوين قوى الضَّغط، وكذلك مهارات العمل الجماعيّ. وغنيٌّ عن البيان أنَّ عقبتي التَّخوّف والقصور عقبتان صنعتهما قوى اجتماعيَّة عبر تاريخ ممتدّ. ولكنَّها عقبات قابلة للإزالة، ومصيرها حتمًا للاندثار.

الخوف من الحرِّيَّة

منذ حوالي نصف قرن، أصدر عالم النَّفس الشَّهير «إريك فروم» كتابًا ذاع صيته، وتجاوزت أعداد طباعته الحدَّ المألوف، وكان عنوانه: «الهروب من الحرِّيَّة». وقد استوقفت «فروم» ظاهرةُ التفاف غالبيَّة مواطنيه من أبناء الشَّعب الألمانيّ حول هتلر الدِّكتاتوري العنصريّ، الَّذي لم يُخفِ يومًا عنصريَّته أو دكتاتوريَّته. وهاجر «فروم» من موطنه الأصليِّ إلى الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة؛ حصن الحرِّيَّة وملاذ الأحرار، ولم يمضِ زمنٌ طويل حتَّى اكتشف الظَّاهرة ذاتها تُفصح عن نفسها جليَّة في أعماق مَن تعامل معهم الأمريكيين. فتوصَّل إلى أنَّ المجتمع في مرحلة معيَّنة من مراحل تطوُّره السِّياسي والاجتماعيِّ والاقتصاديِّ يشكِّل أبناءه وينشِّئهم على النُّفور من الحرِّيَّة، بحيث يضيقون بحرِّيَّتهم أشدَّ الضِّيق، ويسعون ما وسعهم الجهد لاكتشاف «البطل» الَّذي يتيح لهم التَّخلُّص من أغلالها، فيسارعون إلى الالتفاف حوله والسَّير وراءه.

ربَّما بدا الأمر للوهلة الأولى متناقضًا يصعب التَّسليم به، فالدُّول جميعًا بلا استثناء، مهما كانت بشاعة وحشيَّتها، تلعن أنَّها مُحبَّة للحرِّيَّة ساعية لتحقيقها. تستوي في ذلك الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة وهي تغزو العراق، وإسرائيل وهي ترتكب مذابحها. ولو نظرنا في البلاد لوجدنا كافَّة التَّيارات السِّياسيَّة المشروعة وغير المشروعة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، تعلن جميعًا أنَّ الحرِّيَّة هي الهدف المقدَّس والنِّهائيّ الَّذي تسعى إليه. فأين المشكلة إذن والكلُّ يسعى لتحقيق الحرِّيَّة؟ يبدو أنَّ الحديث عن الهروب من الحرِّيَّة لا يعدو أنْ يكون شطحة من

شطحات علم النَّفس، أو لعلَّه حديث عن استثناء استقاه علماء النفس من عيادات مرضاهم، أو لعلَّنا بصدد حَدثٍ تاريخيٍّ استثنائيٍّ وقع وانتهى أمره.

ومع الاقتراب قليلاً من شعارات الدعوة للحرِّيَّة في معظم البلاد، سوف نكتشف أنَّ ثمَّة كلمة ثابتة تلتصق بغالبية تلك الشِّعارات؛ إنَّها كلمة: «ولكن»، من مثل الشِّعارات التَّالية: نحن مع الحرِّيَّة ولكن لسنا مع الفوضى. الحرِّيَّة كلّ الحرِّيَّة للشَّعب ولكن لا حرِّيَّة لأعداء الشَّعب، الحرِّيَّة للوطنيين الحقيقيين ولكن لا حرِّيَّة للعملاء والمُندسّين، كلّ الحرِّيَّة للأفكار البنّاءة الشَّريفة ولكن لا حرية للأفكار الهدّامة المستوردة، كلّ الحرِّيَّة لأنصار التَّقدُّم ولكن لا حرِّيَّة للرَّجعيين أنصار التَّخلُّف، الحرِّيَّة قيمة مقدَّسة ولكن في حدود الالتزام بثوابتنا الدّينيَّة والوطنيَّة. حتَّى داخل التَّيّارات اللِّيبراليَّة نجد مَن يقول: كلّ الحرِّيَّة لأنصار الحرِّيَّة ولكن لا حرِّيَّة لأعدائها أنصار الحكم المطلق. قد تبدو كلُّ تلك الشِّعارات برَّاقة، حتَّى نصل إلى تلك الكلمة المفتاحيَّة: «ولكن». فإذا ما تساءلت: وكيف يمكن التَّفرقة؟ وكيف يمكن أن يتمَّ الفرز والتَّمييز؟ كان جوهر الإجابة أنَّ صاحب الشِّعار هو المرجعيَّة الأُولى والأخيرة للتَّمييز بين العملاء والوطنيين، وبين الأفكار البنَّاءة والهدَّامة، وبين التَّقدميين والرَّجعيين، وبين الثَّوابت والمتغيِّرات الدّينيَّة والوطنيَّة. ويعلِّمنا التّاريخ أنَّ كافَّة تلك التَّمييزات هي أمور نسبيَّة تمامًا، وأنَّ محاولات القضاء على الأفكار قد باءت جميعها بالفشل، وأنَّ المؤسَّسات، والنُّظم، والتَّنظيمات، لا بد وأن تنتهي يومًا، بل ويمكن إنهاؤها، وتستمرُّ بعدها الحياة، فلكلِّ فعلٍ نهاية. أمَّا الأفكار فإنَّها تتجدَّد وتتطوَّر، وقد تجمد وتنغلق، وقد يعلو صراخها أو يخفت همسها، ولكنها أبدًا لا تموت حتَّى لو مات أصحابها، تستوي في ذلك أسخف الأفكار، وأروعها: النّازيَّة، والشُّيوعيَّة، والدّاروينيّة، والصّهيونيّة، والاشتراكيّة... إلخ.

إنَّ الأفعال ترتبط بحياة أصحابها وتنتهي بموتهم. وكذلك المؤسَّسات تنتهي بانتهاء الحاجة إليها، أو بتدهور أدائها، أمَّا الأفكار فما دامت قد خرجت من أفواه أصحابها أو من أقلامهم، فإنَّها تظلُّ باقية ولو مختزلة. وإن جميع المحاولات للقضاء على الأفكار بدعوى اجتثاث الجذور الفكريّة للعنف، أو للفوضى، أو للدِّكتاتوريَّة، أو للعنصريَّة، أو حتَّى للإلحاد، ليست سوى أوهام تدحضها حقائق العلم والتّاريخ معًا، بل إنَّ حقائق التّاريخ تؤكِّد أنَّه ما من دعوة لتقييد الحرِّيَّة مهما كانت نوايا أصحابها إلا وانتهت إلى سلسلة من العنف والعنف المضاد.

وطالما أنَّ الأمر كذلك، فإنَّ الحلَّ والضَّمان إنَّما يتمثَّل في الدَّعوة إلى القبول بحقِّ الأفكار جميعًا في التَّعبير عن نفسها، مهما كانت درجة الاختلاف معها، أو النُّفور منها، بما يتضمَّنه ذلك القبول من تسليم واعٍ، بما سوف ينجم عنه من فوضى فكريّة. إنَّ فوضى الأفكار أقلّ ضررًا من إرهاب العنف. وضجيج الكلمات، مهما كان ما يسبّبه من إزعاج يعتبر أهون كثيرًا، من صوت لعلعة الرصاص.

الخوف من التَّفاؤل

من الملاحظ أنَّ معظم الحوار اليومي مكتوبًا أو منطوقًا يتَّسم بنغمة متشائمة، حتَّى كادت تلك النَّغمة المتشائمة بمثابة جواز المرور لبداية أيِّ مناقشة بيننا وبين بعضنا، بل حتَّى بيننا وبين أنفسنا. وكثيرًا ما نرى التَّشكك في عيون كثير من الأصدقاء والأبناء، حين «يكتشفون» وجود شخص متفائل. فإذا ما تمَّ التَّصريح لهم بما يؤكِّد شكوكهم، بدا عليهم التَّعجُّب والتَّساؤل والاندهاش والاستنكار. والسُّؤال الَّذي يجب طرحه: ألا يقلقك ما يجري؟ هل نحن راضون عن واقعنا؟

ومثل هذه الأسئلة تؤكد وجود القلق والغضب في أوضح الصُّور الَّتي يمكن أن يكون عليها القلق والغضب، فما يمكن أن نطلق عليه التَّفاؤل يُعدُّ شيئًا آخر بعيدًا

تمامًا عن الرِّضا بالواقع، وخاصَّة أنَّ القلق الصِّحيَّ في علم النَّفس شرط أساسيّ من شروط استمرار الحياة. والوعي بسلبيّات الواقع هو الشَّرط الأساسي لوجود الرَّغبة في التَّغيير. ومن دون توافر هذين الشَّرطين تنعدم الحياة حقيقة لا مجازًا. أمَّا التَّفاؤل فإنَّه يعني اليقين بأنَّ التَّغيير للأفضل ممكن، وسيظل ممكنًا، وأنَّ الواقع الرّاهن مهما بدا مظلمًا فثمَّة نقاط مضيئة علينا أنْ نبحث عنها وننمّيها، وأنَّ الثَّمن المطلوب للتَّغيير مهما بدا مؤلمًا، فإنَّه يهون بقدر إيجابيَّة المستقبل المستهدَف. يصدق ذلك على المستوى الفرديِّ كما يصدق على المستوى السِّياسيِّ. إنَّ أخطر ما يمكن أنْ يهدِّد العمل السِّياسيّ هو تسلُّل عبارة: «لا فائدة تُرجي من أيِّ شيء». ولنأخذ نموذجًا من بعض ما يجري حولنا في بلادنا.

ليس من شك في أنَّنا عانينا طويلاً، وما زلنا نعاني معاناة حقيقيَّة من القيود المفروضة على الحرِّيّات، وخاصَّة حرِّيَّات التَّعبير عن الرَّأي، وحرِّيَّات الاحتجاج العلنيِّ على كثير من الممارسات السَّلبيَّة، وفي مقدِّمتها التَّعذيب. ليست تلك القيود بالأمور الجديدة علينا أو على غيرنا؛ إذ إنَّ نضال الشُّعوب من أجل الحرِّيَّة لم يتوقَّف عبر التّاريخ. ولننظر إلى النَّتائج: أين ذهب جلّادو الأمس؟ وماذا كان مصير نخاسة العبيد ومحاكم التَّفتيش والمكارثيَّة والنّازيَّة؟ لقد طواهم التّاريخ جميعًا، ودفعت الشُّعوب ثمنًا باهظًا في سبيل ذلك، وليس من المُتصوَّر أنْ يختلف مسار اليوم عن مسار الأمس. إنَّ انتهاكات الحرِّيَّة لم تتلاشَ، ولكنَّ نضال الشُّعوب لم يذهب هباء.

ومظاهر المعاناة حولنا لا حصر لها، من الفساد إلى الاستبداد، إلى مجازر الفلوجة وقبلها النَّجف وبعدها الموصل، إلى ما يجري في فلسطين؛ كلُّ ذلك يبعث على الألم والغضب والرفض، ولكنَّه لا يمكن أن يكون مسوِّغًا للتَّشاؤم، فالتَّشاؤم بوّابة الاستسلام لكلِّ شرور الظُّلم والفساد، في حين أنَّ التَّفاؤل هو المدخلُ الأساسيُّ للتَّغلُّب على كلِّ الشُّرور، ولننظر إلى التّاريخ.

لقد ساد التَّشاؤم والظَّلام بلادنا بعد نكبة ١٩٤٨، ورأى الفلسطينيون بعيونهم العدوان الصّهيونيَّ يلتهم أرضهم الفلسطينيَّة، ولكن لم تلبث أن ظهرت مجموعة متفائلة من الشُّبّان الفلسطينيين، على رأسهم أبو عمار، لم يتملَّكهم اليأس والتَّشاؤم، وأيقنوا أنَّ القضاء على الظلم ممكن، فكانت البداية المتواضعة لعمليات فتح الفدائيَّة مع نهاية آخر ليالي ديسمبر عام ١٩٦٤، وبزوغ فجر الأول من يناير عام ١٩٦٥. وجاءت هزيمة يونيه ١٩٦٧. ومع الهزيمة امتدَّ العدوان الصّهيونيّ ليلتهم ضمن ما التهم ما تبقّى من فلسطين، وانتشرت النُّكات والشِّعارات تُروِّج لفكرة ألّا فائدة ترجى من أيِّ شيء، ولكن لم يهتزَّ تفاؤلُ المقاومين الفلسطينيين، بل ازداد تفاؤلهم، وازداد يقينهم بحقيقة أنَّ للظُّلم نهاية لا بدَّ وأنْ يصنعها المظلومون، فكانت معركة الكرامة في مارس عام ١٩٦٨ وتوالت الأحداث، وما زال الصِّراع مستمرًّا بين ثقافة المقاومة وثقافة الاستسلام. وهكذا كان الوضع في مصر أيضًا الَّتي لم تستسلم، إلى أنْ تمَّ النَّصر عام ١٩٧٣. وهكذا كان وسيظل شأن الشُّعوب المقهورة عبر التّاريخ.

التَّفاؤل إذن سمة المقاومين. هكذا يعلمنا التّاريخ، وعلم النَّفس أيضًا. أمّا اليأس والتَّشاؤم فلا يفرز سوى الاستسلام، إمّا بالصَّمت أو الهروب خوفًا، أو بالإرهاب والانتحار يأسًا. ولعلَّ ذلك هو الخيط النَّفسيّ الرَّفيع بين العمل الفدائي والعمل الإرهابيّ.

إنَّ الظُّلم والفساد ظواهر قديمة قِدمَ البشريَّة، ومن ثَمَّ فقد شكَّلت إفرازها الثَّقافيّ المتمثِّل في «ثقافة الاستسلام» مقابل «ثقافة المقاومة»، ولا يخلو تاريخ جماعة بشريَّة من تصارع هاتين الثَّقافتين، وإنْ كانت إحداهما تشكِّل الطابع السائد في فترة تاريخيَّة محدَّدة.

لقد توافر لدعاة ثقافة الاستسلام ما لم يتوافر لدعاة ثقافة المقاومة من ثراء يكفل لهم تجنيد الكوادر الأكثر خبرة وتدريبًا في مجال الإعلام والحرب النَّفسيّة. وبفضل هؤلاء الخبراء المحترفين تطوَّر شكل ثقافة الاستسلام ومضمونها. لم يعد هناك مكان للعبارات السّاذجة القديمة، الَّتي تدعو بفجاجة إلى إيثار السَّلامة، ولم يعد ممكنًا إخفاء بشاعة ما يجري هنا وهناك من ظلم وفساد واستبداد، وصار لزامًا على خبراء ثقافة الاستسلام البحث عن حلٍّ متطوِّرٍ، يكفل ترسيخًا أعمق لثقافة الاستسلام، متحاشين إخفاء بشاعة ما يجري، ويكفل في الوقت نفسه «تسويق» تلك الثَّقافة لدى قطاعات أكبر من الجماهير المتعطِّشة للمعرفة وللعدل.

لقد جاء الحلُّ متمثلاً في رفع أشد الشِّعارات الثَّوريَّة، وعرض أبشع صور الظُّلم والفساد والتَّدمير والاستبداد، وتضخيم بشاعة تلك الصُّور، واختلاق بعض الوقائع اختلاقًا، وانتقاء أشدِّ صور الإرهاب إثارة للنُّفور والاشمئزاز، وعرضها بوصفها النَّماذج المثلى لمقاومة الظُّلم. ومن خلال هذا التَّضخيم على الجانبين ينغلق الطَّريق أمام أيِّ بارقة أمل، بل ويصبح أيُّ حديث عن أمل مرتَقَب وممكن، أو أيّ تلميح لإمكانيَّة تخطي الواقع، غاية غير واقعية تحيطها الشُّبهات، بل جريمة لا تغتفر، واتِّجاهًا معاكسًا ينبغي سحقه وتدميره والسُّخرية منه، وجعله أضحوكة. ومن ثَمَّ تعلو نغمة التَّشاؤم وتسود، لينفتح باب الاستسلام على مصراعيه؛ الاستسلام لكلِّ الشُّرور من فسادٍ وغزوٍ وظلم، والاستسلام بالصمت والهروب خوفًا، أو الاستسلام بالإرهاب والانتحار يأسًا.

الخوف من التَّغيير

تتعالى في بلادنا ومن حولنا دعوات الإصلاح والتَّغيير. وإذا كان التَّغيير سُنَّة من سنن الحياة – حيث الكون في حالة تغيُّر مستمرٍّ ولا شيء يبقى على حاله –

فإنَّ التَّغيير هو إحداث تغيير مقصود؛ بمعنى أنْ نُقدِم عامدين على تغيير ما هو كائن بالفعل إلى الحالة الَّتي نريدها. وإذا كان التَّغيير ظاهرة طبيعيَّة، لا دخل فيها لإرادات البشر، فإنَّ التَّغيير فعل مقصود، ولذلك فهو ظاهرة بشريَّة. وإذا كان التَّغيير أمرًا تستحيل مقاومته، فإن مقاومة التَّغيير كرد فعل طبيعيّ لمحاولة إحداث التَّغيير، تتميَّز بأنَّ نتيجتها تتروح بين النَّجاح والإخفاق.

فدعوات الإصلاح في بلادنا تلقى مقاومة، وهو أمر طبيعيٌّ، إلَّا أنَّ ما يستوقف النَّظر أنَّ تلك المقاومة تحرص على التَّخفّي، ربَّما لِتبنّي السُّلطة أو بعض أجنحتها الأقوى تأثيرًا لتلك الدَّعوة. وعلى أيِّ حال، فإنَّ تراث علم النَّفس الاجتماعيّ يفيض بما يؤكِّد حقيقة أنَّ مقاومة التَّغيير تتَّخذ صورًا متدرِّجة، فقد تقف عند حد التَّعبير عن الامتعاض بالكلمة أو بالإشارة، وقد تصل إلى أقصى صور الاحتجاج عنفًا وتدميرًا. كذلك فإنَّ الموقف حيال التَّغيير يتوقَّف على رؤية النّاس لطبيعة ذلك التَّغيير، وبطبيعة الحال لا تتماثل تلك الرؤى لدى الجميع. فقد يرى البعض في تغيير معيَّن الخير كلّه، وقد يراه آخرون شرًّا خالصًا. ويتوقَّف ذلك التَّنوّع على أهمِّيَّة المطلوب تغييره، واتِّفاق المصالح أو اختلافها بشأنه، وكذلك على القوَّة النِّسبيَّة للجماعات الداعية للتَّغيير وتلك الرّافضة له.

إنَّ الضَّمان الأساسيَّ لنجاح الدَّعوة للإصلاح يتمثَّل في مدى إقناع الجمهور بها. ولم يعد الإقناع أو ما يسمّى بفنِّ الدَّعوة أمرًا يمكن أنْ ينجزه الهواة، مهما كانت موهبتهم، ومهما كان إخلاصهم. لقد أصبحت «سيكولوجيَّة الإقناع» تكاد تمثِّل مبحثًا علميًّا مستقلاً، تشترك فيه علوم النَّفس والاتِّصال. إنَّ نجاح الدَّعوة للإصلاح يتوقف على عدد من الشُّروط العلميَّة الَّتي لا يتَّسع المقام لتفصيلها، ولكن لا مندوحة من ذكر شرطين رئيسيين يتعلَّقان بالقدوة والمصداقيَّة وكذلك الاتساق:

١- القدوة والمصداقيَّة: إنَّ دعوات التَّغيير الاجتماعيّ لا تحتاج إلى دعاة يتقنون مهارات الاتِّصال والإقناع فحسب، فلا بد من التَّمييز بين دور «المؤدّي الإعلامي» ودور «الدّاعية الاجتماعي». وإذا كان دور «المؤدّي الإعلامي» هو الدَّور المطلوب في بعض حالات الدَّاعية للسِّلع التِّجارية مثلاً، فإنَّ دور «الدّاعية الاجتماعي» لا غنى عنه إذا ما كنّا بصدد تعديل الاتِّجاهات نحو القضايا الاجتماعيَّة. والفرق كبير بين الدَّورَيْن. ففي هذه الحالة يتعامل الجمهور مع داعية يجسِّد الفكرة الَّتي يدعوهم إليها. ومن أوَّل التَّساؤلات الَّتي يطرحها الجمهور على نفسه وعلى الداعية أيضًا، ذلك التَّساؤل التَّقليديّ: «هل الدّاعية مقتنع قناعة راسخة بما يقول؟» والأهم من ذلك: «هل هو ملتزم به فعلاً؟» ولا يكفي في هذا الصَّدد توافر الصِّدق فيما ينادي به ذلك الدّاعية، بل لا بدَّ - قبل ذلك- من المصداقيَّة. وفقدان الدّاعية لمصداقيَّته لدى الجمهور، كفيل بانهيار دعوته تمامًا.

٢- الاتِّساق: ونعني به محاولة ضمان الحدِّ الأدنى من عدم التَّضارب بين الرَّسائل المتعلِّقة بالموضوع الصّادر في مواقف مختلفة من نفس المجموعة الدّاعية للتَّغيير. ولا يتوقَّف الاتِّساق المطلوب على مجال الرَّسائل الإعلاميَّة فحسب، فالأهمُّ هو مراعاة الاتِّساق بين الرِّسالة الإعلاميَّة والسُّلوك الفعليِّ لأولئك الدّاعيين للتَّغيير، فمن الخطورة بمكان تصوُّر أنَّ الجمهور يسمع دعاة الإصلاح فقط دون أن يرصد سلوكهم الفعلي في مواقف الحياة العمليَّة. وكذلك ينبغي أنْ يتوافر القدر اللّازم من الاتِّساق بين حاضر الدُّعاة وماضيهم. ولا يعني ذلك أنَّ المطلوب من الدّاعية أن يكون أسير ماضيه، فليس من الدُّعاة العظام

حتَّى في مجال الدعوات الدِّينية الكبرى مَن زعموا مثل هذا الزَّعم، ولكنَّ المقصود هو توافر أكبر قدر من الشَّفافية - فيما يتعلَّق بتاريخ أصحاب الدَّعوة للإصلاح- تفسِّر ما طرأ على مواقفهم من تغيير نحو الأفضل. وأخيرًا فلا بد من الاتِّساق بين حجم الدعوة ودعاتها وبين ما يتحقق فعلاً، بمعنى أنْ يكون واضحًا لدى الجماهير – على الدَّوام - ما تحقَّق ممّا لم يتحقَّق، وأسباب التَّعثُّر.

من غير مراعاة تلك الشُّروط وغيرها، سيظلُّ دعاة الإصلاح يبذلون - دون كلل - جهدهم في الدَّعوة، وقد يتلقَّون الكثير من الابتسامات والدَّعوات بالتَّوفيق، ولكنَّ ذلك كلّه لا يكفي لضمان المشاركة الفعليَّة من أصحاب المصلحة الحقيقيَّة.

الهُويّة وثقافة العنف لدى الشَّباب

(تصوّر مفاهيميّ)

د. عمّار علي حسن*

مقدّمة

تُعدُّ الصِّراعات على «الهُويَّة» بشتَّى أشكالها، الأكثر إراقة للدِّماء في تاريخ البشريَّة. فالإنسان الَّذي طالما تمزَّق بين «أنا» و«هو» أو «نحن» و«هم» كان أكثر ضراوة حين زاحم وخاصم وقاتل مَن يختلفون معه في الدِّين والسُّلالة والطَّبقة والثَّقافة. وتحت هذه البنى الاجتماعيَّة الكبرى تناحر المتمايزون في الفروع من بين المتمركزين حول القبيلة والطّائفة والمذهب واللَّهجة. حتَّى الإمبراطوريّات الكبرى لم تقلع عن توظيف الهُويّات في تسويغ مشروعاتها الاستعماريَّة، حين صنعت منها إيديولوجيّات، سهَّلت لها عمليَّة الحشد والتَّعبئة، الَّتي أمدَّتها بالمال والرِّجال.

وطوال هذا المسار التَّاريخي الطَّويل، كان الشَّباب هم أكثر الشَّرائح الاجتماعيَّة دفعًا لثمن العنف النَّاتج عن التَّعصُّب الأعمى للهُويَّة، وسوء فهم ثقافة الآخر، لكنَّهم ظلّوا - ولا يزالون - الفاعل الأكبر في هذه العمليَّة الدَّمويَّة المتواصلة؛ إذ قاموا بأدوار متعدِّدة على هذا الدَّرب، فهم إمّا كانوا محرِّكين للأحداث، نظرًا لارتفاع درجة «الطّاقة الغضبيَّة» لديهم بفعل عوامل جسميَّة ونفسيَّة واجتماعيَّة عدَّة، أو كانوا حطبًا لنيران العنف النّاجم عن تصارع الهُويّات وتصادمها.

---

* روائي وباحث في علم الاجتماع السِّياسيّ/مصر.

إنَّ مَن يتأمَّل في حجم الأحداث والوقائع وتنوُّعها وتعدُّدها، وفي كيفيّاتها، سيجد الشَّباب

ضالعين في أغلب ما يجري، أو أنَّهم في قلب المشهد، مؤثِّرين ومتأثِّرين. فالتَّباغض والاحتقان الطَّائفي قد يثيره الطَّاعنون في السِّنِّ أحيانًا، ولكنَّ الشَّباب هم مَن يترجمونه إلى عنف مادِّيّ. وكثير من الصِّراعات الَّتي يتأجَّج أُوارها في كافَّة «البؤر السَّاخنة» على سطح الأرض، تذكيها سواعد الشَّباب؛ فهم عماد الجيوش النِّظاميَّة، والمنخرطون في حركات المقاومة، والمكوِّنون للبنية الرَّئيسيَّة في تنظيمات الإرهاب وجماعاته، أيًّا كانت بواعث الإرهاب ومقاصده.

وأغلب هذه الأفعال العنيفة مردُّها التَّعصُّب الأعمى للهُويّات تارة، وبخاصَّة الَّتي تنطوي على أفكار تدعو إلى كراهيَّة الآخر ونبذه. ومرحلة الشَّباب هي أعلى المراحل العمريَّة ارتباطًا بالانتماءات الأوليَّة، وانحيازًا للأفكار والسَّرديَّات الكبرى المطروحة، ومن ثَمَّ فهي أكثر الفئات تأثُّرًا بكلِّ الثَّقافات العُنفيَّة، الَّتي تنتجها بعض الهُويّات. وهذه مسألة لا يمكن الوقوف عليها كاملة إلّا إذا حددنا جوانبها ومفاهيمها ومساراتها، الأمر الَّذي يتطلَّب الإجابة عن أسئلة من مثل: ما المقصود بالهُويَّة؟ وما المقصود بالعنف؟ وما المقصود بالشَّباب؟ وما علاقة الهُويّات بإنتاج ثقافة العنف وممارسته؟ ولماذا الشَّباب هم الأكثر تأثُّرًا بالعنف؟

إن إمكانيَّة أنْ تُنتِج هُويَّةٌ ما عنفًا مقنَّعًا أو منظمًا، لا يعني بأيِّ حال من الأحوال الدَّعوة إلى التَّخلّي عن الهُويَّة، وإنَّما المطلوب أن يتخلَّى الأفراد عن التَّعصُّب الأعمى لهُويّاتهم وخصوصيّاتهم، وأن لا يستسلموا لما يسمّى «حرب الأفكار» وأن يتسامحوا مع «الآخر»، ويمتلكوا قدرة فائقة على التَّفرقة بين التَّسامح والتَّساهل. فالتَّسامح يستلزم نزع أيَّة طاقة عنيفة تحملها الهُويّات، في حين أنَّ التَّساهل أمر غير مستحبّ؛ لأنَّ مَن لا يحترم ما لديه ليس بوسعه أن يحترم الآخرين، ففاقد الشيء لا يعطيه.

أولاً: ما الهُويَّة؟

الهُويَّة في معناها الأوَّليِّ والبسيط؛ هي إدراك الفرد نفسيًّا لذاته. لكنَّ هذا التَّصوُّر المبسَّط لم يلبث أنْ اتَّسع وتفاعل مع العلوم الإنسانيَّة قاطبة، ليشمل الهُويَّة الاجتماعيَّة، والهُويَّة الثَّقافيَّة، والهُويَّة العِرقيَّة. وكلّها مصطلحات تشير إلى توحُّد الذّات مع وضع اجتماعيٍّ، أو تراث ثقافيٍّ، أو جماعة عِرقيَّة. وإذا انطلقنا من الذَّات وفارقناها إلى المحيط الأكبر، فيمكن الحديث عن هُويَّة الجماعة، الَّتي تعني التَّوحُّد أو الإدراك الذَّاتيّ المشترك بين تجمُّع من الناس.[١]

فالهُويَّة إذن؛ مفهوم متعدِّد الجوانب، يتعلَّق بفهم النَّاس وتصوُّرهم لأنفسهم، ولما يعتقدونه ضرورة لحياتهم، استنادًا إلى مرجعيَّات معيَّنة مثل: الجنوسة والتَّوجُّه الجنسيّ، والجنسيَّة، والإثنيَّة، والطَّبقة، والمذهب. وهناك نوعان من الهُويَّة، هما: الهُويَّة الذاتيَّة، والهُويَّة الاجتماعيَّة.[٢] وكلاهما تربطه بالآخر صلات متعدّدة.

وإذا كانت الهُويَّة الذاتيَّة تتمحور حول الأنا، بوصفها مظهرًا شعوريًّا للذّات كما يدركها صاحبها،[٣] فإنَّ الهُويَّة الاجتماعيَّة هي خلاصة العبقريَّة والذَّكاء الجمعيّ، المستقى من سمات الفرد النَّفسيّة، وتاريخه وقيمه وعقيدته وتصوّراته وتجربته الحياتيَّة، بكل ما تنطوي عليه من قدرة على الاستيعاب والاستبعاد، وإمكانيَّة التَّواصل مع التَّجارب الأخرى، والتَّفاعل معها بمختلف الصُّور والأشكال.[٤] وهذان النَّوعان من الهُويّات يشكِّلان صلب الاهتمامات المعرفيَّة والعلميَّة بقضية الهُويَّة، لا سيَّما الدِّراسات الثَّقافيَّة، الَّتي تنشغل أساسًا بفحص السِّياقات الَّتي يقوم عليها وجود الأفراد والجماعات، ويستندون إليها في تكوين هُويّتهم أو فهمهم لذواتهم، والتَّعبير عنها وحمايتها.[٥]

وينطوي مفهوم الهُويَّة على خاصيَّة ثابتة ومستمرَّة للفرد أو للجماعة. وإذا كان من الممكن تقبُّل هذا الأمر على المستوى النَّظري، فإنَّ من الصَّعب تحقُّقه في الواقع المعيشي. ولذا يدعو بعض الباحثين إلى التَّركيز على عمليَّة التَّوحُّد، وليس على البحث عن هُويَّة ثابتة، لأنَّ الأخيرة تكاد تكون أمرًا مستحيلاً. فالشَّخص الواحد ينتمي إلى هُويّات متعدِّدة، وهو ما عبَّر عنه «إماراتيا صين» حين قال: «إنَّنا في حياتنا العاديَّة نرى أنفسنا أعضاء لعدد متنوِّع من الجماعات، ونحن ننتمي إلى كلِّ هذه الجماعات، فالشَّخص نفسه يمكن أن يكون، دون أي تناقض، مواطنًا أمريكيًّا من أصل كاريبي، وينحدر من سلالة إفريقيَّة، ومسيحيًا، وليبراليًّا، ونباتيًّا، وعدّاء للمسافات الطَّويلة، ومؤرِّخًا، ومعلمًا، وروائيًّا، ومناصرًا لقضايا المرأة، وطبيعيًّا في علاقته بالجنس الآخر... ومحبًّا للمسرح، ومناضلاً من أجل قضايا البيئة، ومشجعًا للعبة التنس، وعازفًا لموسيقى الجاز، وشديد الإيمان بالرأي الَّذي يقول إنَّ هناك مخلوقات ذكيّة بالفضاء الخارجي»[٦]. وهذا التَّعدُّد في الهُويّات يتكرَّر لدى كلِّ فرد على وجه الأرض، بما يجعل الإنسان موزَّعًا طوال الوقت بين انتماءات متقاطعة ومتشابكة، ومتباينة أحيانًا. وقد يشترك الفرد في انتماء أو أكثر مع فرد آخر، لكنهما يكونان في الوقت ذاته متناقضين ومتنافرين في انتماءات أخرى، ويحدث هذا في شبكة اجتماعيَّة غير منتظمة.

وبسبب هذا التَّعقيد، حاولت بعض الدِّراسات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة أن تمارس نوعًا من التَّجنيب أو الاختزال لـ «الهُويَّة» عبر سبيلين:[٧]

الأوَّل: «**الإغفال**»؛ بمعنى التَّجاهل والإهمال الكلّي لتأثير أيِّ شعور مشترك بالهُويَّة على سلوكات التَّجمُّعات البشريَّة واختياراتها، والتَّعامل مع كلِّ فرد على أنَّه كلٌّ متكامل مُنبَتُّ الصِّلة عن غيره، ويعمل ويتحرَّك في جزيرة منعزلة.

الثّاني: «الانتماء الأُحاديّ أو المنفرد»، الَّذي يعني النَّظر إلى كلِّ فرد على أنَّه لا ينتمي إلّا إلى جماعة واحدة، يُخلص لها، ويمنحها ولاءه.

والإنسان لا يعطي مختلف هُوياته الدَّرجة نفسها من الأهمِّيَّة أو الأولويَّة، لكنَّه يُغلِّب بعضها على بعضها الآخر. وقد تنتظم لديه في سُلَّم انتماء يتدرَّج من الأقصى إلى الأدنى، وهنا قد تجد مجموعة بشرية نفسها متَّفقة على إعطاء وزن أكبر لهُويَّة معيَّنة عمّا عداها، ويورِّثها شعورًا قويًّا بالتَّمايز عن الآخرين.

وهذه المجموعة قد تصغر لتُختصر في جماعة أو عائلة، أو عشيرة أو قبيلة أو طائفة، أو أهل أو حرفة، أو معتنقي دين، أو ناطقين بلغة معيَّنة. وقد تكبر لتصبح الدَّولة أو الإقليم، وهنا يمكن أن تأخذ مسمَّيات عدّة. فعلى سبيل المثال، هناك مصطلحات مختلفة للتَّعبير عن هُويَّة المنتمين إلى منطقتنا من العالم مثل: «الرَّابطة الشَّرقيَّة» و«الجامعة الإسلامية» و«القوميَّة العربيَّة» و«الرَّابطة الوطنيَّة الإقليميَّة» و«العالم العربيّ» و«الوطن العربيّ»،[٨] وغير ذلك من المفاهيم الَّتي ثار حولها جدلٌ فكريٌّ منذ مطلع النصف الثّاني من القرن التّاسع عشر حتَّى اللَّحظة الرّاهنة.

ثانيًا: ما العنف؟

هناك ثلاثة اتِّجاهات في تعريف العنف:[٩]

الاتِّجاه الأوَّل: ينظر إليه بوصفه الاستخدام الفعليّ للقوَّة المادِّيَّة بشتّى صورها، يقوم به فرد أو جماعة، بغية إلحاق الأذى بأشخاص وإتلاف ممتلكات، سواء تمثَّلت هذه الصُّورة في القهر والقسر والإكراه بعامَّة، أو انزلقت إلى أعمال الهدم والتَّخريب والتَّدمير والقتل والتَّعذيب وما أشبه.

الاتِّجاه الثّاني: لا يكتفي بالاستخدام الفعليِّ للقوَّة المادِّيَّة، بل يمتدّ إلى مجرَّد التَّهديد باستعمالها في سبيل تحقيق أهداف غير قانونيَّة أو مرفوضة اجتماعيًّا.

الاتّجاه الثّالث: ينظر إلى العنف على أنَّه نتاج خلل، وتناقض كامن في البناء الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسِّياسيِّ، ويتَّخذ صورًا عدَّة، منها: ضعف التَّكامل الوطنيّ، وتنامي النَّزعات الانفصاليَّة، وغياب العدالة الاجتماعيَّة، وحرمان قوى اجتماعيَّة من حقوقها السِّياسيَّة، وعدم إشباع الحاجات الأساسيَّة من غذاء وكساء وإيواء ودواء لقطاعات عريضة من المواطنين، والسُّقوط في فخِّ التَّبعيَّة لدول خارجيَّة.

وهناك من يرى العنف سلوكًا فطريًّا يولد مع الإنسان. وهناك من يرى أنَّه سلوك مكتسب يتعلَّمه الإنسان من البيئة الاجتماعيَّة المحيطة به.[١٠] ويفرِّق بعض الباحثين بين العنف المادِّي، والعنف اللَّفظي، والعنف الرَّمزي، والعنف المقنَّع والعنف الظّاهر، سواء كان فرديًّا أو جمعيًّا. وتؤكد «باربرا ويتمر» أنّ: «أيَّ سلوك شخصيٍّ ومؤسَّساتيٍّ يتَّسم بطابع تدميريٍّ ماديٍّ واضح ضدَّ آخر، يُعدُّ عملاً عنيفًا. هناك العنف الشَّخصيّ الخفيّ، الَّذي يؤذي الآخر نفسيًّا، وهناك العنف المؤسَّساتي الخفيّ؛ حيث تَنتهك البنى الاجتماعيَّة هُويَّة مجموعات الأشخاص»[١١].

ويصنف حسنين توفيق العنف وفق عدد من المعايير[١٢]:

أوَّلها: يرتبط بشكل السُّلوك العنيف وطبيعته، حيث يتدرَّج من الإضرابات والمظاهرات إلى أعمال الشَّغب والتَّمرُّد والتَّصفية الجسديَّة.

ثانيها: يتعلَّق بما يرمي إليه الفعل العنيف؛ إذ يمكن أن يكون الهدف سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا، أو دينيًّا أو إجراميًّا.

ثالثها: يتَّصل بالفئة الاجتماعيَّة الَّتي تمارس العنف، سواء كانت من الطُّلاب أو العمّال أو الفلّاحين أو العسكريين.

رابعها: يتمثَّل في تقدير حجم المشاركين في العنف، الَّذي يتدرَّج من الفرديِّ إلى الجماعيِّ بأحجام متفاوتة.

خامسها: درجة تنظيم العنف، وهنا يمكن التَّفرقة بين العنف المخطَّط له، وأعمال العنف الفجائيَّة أو التِّلقائيَّة.

وهذه معايير تتداخل وتتشابك، ولا يمكن الفصل بينها إلّا على المستوى النَّظريِّ والافتراضيّ، ومن أجل الدِّراسة فحسب.

ثالثًا: الشَّباب؟

أدلى علماء النَّفس والاجتماع والأطبّاء والمختصّون في الدِّراسات السُّكانيَّة بدلوهم في تعريف الشَّباب، لكنَّ القاسم المشترك بينهم جميعًا يبيِّن أنَّ الشَّباب هو المرحلة الَّتي يكتمل عندها النُّضج الجسميُّ والعقليُّ والانفعاليُّ للإنسان، بعدما يفارق المراهقة. والشَّباب يُفضي بالفرد إلى النُّضج الاجتماعيِّ، الَّذي يؤهِّله لتحمُّل أعباء ومسؤوليات حياتيَّة، وممارسة دور معيَّن يختاره أو يتقبَّله، لا سيَّما مع استعداده لتكوين أسرة. وهناك من يحدِّد إجرائيًّا فترة الشَّباب بأنَّها الفترة الممتدَّة من سنِّ الثّامنة عشرة حتَّى الثَّلاثين.[١٢] وهناك من يقسم مرحلة الشَّباب ذاتها إلى مراهقة ويفاع وشباب مبكِّر ثمَّ شباب بالغ.

إذن؛ لا يوجد تعريف واحد للشَّباب، وليس هناك اتِّفاق بين العلماء والباحثين على تعريف جامع مانع. فتعريفاتهم تتباين باختلاف أهدافهم وخبراتهم، والمفاهيم والأفكار الَّتي يتبنَّونها. ولهذا نجد أنَّ مفهوم الشَّباب يتوزَّع على اتِّجاهات يمكن ذكرها على النَّحو التّالي:

١- الاتِّجاه البيولوجيّ، الَّذي يتتبَّع أطوار النُّمو الفيزيقيّ والنُّضج العقليِّ والنَّفسيّ، فيرى أنَّ الشَّباب يبدأ من سنِّ الخامسة عشرة إلى الخامسة والعشرين، وهناك من يجعله بين سنِّ الثالثة عشرة والثَّلاثين.

٢- الاتّجاه السَّيكولوجيّ، الَّذي يتعامل مع الشَّباب بوصفه حالة عمريَّة تشهد نموًّا بيولوجيًّا واجتماعيًّا يبدأ من مرحلة البلوغ وينتهي بدخول الفرد إلى عالم الرَّاشدين.

٣- الاتّجاه السُّوسيولوجيّ، الَّذي ينظر إلى الشَّباب على أنَّه حقيقة اجتماعيَّة وليس مجرد ظاهرة بيولوجيَّة، ولهذا يربط الشَّباب بتوافر مجموعة من السِّمات والخصائص الحياتيَّة.

رابعًا: الهُويَّة والعنف... من تناحر القبائل إلى صراع الحضارات

من يتأمَّل في الملابسات والسِّياقات المرتبطة بالأعمال العنيفة الَّتي تمَّت بسبب تنازع الهُويّات، يجد أنَّ وجاهة التَّصورات ورسوخها وتأثيراتها، الَّتي تبرِّر العنف، تختلف باختلاف المدى، أو القدر الَّذي يتوافر فيه للسَّاخطين الشُّعور بالانتماء إلى جماعة معيَّنة. ويتولَّد هذا الشُّعور ويتعزَّز عبر مجموعة من المعاني والرُّموز، الَّتي تجعل النَّاس واعين بحالات السُّخط المشتركة بينهم، ومدركين في الوقت ذاته حجم وجود الجماعة أو المنظَّمة الَّتي تضمُّهم بين جناحيها، وواثقين من قدراتهم -إن توحدوا - على أنْ ينتفضوا ضدَّ من يضطهدهم أو يقهرهم. ومثل هذا الوضع دفع «ديفيد شوارتز» إلى القول: «الإغراءات الثَّوريَّة تكون ناجحة بمقدار ما توفِّر الشُّعور بالانتماء إلى جماعة تاريخيَّة مُعتدَّة بنفسها، حتَّى لو كانت من صنع الخيال».[١٤]

وبيَّنت بعض الدِّراسات الَّتي عُنيت بتحديد «الاتِّجاهات التَّعصُّبيَّة»[١٥] أنَّ الأفراد يكوِّنون صورة إيجابيَّة عن الجماعة الَّتي ينتمون إليها، وحين يضعونها موضع مقارنة مع الجماعات الأخرى. وهذا التَّمييز الإيجابيّ الَّذي تفرضه الهُويَّة يقف خلف العديد من أشكال التَّحيُّزات السُّلوكيَّة والتَّقويميَّة والإدراكيَّة، الَّتي يتم إنتاجها في ركاب التَّنافس بين الجماعات، وتبنّي الأفراد لاستراتيجيّات التَّعامل مع «الآخر».

ويتمُّ تنجيد الأفراد والجماعات في حركات التَّمرد من خلال نوعين رئيسيين من الإغراء: الأوَّل: يرتبط بالولاء السِّياسيِّ. والثّاني: يتعلَّق بالإغراءات المترتِّبة على الشُّعور بالهُويَّة، [١٦] الَّذي يرتبط بتكوين صورة ذهنيَّة سيِّئة عن الطَّرف الآخر، تراه على النَّحو التّالي:[١٧]

١- الآخر عميل أو مأجور أو ساذج جاهل، ولا يوجد شخص عاقل نزيه يمكنه قبول ما يتفوَّه به الجانب الآخر من تُرّهات.

٢- لم يعد الحوار مع الآخر مجديًا، وقد استنزفنا معه كافة إمكانيّات الحوار، وهو لا يفهم إلا لغة القوَّة، وهو البادئ بالعدوان، والتَّفاهم معه لا يعني سوى الضَّعف أو التَّخاذل.

٣- الآخر هو الخارج على الأصول الصَّحيحة، سواء كانت هذه الأصول هي الدِّين أو المذهب أو القانون، أو الإيديولوجيا أو المسار السِّياسيِّ، أمّا نحن فملتزمون بتلك الأصول.

٤- الآخر لا يمثِّل إلا أقلِّيَّة، أو لا يعدو أن يكون «قلَّة مُنْدَسَّة»، أمَّا نحن فنحظى بتعاطف الأغلبيَّة.

٥- الآخر جامد لا يتغيَّر، حتَّى لو قال بخلاف ذلك، فأقواله خديعة، وحديثه عن التَّغيير وَهْم.

٦- الآخر يؤدِّي بنا إلى الاغتراب، سواء دفعنا إلى مستقبل مجهول، أو سحبنا إلى ماضٍ سحيق لا صلة لنا به.

٧- كلّهم أعداء، ولا فروق جوهريَّة بين المفكِّرين منهم والمنفِّذين، أو بين الموافقين والمعارضين، وما تنوُّعهم واختلافهم سوى خديعة لنا، أو توزيع أدوار.

٨- من الضَّروري أن ننقّي صفوفنا من المتخاذلين، الَّذين يدعون إلى الحوار

مع أعدائنا، فهؤلاء إمّا قاصرو فَهْمٍ سُذَّجٌ، أو هناك من غرَّر بهم وضلَّلهم، أو هم عملاء مزروعون بيننا، أو ذوو عزيمة خائرة، تجعلهم غير قادرين على المواجهة.

والصِّراع على الهُويَّة آفة عرفتها البشريَّة طوال تاريخها، بدءًا من التَّناحرات العشائريَّة القبليَّة، حتَّى صراع الدُّول والإمبراطوريّات والحضارات. وصراع الحضارات هو المشهد الأخير في استخدام الهُويَّة رأس حربة ضد «الآخر». وهنا يقول «صمويل هانتنجتون»: «الفرض الَّذي أقدِّمه هو أنَّ المصدر الأساسيَّ للنِّزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرًا إيديولوجيًّا أو اقتصاديًّا في المحلِّ الأوَّل. فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافيَّة، والمصدر المسيطر للنِّزاع سيكون مصدرًا ثقافيًّا. وستظلُّ الدُّول/الأمم هي أقوى الّلاعبين في الشؤون الدّوليَّة، لكنَّ النِّزاعات الأساسيَّة في السِّياسات العالميَّة ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصِّدام بين الحضارات على السِّياسات الدّوليَّة، ذلك أنَّ الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل»[١٨].

والحضارة في نظر «هنتنجتون» هي: «أعلى تجمُّع ثقافيٍّ للنَّاس، وأوسع مستوى للهُويَّة الثَّقافيَّة للشَّعب، ولا يسبقها إلّا ما يميِّز البشر عن الأنواع الأخرى، وهي تتحدَّد في آن معًا بالعناصر الموضوعيَّة المشتركة مثل الُّلغة والدِّين والتّاريخ والعادات والمؤسَّسات»[١٩].

لكن ما هي الحضارات الَّتي ستتصادم؟ ولماذا؟. من وجهة نظر «هنتنجتون» فإنَّ التَّصادم سيقع بين سبع حضارات موجودة في عالمنا المعاصر، هي: الغربيَّة، والكونفوشيوسيَة، واليابانيَّة، والإسلاميَّة، والهنديَّة، والسُّلافية الأرثوذكسيّة، والأمريكيَّة الّلاتينيَّة، وربَّما الإفريقيَّة. والسَّبب في هذا التَّصادم يكمن، في رأي هنتنجتون، في ستَّة عناصر أساسيَّة:[٢٠]

١- أنَّ الفروق بين الحضارات مسألة جوهريَّة؛ فهناك اختلاف بينها في التَّاريخ واللُّغة والثَّقافة والتَّقاليد، والدِّين، وهو الأهمّ في هذا المضمار. وهذه الفروق أكبر من الاختلافات بين الإيديولوجيّات السِّياسيَّة، وقد نشبت على مرِّ القرون الماضية نزاعات مريرة جرّاء هذه الاختلافات.

٢- أن عمليَّة التَّحديث الاقتصاديّ والتَّغيير الاجتماعيّ أضعفت الأمة بوصفها مصدرًا للهُويَّة، وفكَّكت الهُويّات المحليَّة القديمة، وفتحت الطَّريق أمام الدِّين ليملأ هذه الفجوة.

٣- أنَّ العالم صار «قرية صغيرة»، بفعل ثورة الاتِّصالات، ومن ثَمَّ تزايدات التَّفاعلات بين الشُّعوب، الأمر الَّذي عزَّز الوعي بالاختلافات السّابق ذكرها، والعداوات الَّتي تضرب أو يُعتقد أنَّها تضرب بجذورها في أعماق التّاريخ الإنسانيّ.

٤- خصائص الفروق الثَّقافيَّة ذاتها؛ إذ إنَّها أقلّ قابليَّة للتَّبدُّل. فإذا كان السُّؤال الرَّئيسيّ في النِّزاعات الطَّبقيَّة والإيديولوجيَّة هو: إلى أيِّ جانب نقف، وكان في مقدور النّاس أن يختاروا الجانب الَّذي يميلون إليه، فإنَّ السُّؤال المُثار في النِّزاعات بين الحضارات هو: من أنت؟ وتلك مُسلَّمة لا يمكن تغييرها.

٥- تنامي الدَّور الَّذي تلعبه الخلفية الثَّقافيَّة في النَّزعة إلى إقامة التَّكتُّلات الاقتصاديَّة.

٦- الدَّوْر المزدوج حيال الغرب، فهناك اتجاه للانكفاء إلى الداخل والعودة إلى الجذور في بعض المناطق من العالم. وفي المقابل صارت الجماهير في أماكن أخرى أكثر تعاطيًا مع القيم الغربيَّة، بعد أنْ كانت النُّخب فقط هي الموالية للغرب.

خامسًا: الهُويَّة وثقافة العنف لدى الشَّباب... مقاربة أوليَّة

يؤدي التمسك بالهُويَّة إلى العنف بكلِّ أسبابه وأهدافه وأشكاله. ومرحلة الشَّباب هي أعلى مرحلة عمريَّة يمكن للفرد أن يرتكب فيها أعمال عنف. فالتَّطلُّع إلى المستقبل، والميل الطَّبيعيّ إلى الانتماء لأيَّة جماعة رئيسيَّة أو ثانويَّة، والرَّغبة القويَّة في التَّغيير، يدفع الشَّباب إلى حالة من الدَّوران الدَّائم، لا سيَّما مع توافر طاقة إنسانيَّة مشبَعة بالحماس والحيويَّة والاندفاع والتَّضحية، ونزوع إلى الاستقلال والاعتداد بالنَّفس، مع طغيان مشاعر القلق، وتَعزُّز الأمل في مواقف مثاليَّة، أو حدِّيَّة لا تقبل الحلول الوسط، ولا الوقوف في منتصف المسافات، من دون إهمال الاحتياجات الذَّاتيَّة المرتبطة برغبة الشابِّ في بناء أسرة وتأمين مستوى معيشة مناسب.

وإلى جانب هذه السِّمات النَّفسيّة والاحتياجات الاجتماعيَّة والانحيازات السِّياسيَّة، هناك ثلاث مسائل مهمَّة متناقضة إلى حدٍّ كبير، تمسُّ تأثير قضيَّة الهُويَّة في قيام الشَّباب بتصرُّفات عنيفة، هي:

١- تنامي أزمة الهُويَّة:[٢١] وهي إحدى أزمات التَّنمية السِّياسيَّة، لا سيَّما في المجتمعات الجديدة، الَّتي يُغَلَّب فيها بعض الأفراد انتماءاته العشائريَّة والقبليَّة والطَّائفيَّة على الانتماء للمجتمع الأوَّل، أو الدَّولة، الأمر الَّذي يخلق تنازعًا نفسيًّا داخل الشَّخص بين هذين الانتماءين. ولا تقف هذه الأزمة عند حدود المشكلات الثَّقافيَّة الدَّاخليَّة من قبيل الصِّراع الحضريِّ والرِّيفيِّ، أو العصريَّة والتَّقليديَّة، أو الفجوة بين الحاكمين والمحكومين، بل قد تصل إلى حدِّ الصِّراع المفتوح بين الثَّقافة الوطنيَّة والثَّقافات الوافدة، وبين الخصوصيَّة الذّاتيَّة والسَّيطرة الأجنبيَّة.

وسَكَّ «أريكسون» عبارة «أزمة الهُويَّة» في أربعينيّات القرن العشرين، قاصدًا بها مَن فقدوا الإحساس بالتَّماثل الشَّخصيِّ والاستمراريَّة

التّاريخيَّة. وبهذا الاعتبار ينفصل هذا الفرد عن الثَّقافة الَّتي تستطيع أن تهبه التَّماسك النَّفسيّ، أو تمنحه إحساسه بنفسه. وقد بات هذا المصطلح يستخدم لوصف مرحلة الشَّباب[٢٢]، الَّتي هي من أهمِّ مراحل التَّطوُّر النَّفسيّ والجسديِّ والاجتماعيِّ للإنسان.

٢- تأثير العولمة:[٢٣] طرأت على العالم المعاصر تغيُّرات هزَّت الثَّوابت التَّقليديَّة الَّتي كانت المجتمعات تستند إليها، ودفعت علماء الاجتماع إلى إعادة النَّظر في التَّصوّرات التَّقليديَّة لدراسة الجماعة البشريَّة، والَّتي كانت تنطلق من أنَّ المجتمع تعينه وتضبطه وتنظِّم تفاعلاته حدود الدَّولة القوميَّة، واستبدل ذلك بدراسة تأثير المجتمع الكونيِّ على المجتمع المحليِّ، والدَّعوة إلى تأسيس اجتماع التَّدفُّق بديلاً عن علم اجتماع الأبنية. فالمعلومات والقيم والأفكار والسِّلع الَّتي تتدفَّق بلا هوادة، ورحلات السَّفر والهجرة الَّتي لا تنتهي بين الشّمال والجنوب، وتوحُّش أنماط الاستهلاك، واتِّساع رقعة الفقر والتَّهميش، تؤدّي جميعًا إلى فتح أبواب جديدة للعنف.

٣- حمولات الثَّقافة الدِّينيَّة: فمن ضمن الرُّؤى السَّائدة اليوم في فهم أسباب العنف ومسوِّغاته هناك «اتجاه يُرجِع العنف إلى تأويلات فاسدة للنَّصِّ الدِّيني»[٢٤]. وهذا السَّبب كان المسؤول الأوَّل عن أشكال شتّى من العنف مورست في العالم العربيِّ من المحيط إلى الخليج، على مدار العقود الأربعة المنصرمة، انزلقت في بعض الأحيان والأماكن إلى إرهاب. فالتَّنظيمات والجماعات السِّياسيَّة ذات الإسناد الدِّيني انتقلت من «الدَّعوة» إلى ما أسمته «الجهاد» الَّذي لم يقف عند حدِّ التَّمرُّد على السُّلطات الحاكمة، بل وصل إلى النَّيْل من المجتمع، وجرح منظومة القيم الَّتي توافقت عليها الجماعة الوطنيَّة.

ومن يتأمَّل السِّياقات المحيطة، يجد أنَّ الشَّباب العربيَّ «يسكن قلب أوطان تعتمد التَّمييز بكفاءة بالغة وتنوُّع هائل، فالقبليَّة تفرض تمييزًا حاسمًا يتمُّ وفقه تقسيم المزايا والموارد والسُّلطة، والعائلات الكبرى تستحوذ على عناصر القوَّة، والأثرياء يملكون المال وطاقات الفقراء ومصائرهم، والحضر يتعالى على الرِّيف والفقير، والرِّيف يتعالى على النُّجوع، والرِّجال هم العنصر الأرقى من النِّساء، والفقيرات هنَّ الأقلّ قدرًا من غيرهنَّ، والأسوياء أكثر حظًّا من الأشخاص ذوي الإعاقة الَّذين يشكِّلون ١٠٪ من المجتمع العربيِّ تقريبًا»[٢٥].

ومع تفشّي البطالة وإصرار الكبار على ممارسة الوصاية على الشَّباب في نظام «أبويٍّ» جامد، ينشأ صراع أجيال حادّ، وانسداد الأفق السِّياسيِّ بفعل تسلُّطيَّة الدَّولة وبطشها، واستشراء الفساد، وازدياد حجم الغبن الاجتماعيِّ، وشيوع ثقافات تقليديَّة ودينيَّة نازعة إلى الجمود والتَّشدّد، واستفحال الشُّعور بالقهر والظُّلم والهوان حيال العالم الخارجيِّ؛ مع كلِّ هذا يجد الشَّباب العربيُّ نفسه مدفوعًا إلى الانزلاق نحو ارتكاب العنف بشتّى صوره الرَّمزية واللَّفظيَّة والماديَّة، وهي حالة لا شفاء منها دون انقضاء الأسباب الَّتي تؤدّي إليها.

المراجع

١- شارلوت سيمور سميث، «**موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية**»، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط٢، ٢٠٠٩، ص٥٥٣.

٢- أنتوني جدنز، «**علم الاجتماع**»، ترجمة د. فايز الصباغ، بيروت، المنظمة العربيَّة للترجمة، ط٤، ص٩٠.

٣- د. محمد عاطف غيث، «**قاموس علم الاجتماع**»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٥٣.

٤- سمير بودينار، «**الحوار الحضاري وسؤال الهُويَّة**»، في عبد الحق عزوزي (مشرفًا)، «**القبول بالتعددية الثَّقافيَّة والحوار الحضاري**»، المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية، ط١، ٢٠٠٨، المجلد الأول، ص ٣١٧-٣١٨.

٥- أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، «**موسوعة النظرية الثَّقافيَّة: المفاهيم والمصطلحات الأساسية**»، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة: محمد الجوهري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩، ص٧٠١.

٦- أمارتيا صن، «**الهُويَّة والعنف: وهم المصير الحتمي**»، ترجمة: سحر توفيق، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، سلسة (عالم المعرفة)، العدد (٣٥٢)، يونيو ٢٠٠٨، ص ٨-٩.

٧- المرجع السابق، ص ٣٤-٤٢.

٨- عفت الشرقاوي، «**المصادر الفكرية لمفهوم الهُويَّة لدى رواد الفكر القومي العربي**»، في د. عز الدين إسماعيل (مشرفًا)، «**الهُويَّة القومية في الأدب العربي المعاصر**»، القاهرة، معهد البحوث والدِّراسات العربيَّة، ط١. ١٩٩٩، ص ١٣.

٩- د. حسنين توفيق إبراهيم، «**ظاهرة العنف السياسي في النظم العربيَّة**»، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، سلسلة أطروحات الدكتوراه، العدد (١٧)، ص ٤٢-٤٤.

١٠- لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة انظر: باربرا ويتمر، «**الأنماط الثَّقافيَّة للعنف**»، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة (عالم المعرفة) العدد (٣٣٧)، مارس ٢٠٠٧، ص ٣٩-٥٣.

١١- المرجع السابق، ص٣٧

١٢- د. حسنين توفيق إبراهيم، المرجع السابق، ص ٤٦-٤٨

١٣- د. نجلاء عبد الحميد راتب، «**الانتماء الاجتماعي للشباب المصري: دراسة سوسيولوجية في حقبة الانفتاح**»، القاهرة، مركز المحروسة للنشر، ط١، ١٩٩٩، ص ١٥٠.

١٤- تيد روبرت غير، «**لماذا يتمرد البشر؟**» ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، دبي، مركز الخليج للأبحاث، الطبعة العربيَّة الأولى، ٢٠٠٤، ص٣٢٣.

١٥- د. معتز سيد عبدالله، «**الاتجاهات التَّعصُّبية**»، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسة (عالم المعرفة) العدد (١٣٧)، مايو ١٩٨٩، ص ١١٧.

١٦- جراهام إيفانز وجيفري نونيهام، «**قاموس بنجوين للعلاقات الدولية**»، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، دبي، مركز الخليج للأبحاث، الطبعة العربيَّة الأولى، ٢٠٠٤، ص٣٤٣.

١٧- د. قدري حفني، «**لمحات من علم النفس**»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٢٥٤-٢٥٥.

١٨- ترجمة لمقالة صمويل هنتجنتون الَّتي نشرها بمجلة Foreign Affairs خلال صيف عام ١٩٩٣، في مجموعة مؤلفين «**صدام الحضارات**»، بيروت، مركز الدِّراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط١، ١٩٩٥، ص١٧. ورغم أن هنتجنتون قام بتوسيع هذه المقالة ونشرها في كتاب يحمل العنوان نفسه، فإننا اعتمدنا هنا على المقالة ذاتها، لأنها تتضمَّن جوهر فكرته، وهو الأمر الَّذي نحتاجه في هذه الدراسة، دون الحاجة إلى التفصيلات الَّتي يحملها الكتاب، والَّتي لا تعدو عن كونها برهنة على مقولة صدام الحضارات بأمثلة حية في العالم المعاصر.

١٩- المرجع السابق، ص١٨-١٩.

٢٠- المرجع السابق، ص١٩-٢٣.

٢١- إسماعيل عبد الفتاح الكافي، «**التعليم والهُويَّة في العالم المعاصر مع التطبيق على مصر**»، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة (دراسات استراتيجية)، العدد (٦٦)، ط١، ٢٠٠١، ص ٢٥-٣٠.

٢٢- أندرو إدجار وبيتر سيدجويلك، المرجع السابق، ص ٧٠٤.

٢٣- لمزيد من المعلومات حول هذه النقطة أنظر د. علي ليلة، «**تقاطعات العنف والإرهاب في زمن العولمة**»، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢١-٣٦.

٢٤- بومدين بوزيد، «**سلطة الرمز وخطاب العنف**» في «**الإسلاميون والمسألة السياسية**»، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيَّة، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد (٢٦)، ط٢، ٢٠٠٤، ص ٢٠٣.

٢٥- جيهان أبو زيد، «**الشَّباب العربي والعولمة**»، في «**الشَّباب العربي يخططون للأهداف الإنمائية الألفية**»، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، المكتب الإقليمي للدول العربيَّة، ٢٠٠٦، ص ١٩.

التَّشبيك والتَّواصل والتَّوعية الإعلاميَّة في إطار ظاهرة العنف عند الشَّباب

دة. نائلة إبراهيم عمارة*

مقدمة

أدَّى اتِّساع ثورة الاتِّصالات، وانتشار استخدام الأدوات والتِّقنيات الحديثة إلى سرعة التأثير المتبادَل بين الشَّباب، ومنحهم فرصة التعبير والتواصل فيما بينهم.

وعلى مدار تاريخ وسائل الإعلام، سادت مقولة: «إنَّ حرِّيَّة الإعلام ملك للَّذين يملكون هذه الوسائل». إلّا أنَّ البيئة الاتِّصالية الجديدة، الَّتي جاءت انعكاسًا لحالة التَّزاوج بين كلٍّ من تكنولوجيا الاتِّصال والمعلومات، قد غيَّرت على نحو متسارع وغير مسبوق مفهومَ منتِج الرِّسالة الإعلاميَّة ومحتواها، فحارس البوَّابة التَّقليديّ أصبح هو الفرد نفسه، الَّذي أطلق عليه عالم الاجتماع الإسبانيّ «مانويل كاستل» «المواطن الرقمي» المقاوم لوسائل الإعلام التَّقليديَّة؛إذ تسمح له الإنترنت بظهور ما يسمّى الإعلام الشَّخصيّ.

وكان لظهور الشَّبكة العنكبوتيَّة وتطويرها في منتصف التِّسعينات أكبر الأثر في جذب أعداد هائلة من جمهور وسائل الإعلام، وخاصَّة من الشَّباب الباحثين عن طرق بديلة، لتلبية الاحتياجات الاتِّصاليَّة والمعلوماتيَّة بطرق أكثر تفاعليَّة وجاذبيَّة ومصداقيَّة، فالإنترنت لم تصبح مجرد تكنولوجيا، وإنَّما وسيلة إعلاميَّة جديدة حوَّلت العالَم إلى شاشة إلكترونيَّة.

---

* أستاذة الإعلام ووكيل كلية الآداب لخدمة المجتمع وتنمية البيئة بجامعة حلوان/مصر.

وفي ظلِّ النُّموِّ المتزايد للتَّطوُّرات التّقنيَّة في مجال الاتِّصالات، وفي ضوء نموِّ ظاهرة ما يعرف بالإعلام البديل أو الإعلام الجديد New Media، اهتزَّ عرش الإعلام التَّقليديِّ بأشكاله المتعارَف عليها:إذاعة، تلفزيون، صحافة، وفَقَد كثيرًا من المصداقيَّة، لارتباطه بمصالح الطَّبقات الحاكمة، أو سيطرة رأس المال لفئات تحتكر تلك الصِّناعة، ولأنَّه على نحوٍ آخر، لم يَعد يعبِّر بقدرٍ كافٍ عن الاحتياجات الاتِّصالية للجمهور، وبخاصَّة مَن يعتمدون على الوسائل التِّكنولوجيَّة الجديدة، وهم فئة الشَّباب.

لقد أصبح للفرد دور فاعل مشارك منتِج للرِّسالة. وبهذه الفعاليَّة تحدّى الفرد احتكار وسائل الإعلام التَّقليديَّة للمعرفة ونشر المعلومات وإنتاجها، فانضمَّ طواعيَّة إلى مجتمعه الافتراضيِّ، وتواصل عبر الشَّبكات الاجتماعيَّة، الَّتي استفادت من تقنيَّة الويب (٢,٠).

ويُعدُّ مصطلح (٢,٠) مصطلحًا واسعًا، يشير إلى أيٍّ من تقنيّات وسائط الإعلام الجديدة، الَّتي تنطوي على مشاركة المستخدِم والتَّفاعل معه. ويتمُّ ذلك التفاعل عادة عن طريق تحميل ونشر نصٍّ أو صوتٍ أو فيديو أو صور فوتوغرافية عبر شبكة الإنترنت.

ومن أبرز تطبيقات Web 2.0 ما يعرف بمواقع التَّشبيك الاجتماعيّ Social Networking Websites، وهي شبكة من المواقع الإلكترونيَّة عبر الإنترنت، تعتمد على البرمجيَّات الَّتي تتيح للمستخدِم التَّفاعل مع الآخر، وتبادل البيانات المشترَكة. وتتَّسم برامج هذه المواقع بأنَّها برامج مفتوحة، تتيح للمستخدم القدرة على تحميل البيانات والموادِّ الإعلاميَّة. ومن أمثلة تلك المواقع: ماي سبيس Myspace، والفيس بوك Facebook، وفليكر Flicker، وهاي٥ Hi5، وتويتر Twitter.

وتتيح مواقع التَّشبيك والتَّواصل الاجتماعي لمستخدميها إمكانيَّة التَّواصل مع الأفراد بفعاليَّة أكبر؛ فيمكن للفرد من خلال التَّسجيل في هذه المواقع مشاركة

الملفَّات والصُّور، وتبادل مقاطع الفيديو، والتَّدوين، وإرسال الرَّسائل الخاصَّة، وعمل المحادثات الفوريَّة، بالإضافة إلى عرض المعلومات الشَّخصيَّة في ملف يمكِّن الآخرين من التَّواصل وتكوين الصَّداقات.

وفي المجتمع الافتراضيِّ، تضمُّ مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ الملايين من المستخدمين، الَّذين تجمعهم روابط واهتمامات معيَّنة؛ كالعمر، والدِّراسة، والبلد، والعمل؛ إذ تحقِّق هذه المواقع تواصلاً عميقًا مع الأصحاب والأصدقاء وزملاء الدِّراسة وأفراد العائلة، وتقوّي الروابط بين الأشخاص، بسبب ما تقدِّمه من خدمات التَّواصل المباشر. وقد تكون عامَّة، تهدف إلى التَّواصل العالميِّ وتكوين صداقات حول العالم، وقد تكون متخصِّصة كمجموعات لها اهتمامات معيَّنة.[١]

وأوَّل هذه المواقع هو الَّذي أقيم عام ١٩٩٧ تحت اسم Six Degrees؛ أي منذ أكثر من ١٣ عامًا. وقد استمرَّت هذه الشَّبكة أو الموقع حتَّى عام ٢٠٠١، وكان عدد مرتاديه يتعدَّى المليون شخص، وتمَّ تقدير قيمته بحوالي ١٢٥ مليون دولار. لكنَّ الانطلاقة الفعليَّة للمواقع الاجتماعيَّة جاءت مع انطلاق مواقع: الأصدقاء Friendster وماي سبيس Myspace والفيس بوك Facebook. وتُعدُّ هذه المواقع الثَّلاثة، الأكثرَ شهرةً بين المواقع الاجتماعيَّة على الإنترنت. ويُعدُّ الموقع الأوَّل هو الأقدم؛ إذ تمَّ إطلاقه عام ٢٠٠٢، فهو الموقع الَّذي شارك في تطوير الصِّفات المشترَكة لما يطلق عليه المواقع الاجتماعيَّة الآن.[٢]

ويُعدُّ موقعا الفيس بوك Facebook وماي سبيس Myspace من أشهر مواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ في الوطن العربيِّ وأكثرها انتشارًا؛ إذ يبلغ عدد المستخدمين العرب لموقع الفيس بوك حوالي ٧٠ مليون مشترك.

وتحتلُّ مصر المرتبة الأولى عربيًّا، والمرتبة الثالثة والعشرين عالميًّا، من حيث معدَّلات الدُّخول على موقع الفيس بوك؛ فقد بلغت نسبة مستخدمي الموقع في مصر نحو ١٪ من إجمالي مستخدمي الموقع عالميًّا. ووصل عدد مستخدمي الفيس بوك في مصر حتَّى أوائل أكتوبر ٢٠١٠ إلى نحو ٤٠١ مليون مستخدم. ويأتي موقع الفيس بوك في المركز الثّاني في مصر، من حيث معدَّلات دخول المصريين على المواقع الإلكترونيَّة المختلفة، وفقًا لآخر ترتيب لموقع Alexa في أكتوبر ٢٠١٠[٢]. وقد تعددت أنواع وطرق التَّفاعل الاتِّصالي من خلال مواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ، الَّتي سوف نتناولها بشيء من التَّفصيل في الفقرات التَّالية:

- **الفيديو التَّشاركي** Video-sharing

مواقع الفيديو التَّشاركي Video-sharing websites هي أحد التَّطبيقات العمليَّة الشَّهيرة للتَّحوُّل في توظيف شبكة الويب واستخدامها من كونها مستودعًا رئيسيًّا للمعلومات والنَّشر يحصل من خلالها الجمهور على المعلومات، إلى استخدامها في التَّشبيك والتَّواصل الاجتماعيِّ، من خلال نشر ما ينتجه أفراد الجمهور من مضامين مختلفة، وتبادل التَّعليقات والتَّواصل، والتشارك بسرعة وسهولة في تداولها، وهذا ما يُشار إليه تحت مسمّى User-centered application/ Internet User-gnerated content. وبالتّالي تشترك مواقع الفيديو التَّشاركي مع باقي تطبيقات الإعلام الجديد في تركيزها على أمرين:

- التَّشبيك والتَّواصل الاجتماعيِّ بين الأفراد
Networking and community formation

- تمكين أفراد الجمهور من إنتاج المحتوى الإعلاميِّ
User empowerment.

ومن الضَّرورة بمكان، الحديثُ عن Youtube تحديدًا، لأنَّه يمثل النَّموذج الأكثر شيوعًا وانتشارًا وجماهيريَّة على الإطلاق بين مجموعة مواقع الفيديو التَّشاركي، وهو ما أظهرته نتائج الرَّصد الَّذي قدَّمه موقع Alexa. ويُعدُّ موقع Youtube - الَّذي جاء في المرتبة الثّالثة، بعد موقع الفيس بوك facebook - من أكثر المواقع الَّتي يفضِّلها المصريّون من مستخدمي الإنترنت، ويتردَّدون عليها، كما هو الواقع في نوفمبر ٢٠١٠، وذلك بعد أن كان في المرتبة الرّابعة حتَّى منتصف يناير ٢٠١٠.[٤]

وقد احتفل موقع «يوتيوب «في شهر مايو ٢٠١٠ على مرور ٥ سنوات على افتتاحه، الَّذي بدأ بأوَّل مقطع فيديو لأحد مؤسِّسي الموقع «جاود كريم» وهو بنغاليُّ الجنسيَّة. وفي الاحتفال بمرور ٥ سنوات على الموقع، أعلن يوتيوب عن وصول عدد المشاهدات اليوميَّة للموقع إلى أكثر من ملياري مشاهدة يوميًّا.[٥]

- **الفيس بوك** Face book

منذ انطلاق الموقع عام٢٠٠٤، استطاع الجمع بين كلِّ مميزات التَّواصل على الإنترنت مثل: الـ Chat والمنتديات الـ Forum والمدوَّنات الـ Blogs، وكذلك استطاع أن يضيف إليها الكثير.

وتفترض نظريَّة المجال العامّ، أنَّ الإنترنت من خلال موقع الفيس بوك، تُوجِدُ مجتمعًا افتراضيًّا أو خياليًّا، يتجمَّع فيه مجموعة من الأفراد الَّذين يشتركون في السِّمات والخصائص الاجتماعيَّة والعامَّة، بوصفهم جمهورًا يمارس فيه الأفراد حرِّيَّتهم في التَّعبير عن القضايا والموضوعات المختلفة والشّائكة، وتبادل المعلومات والأفكار بحرِّيَّة، دون وجود أيَّة رقابة أو محاذير بين مجموعات الفيس بوك.[٦]

ويمكن القول إنَّ هذا الموقع يعبِّر عن ظهور مرحلة جديدة من مراحل استخدام شبكة الإنترنت، الَّتي تحوَّلت من كونها وسيلة للتَّرفيه أو الحصول على المعلومات، إلى وسيلة اجتماعيَّة وسياسيَّة، في حين يرى فريق أنَّه بديل للتَّفاعل الاجتماعيِّ في محيط الواقع، ووسيلة جيِّدة للمشاركة والتَّواصل، ويرى فريق آخر أنَّه ليس بديلاً لوسائل الإعلام التَّقليديَّة، وأنَّ المدوَّنات هي الَّتي تقوم بالدَّور التَّنافسيِّ لتحقيق الاحتياجات الإعلاميَّة والمعلوماتيَّة للأفراد.

- **المدوَّنات** Blogs

ومن التَّطبيقات الأُخرى لمواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ الأكثر شعبية وانتشارًا «المدوَّنات»، وتعرف بأنها مواقع متاحة للعموم على صفحات الإنترنت، للتَّعبير عن آراء ووجهات نظر شخصيَّة، وملاحظات لشخص معيَّن، وعادة ما تعبِّر عن موضوع محدَّد، وتعكس شخصيَّة المؤلف، ويتمُّ تحديثها بانتظام.

والمدوَّنات هي اليوميَّات المعبِّرة عن الأخبار والقصص من خلال الإنترنت. فالمدوِّن يمكنه إنشاء مدوَّنته في أقلَّ من خمس دقائق، وفي أيِّ مكان، وبإمكانه أنْ يسجِّل ما يشاء دون أيِّ نوع من الرَّقابة.

وكان أوَّل ظهور للمدوَّنات المصرية في ٢٠ مارس عام ٢٠٠٤، وتعاظمت أكثر خلال عام ٢٠٠٥ في إطار الاستعدادات للانتخابات الرِّئاسيَّة المصريَّة والبرلمانيَّة.

ومع ظهور كلِّ وسيلة إعلام جديدة، كان لا بدَّ من أن يطرح سؤال جدليّ: هل هي خير أم شرّ؟ أم أنَّ الخير والشَّرَّ وجهان لعملة واحدة؟

فمواقع التَّشبيك الاجتماعيّ أتاحت لمستخدميها مساحة من الحرِّيَّة، بعيدًا عن الرقابة المفروضة بكلِّ أشكالها، المباشر منها أو غير المباشر. وأوجدت ما يمكن تسميته بالتَّيار الصَّحفي الجديد، أو بتعبير آخر؛ المتنفَّس الإعلاميّ الجديد

للشَّباب، الَّذي فقدت مؤسَّسات الدَّولة قدرتها على احتوائه، وتعالت على طموحاته، وتجاهلت أحلامه، فدفعته إلى أن يفكِّر ويحلم ويعارض ويؤيِّد في عالمه الافتراضيّ، الَّذي لا تحكمه سوى رغباته ومعرفته بالتِّكنولوجيا.

لقد أصبحت المدوَّنات في كثير من القضايا صاحبة السَّبق، إمَّا بطرح قضايا غير مطروحة، أو التقاط أحداث لم تعرض إعلاميًّا. وفي حالات أخرى تطوير وتقديم بعض أبعاد وفعاليَّات وخلفيَّات لأحداث سكتت عنها وسائل الإعلام التَّقليديَّة مثل: العنف البدنيّ والاضطرابات، وحوادث استغلال النُّفوذ والبلطجة، والتَّحرُّش الجنسيّ، بالإضافة إلى فعاليّات بعض القوى السِّياسيَّة المعارضة، الَّتي تنادي بالتَّغيير السِّياسيِّ في المجتمع وتطالب به.(٧)

ولا يمكن إغفال أنَّ المدوَّنات قد واكبت حالة الحراك السِّياسيِّ الَّذي يشهده المجتمع المصري في السَّنوات الأخيرة، وأنَّها أدخلت لغة جديدة في الخطاب السِّياسيِّ لم يعرفه المجتمع من قبل. ومن أبرز الأمثلة على ذلك: لجوء الشَّباب إلى مواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ للتَّعبير السِّياسيِّ الحرّ.

ومع أنَّ مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ أسهمت في الاهتمام بالقضايا الاجتماعيَّة، وقضايا المواطنة وتداول السُّلطة، متجاوزة بذلك الخطاب الدَّارج في الإعلام المصريِّ، إلّا أنَّ لغة الخطاب قد اقتربت في بعضها من عدم احترام قواعد الخطاب الإعلاميِّ المتعارف عليه، أو النَّقد الموضوعيِّ، أو اللَّياقة اللُّغويَّة، فعكست في بعض الأحيان حالة من العنف اللَّفظي والفكري معًا.

ولا يمكن في هذا المضمار إغفال ما قامت به بعض هذه المواقع من إذكاء روح التَّعصُّب الدِّينيّ والتَّوتُّر الطَّائفيّ، بما تضمَّنته من السُّباب والسُّباب المضادِّ، الَّذي يصدر من أتباع الدِّيانات المختلفة، دونما فهم حقيقي لفلسفة التَّسامح والتَّعايش واحترام الآخر، وهو ما جعل من الفضاء الإلكترونيِّ ساحة للتَّعارك ومحاولة إثبات

الهُويَّة الذّاتيَّة وإنكار هُويَّة الآخر. فبعض المواقع سواء الإسلاميَّة أو المسيحيَّة تعمل على تفتيت الوحدة الوطنيَّة، والاستهتار بمفهوم المواطنة، وأُسس التَّعايش السِّلمي. ويأتي التَّركيز على المدوَّنات الدِّينيَّة، لأنَّ ظاهرة التَّعصُّب الدِّينيِّ أصبحت تعصف بمقدَّرات عالم اليوم، ليس في مصر وحدها، وإنَّما على مستوى العالم بأسره؛ فالأصوليَّة أصبحت داء العصر.

ونخلُص من كل ما سبق إلى أنَّ مواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ هي مساحة للتَّعبير الحرِّ عن الآراء والأفكار، وفي الوقت نفسه يمكن أنْ يُنظَر إليها - في بعض الأحيان - على أنها ممارسة للعنف اللَّفظي، الَّذي قد يتحوَّل - مع الوقت - إلى عنف سلوكيّ؛ وذلك حينما يتعدَّى الاحتجاج أو الاعتراض أو الاختلاف في الرَّأي مرحلة النِّقاش الحادِّ وتبادل الشَّتائم، والسُّباب والقذف، والتَّحريض إلى حيِّز الفعل المتمثّل في السُّلوك العدوانيّ العنيف، وبذلك نتخطّى مرحلة الصُّراخ الإلكترونيّ إلى رسم خريطة لواقع تسوده الممارسات العُنفيَّة.

وعند طرح بعض المؤثِّرات السَّلبيَّة لاستخدامات مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ، لا يمكن إغفال نتائج كثير من الدِّراسات والبحوث، الَّتي أكَّدت العلاقة بين التَّعرُّض للمواقع والأفلام الإباحيَّة وارتكاب الجرائم، مثل التَّحرُّش اللَّفظيّ أو جرائم الاغتصاب، في الوقت نفسه الَّذي أكَّدت فيه عدد من الدِّراسات أنَّ أكثر مستخدمي المواد الإباحيَّة من صغار السِّنِّ، الَّذين تتراوح أعمارهم بين ١٢-١٧ سنة.

وقد وجد عالم النَّفس «إدوارد دونرستين» من جامعة وسكونسن بأمريكا أنَّ الَّذين يمارسون الدَّعارة والإباحيَّة غالبًا ما يؤثِّر ذلك في سلوكهم، فيزداد لديهم العنف، وعدم الاكتراث لمصائب الآخرين، وتقبُّل جرائم الاغتصاب. ووجد عدد من الباحثين أنَّ مثل هذه الإباحيَّة تؤدّي إلى جرائم الاغتصاب. ووجد عدد آخر من الباحثين أنَّ الإباحيَّة تورِّث جرائم الاغتصاب والعنف الجنسيّ، وإرغام الآخرين

على الفاحشة، وهواجس النَّفس باغتصاب الآخرين، وعدم المبالاة لجرائم الاغتصاب، وتحقير هذه الجرائم.[٨]

وفي دراسة عن حوادث التَّحرُّش الجنسيّ في مصر، قام بإجرائها معهد التَّخطيط القوميّ بمصر بالتَّعاون مع البرنامج الإنمائيّ للأمم المتَّحدة (UNDP) على عيِّنة من الشَّباب المصريِّ في الفئة العمريَّة من (١٠-٢٤ سنة)، اتَّضح أنَّ حوالي ٥٠٪ من المبحوثات تعرضن لبعض أشكال التَّحرُّش الجنسيّ، وأنَّ حوالي ٩٨,٩٪ من المبحوثات ذكرن أنَّهنَّ تعرضن للتَّحرُّش الجنسيِّ بالقول، وحوالي ٤,٥٧٪ من المبحوثات ذكرن أنَّهنَّ تعرضن للَّمس مناطق حساسة، أو أُجبرن على ملامسة الآخرين، وذكر ٩٧,٩٪ من المبحوثات أنَّهن تعرضن للتَّحرُّش من غرباء وأنَّ ٤٣,٢٪ من المبحوثات ذكرن أنَّهنَّ تعرضن للتَّحرُّش في المواصلات العامَّة، بالإضافة إلى أنَّ ١٠٪ من المبحوثات ذكرن أنَّهن تعرضن للتَّحرُّش في الشَّوارع المظلمة، و٥٥٪ تقريبًا من المبحوثات أنَّهنَّ لم يخبرن أحدًا عن أنَّهنَّ تعرضن للتَّحرُّش، بينما ذكرت ٤٥٪ من المبحوثات أنَّهنَّ أخبرن أحد الأفراد، وأنَّ المبحوثات أشرن إلى أنَّهنَّ أخبرن أحدًا من الأفراد أو أبلغن الشرطة عما حدث لهنّ. وقد أشارت ٨,٧٪ من المبحوثات في الفئة العمرية ٢٢-٢٩ سنة أنَّهنَّ تعرضن للتَّحرُّش من رؤسائهم أو زملائهم في العمل، وأشارت ٦,٦٪ من المبحوثات في الفئة العمرية ٢٢-٢٩ سنة أنّهن تعرَّضن للتَّحرُّش من الزَّبائن. وأخيرًا ذكرت ٤٪ من المبحوثات في الفئة العمرية ٢٢-٢٩ سنة أنَّهنَّ تعرضن للتَّحرُّش عند ذهابهنَّ وعودتهنَّ من العمل.[٩]

ويوجد على مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ مجموعات كثيرة تحتوي على مواد إباحيَّة، وفتيات يعلنَّ عن أنفسهنَّ، يتمّ تبادلها على الملأ دون أيِّ رقابة. وتضمُّ هذه المجموعات أعدادًا ليست قليلة من الشَّباب من الجنسين. وقد أشارت كثير من

الدِّراسات الأجنبيَّة إلى أن الشَّخص الَّذي يعرِّض نفسه للمواقع الإباحيَّة وللصُّور والمشاهد الجنسيَّة يكون أكثر عنفًا، ويؤدّي به التَّفكير الدّائم في الجنس إلى القيام بعمليَّات الاغتصاب والتَّحرُّش الجنسيّ.

وفضلاً عن بعض أشكال وصور العنف النّاتجة عن مواقع التَّشبيك الاجتماعيَّ، بوصفها بيئة إعلاميَّة جديدة وجيِّدة لنشر الشَّائعات والأكاذيب والمهاترات، فإنَّ هذه المواقع لها سلبيّات أُخرى، منها أنَّ شائعات الإنترنت غير قابلة للتَّحريف، وتحتفظ بقوَّتها، ولا تضيع معالمها في أثناء التَّداول والتَّزوُّد بمعالم أثناء التَّداول، وإمكانيَّة تزويدها بعناصر تضيف إليها جاذبيَّة مثل: الصُّور والرُّسوم والفيديو، قد يقذف بها شخص لا يعبِّر عن هُويَّته الأصليَّة، وتذوب وسط كمٍّ هائلٍ من الأخبار والمعلومات، ممَّا يفقد المتلقّي قدرته على إعمال العقل واستحضار الحسِّ النَّقديِّ، فكيف يتمكَّن الإنسان العادي من استحضار مؤهِّلات وأدوات مهاريَّة عقليَّة للتَّمييز بين الخبر والرَّأي، وبين الحقيقة والخيال، وبين الإشاعة والدِّعاية، وكيف يمكن الصُّمود وسط بيئة اجتماعيَّة هاجسها الأعظم هو البحث عن الإثارة؟.

وفي ظلِّ هذه البيئة، يتولَّد ما يمكن أنْ نطلق عليه الرَّأي العامّ الإلكتروني، وأكثر القطاعات تأثُّرًا به قطاع الشَّباب، بوصفه الفئة الأكثر استخدامًا للإنترنت.

استراتيجيَّة الاستفادة من مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ لمناهضة سلوك عنف الشَّباب

ومع كلِّ ما سبق ذكره عن بعض السَّلبيات الَّتي تشوب استخدامات مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ، الَّتي من الممكن أنْ تكون تحريضًا أو دافعًا أو منشِّطًا لحالات العنف المتنامية، إلَّا أنَّه لا يمكن إغفال حقيقة أنَّ هذه المواقع قد أصبحت صوتًا للمهمَّشين والمحبَطين والمغتربين، وأنَّها عزَّزت من قدرة الأفراد على التَّناغم مع معطيات الواقع، والتَّشابك مع دواخله.

وفي هذا الصَّدد يؤكِّد بعض الباحثين أنَّ مواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ تُعدُّ متنفَّسًا لكثير من الشَّباب المحبَط؛ فالشَّباب اليوم يعايش واقعًا مضطربًا عجز عن فهمه أو فكِّ شفرته؛ وهو واقع يموج بالاضطرابات والتَّغيّرات والتَّحوّلات الحادَّة في جميع مناحي الحياة. فعلى سبيل المثال نجد أنَّ الشَّباب المصريَّ الَّذي يمثِّل ٥٨٪ من البناء الدِّيموغرافي للسُّكّان يعاني من ضغوط اجتماعيَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة، وكذلك تجزئة الهُويَّة وغياب ثقافة الآخر، وهو ما انعكس على نحوٍ أو آخر على تفشّي ظاهرة العنف –بكل أشكاله ومستوياته– والعدوان في المجتمع المصريِّ بعامَّة، وفئات الشَّباب بخاصَّة.

وفي ضوء ارتفاع معدلات استخدام الشَّباب لموقع التَّشبيك الاجتماعيِّ، والإفرازات السَّلبيَّة والإيجابيَّة لهذا المستخدم، وفي ضوء تنامي ظاهرة العنف، يمكنا أنْ نطرح سؤالاً جوهريًا: هل يمكن لمواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ أن تؤدّي دورًا إيجابيًا في الحدِّ من ظاهرة العنف؟

لا يمكن الإجابة عن هذا التَّساؤل دونما إشارة إلى أنَّ وسائل الإعلام التَّقليديَّة منها والجديد ليست مؤثِّرًا وحيدًا في هذا المجال، ولا تمتلك قدرة على التَّأثير دون وجود تغيُّر موازٍ في الواقع الاجتماعيِّ، فأيَّة خطَّة إعلاميَّة أو استراتيجيَّة لا يمكن النَّظر إليها بمعزل أو في فراغ.

ومن خلال رصد مدى اهتمام مواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ الحاليَّة بقضايا العنف، نجد أنَّها أداة فعّالة في مناهضة العنف والإرهاب، سواء ضد المرأة أو الأطفال. ومن أمثلة المجموعات (Groups) الَّتي تمَّ إنشاؤها على موقع الفيس بوك المناهضة للعنف نجد:«لا لكل أشكال العنف ضد الفتيات والنِّساء»، «المرصد الوطني لحقوق الإنسان ومكافحة العنف»، «من أجل القضاء على العنف الأُسريِّ وكافَّة أشكال التَّمييز ضدّ المرأة»، «معًا من أجل الرُّوح الرِّياضيَّة ونبذ العنف»،

«ضدّ العنف في الملاعب»، «ضدّ العنف الإسرائيلي»، «العنف ضدّ المرأة والطِّفل»، «معًا نناهض العنف ضدّ المرأة»، وغيرها.

وقد استهدفت معظم هذه المجموعات توعية النِّساء وإعلامهنَّ عن الحقوق ة معالجة جذريَّة، والضَّغط على وزارة التَّربية والتَّعليم حتَّى تتحمَّل مسؤوليّاتها في حماية الإطار التَّربوي وفق ما يفرضه القانون». وهناك مجموعات أخرى، منها: «لا للعنف في المدارس»، «لا للعنف ضدَّ الأطفال»، «لا للعنف التَّربويّ» وغيرها.

إلَّا أنَّ العنف لدى الشَّباب لم يجد مثل هذا الاهتمام من المواقع المختلفة، أو لم يتمَّ التَّصدّي له في إطار حملات جادَّة، أو مواقع متميِّزة، لإيجاد حالة من الوعي بالظّاهرة والدَّعوة إلى المساهمة في التَّقليل من أشكال السُّلوك العُنفيِّ لدى الشَّباب في المجتمع المصريّ.

وفي هذا السِّياق لا بدَّ من التَّطرُّق إلى أهمِّيَّة توظيف مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ، وخاصَّة المجموعات لدى منظَّمات المجتمع المدني المعنيَّة بقضايا العنف، والتَّركيز محوريًّا على الشَّباب الَّذين لم يلقوا الاهتمام نفسه، الَّذي لقيه قطاع المرأة والأطفال. ونرى أنَّه لا بدَّ من الاستفادة من صحافة المجتمع المدنيِّ، من خلال مواقع التَّشبيك الاجتماعيِّ لتعميق مفهوم الحوار والنِّقاش، واستخدام مُدخلاتٍ واستراتيجيّات إقناعيَّة، مبنيَّة على أسس علميَّة سليمة. ولا بدَّ كذلك من استخدام المؤسَّسات التَّربوية والتَّعليميَّة لهذه المواقع، ليس للتوعية بظاهرة العنف فحسب، وإنَّما للتَّدريب على الاستخدام الآمن لتلك المواقع، والتَّبصير بمضارِّ ما يحرِّض منها على العنف أو الإباحيَّة أو الكراهيَّة.

ولوسائل الإعلام التَّقليديَّة، وخاصَّة التِّليفزيون، دورها المحوريّ في تفشّي ظاهرة العنف، خاصَّة لدى الأطفال والشَّباب، سواء من خلال زيادتها لتوقُّعات وطموحات الأفراد في ظلِّ واقع لا يلبّي الاحتياجات الأساسيَّة لهم، أو من خلال

زيادتها نمذجة العنف وطرحه سلوكًا غير مستهجَن، أو حلٍّ ناجح في المواقف المتأزِّمة، كما أكَّدت بعض الدِّراسات. وهناك دراسات أخرى قد أكَّدت الدَّورَ الإيجابيَّ للعنف والعدوان المطروح من خلال الإعلام التَّقليديِّ؛ كونه يعمل بديلاً أو تنفيسًا عن العنف كسلوك في الواقع، أي إنَّه بمعنى آخر شبيه بحالة التَّطهُّر من سلبيَّة تلك المشاعر. وبعيدًا عن هذا الجدل البحثيِّ لا يمكن إغفال هذا الدَّور الحيويّ الَّذي يمكن أن تؤدِّيه تلك الوسائل في تنظيم الحملات الإعلاميَّة، للتَّوعية بظاهرة العنف، وأسبابها، وطرق معالجتها وفق خطَّة واضحة المعالم، تنشد إحداث التَّغيير على مستوى كلٍّ من الوعي والاتِّجاه والسُّلوك، مع عدم إغفال مفهوم التَّكرار المستمرّ للرِّسالة، وتحديد دور الفرد والمجتمع في مواجهتها.

المـراجـع

1- *http://ar.wikipedia.org/wiki*

٢- رشا عبدالله، **مواقع الشبكات الاجتماعيَّة الإلكترونية بين الخصوصية والحرِّيَّة** في كتاب العربي ٨١، **الثَّقافة في ظل وسائط الاتِّصال الحديثة**، الكويت، وزارة الإعلام- مجلة **العربي**، ط١، يوليو ٢٠١٠.

٣- نعايم سعد زغلول، **الإنترنت كنافذة إعلامية جديدة الواقع والمستقبل**، الملتقى العربي الأول حول الصحافة الإلكترونية، ٢٨-٣٠ نوفمبر، ٢٠١٠، القاهرة، المنظمة العربيَّة للتنمية الإدارية، ٢٠١٠. ص ٣٧.

٤- مها عبد المجيد صلاح، **مواقع الفيديو التشاركي: واقعها ومستقبلها وتأثيراتها**، الملتقى العربي الأول حول الصحافة الإلكترونية ٢٨-٣٠، نوفمبر، ٢٠١٠، القاهرة، المنظمة العربيَّة للتنمية الإدارية، ٢٠١٠.

5- *http://www,shathaa.com/vb/showthread php?t=38374.*

٦- نرمين زكريا خضر، **الآثار النَّفسيّة والاجتماعيَّة لاستخدام الشَّباب المصري لمواقع الشبكات الاجتماعيَّة، دراسة على مستخدمي موقع الفيس بوك**، المؤتمر الدولي العلمي الأول، الأسرة والإعلام وتحديات العصر، ١٥-١٧فبراير ٢٠٠٩، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠٩.

٧- هشام عطية، خصائص المجال العام لتقديم تعبيرات السياسية والاجتماعيَّة عن قضايا وأحداث الشؤون العامة في وسائل الإعلام الجديدة: دراسة تحليلية لخطاب المدونات المصرية ومجموعات الفيس بوك، المؤتمر الدولي العلمي الأول، الأسرة والإعلام وتحديات العصر، ١٥-١٧فبراير ٢٠٠٩، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠٩.

٨- شريف درويش اللبان ودينا عمر فرحان، **المخاطر المتعلقة بالإباحية الإلكترونية على الشَّباب المصري وآليات مكافحتها، دراسة ميدانية على عينة من الشَّباب الجامعي**، المؤتمر الدولي العلمي الأول، الأسرة والإعلام وتحديات العصر، ١٥-١٧ فبراير ٢٠٠٩، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ٢٠٠٩، ص ٢٨.

٩- **تقرير التنمية البشرية ٢٠١٠**، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، ومعهد التخطيط القومي، مصر، ص١٠٢.

حوار سموّ الأمير الحسن بن طلال
مع الشباب والمشاركين

حوار سموّ الأمير الحسن بن طلال
مع الشباب والمشاركين

أ.د. هُمام غَصيب

تشاهدون أمامكم صاحب السموّ الملكيّ الأمير **الحسن بن طلال**، ومعه دولة الدكتور عدنان بدران رئيس وزراء سابق/رئيس جامعة البترا الخاصَّة في الأردنّ، ورئيس لجنة الإدارة في منتدى الفكر العربيّ، وأيضًا معالي الدكتور عادل الطويسي رئيس الجامعة الأردنيَّة، وعطوفة الدكتور عبدالله عبابنه مدير مركز تنمية الموارد البشريَّة في الأردنّ.

وصاحب السُّموّ الملكي الأمير **الحسن بن طلال** حفظه الله ورعاه ليس بحاجة إلى تعريف، فهو رئيس المنتدى وراعيه ومؤسِّسه. وسوف نستمع إليه ونتحاور معه.

أرحِّب بكم يا صاحب السُّمو الملكيّ، وبصحبك الكرام، وثمَّة كلمة لسعادة الفاضلة هاجر إسلامبولي ممثِّلة الدكتور إسماعيل سراج الدين.

أة. هاجر الإسلامبولي

سموّ الأمير صباح الخير. بالإنابة عن الدكتور إسماعيل سراج الدِّين، الذي يشارك بمحاضرة عن العلم والتِّكنولوجيا في أحد المؤتمرات الكبيرة الَّتي تنظِّمها مكتبة الإسكندريَّة، وهو مؤتمر يتعلَّق بواحد من المشاريع الَّتي تترجم مبادرة الرَّئيس أوباما في حواره، وفي رسالته إلى العالم الإسلاميِّ.

أرحِّب بسموِّكم مرَّة ثانية في مكتبة الإسكندريَّة. إنَّ استضافتنا لهذا المؤتمر هو نتيجة للتَّلاقي الفكريِّ بين مكتبة الإسكندريَّة ومنتدى الفكر العربيِّ حول أهمِّيَّة الشَّباب ودورهم في مستقبل عالمنا العربيِّ. وأرحِّب بسموّكم عضوًا في مجلس أمناء مكتبة الإسكندريَّة، ورئيسًا لمنتدى الفكر العربيِّ، الَّذي أثرى الحياة الفكريَّة العربيَّة بالعديد من المشروعات والمؤتمرات. نأمل من سموِّكم دوام التَّواصل معنا.

وفي هذا المؤتمر الشَّبابيِّ الرَّابع، الَّذي يناقش موضوع: «الشَّباب وظاهرة العنف». يتطلع الشَّباب إلى الاستماع إلى رؤيا سموِّ الأمير في هذا الموضوع، تحدوهم رغبة كبيرة للحوار مع سموِّكم.

سمو الأمير الحسن بن طلال

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّيدة الفاضلة هاجر الإسلامبولي، الدكتور همام غصيب، إخواني وأخواتي أعضاء منتدى الفكر العربيّ، وزملائي وزميلاتي المشاركين والمشاركات من كلِّ دولة عربيَّة ساهمت وتسهم دائمًا في تطوير رؤى المعرفة.

أبدأ بالحديث عن المعرفة والثَّقافة العربيَّة بكاملها، ثمَّ أتحدَّث عن المجتمع بكامله. وبعد ذلك عن النُّظم الَّتي من خلالها نتحدَّث عن تطوير مساقٍ معرفيٍّ. فنحن، بسبب ضيق النَّظرة، لم نهتمَّ كثيرًا بالحديث عن تداخل النُّظم وتداخل المعارف، وبالتَّالي نخسر مكانتنا الدّوليَّة أو الإقليميَّة في هذا العالم، لأنَّنا نعتقد أنَّ المعرفة مرتبطة تلقائيًّا بظُلامة مشروعة. وهنا أعود إلى ما قاله المهاتما غاندي عام ١٩٣٩، حيث يقول: «الإنسانيَّة جمعاء عائلة لا تنقسم، وكلُّ واحد منا مسؤول عن سيِّئات كلِّ الآخرين». وهذا الاقتباس أشرت إليه في دراسة لي بعنوان: «**هل ستكسب الإنسانيَّة معركتها**».

إنَّ هنالك وجهات نظر مختلفة في التَّعامل مع الثَّقافة والدِّراسة، الَّتي هي أساس النِّداء لإقامة نظام عالميٍّ إنسانيٍّ جديد، فالإنسان يعمل ضدَّ أخيه الإنسان. وهنا اسمحوا لي أنْ أذكِّر أنَّنا - مع شديد الأسف - في كلِّ لقاء نحاول إعادة صناعة الدولاب، كما يقول إخوتنا في لبنان. ولكنَّنا عندما نتحدَّث عن أخلاقيَّات التَّضامن الإنسانيِّ على مستوى التَّحدّي والإطار، لا بدَّ لنا - بطبيعة الحال - في المؤتمرات الدّوليَّة من أن نتناول السُّكّان والبيئة، والفقر والتَّنمية، والاستعداد العسكريِّ العالميِّ والإرهاب، ومشكلة المخدِّرات العالميَّة. وأَجيز لنفسي كمواطن من العالم الثَّالث - والعالم الثَّالث هو عالمي الأوَّل - أن أقول: انتبهوا إنسانيًّا.

إنَّ التَّحوُّل الكيفيّ في المزاج العامِّ من العنف إلى اللاعنف، يتطلَّب تغييرًا كيفيًا في البنية وفي السِّياق السِّياسيِّ، وهذا منظور صحيح بنسبة ١٠٠٪، ولكنَّه أيضًا خارج قدراتنا نحن على الأقل، وبالتَّالي علينا أن نبدأ بما هو ممكن ومتاح، فنبدأ بمعالجة المسائل الصَّغيرة، الَّتي من ثَمَّ يؤدِّي تراكمها إلى إحداث قدر كافٍ من التَّغيير. فعلى سبيل المثال، إذا استطعنا أن نحوِّل المؤسَّسات التَّعليميَّة بكافَّة مراحلها إلى مؤسَّسة لتنشئة المواطن على القدرة على التَّعبير، وعلى المشاركة، وعلى تبنِّي قيم الدِّيمقراطيَّة والتَّسامح، فسننتج على المدى الطَّويل مواطنًا قادرًا على أن يدفع المجتمع باتجاه التَّغيير السِّياسيِّ والاجتماعيِّ. وهنا نتساءل: كيف يمكن أن نحوِّل المؤسَّسات التَّعليميَّة إلى مؤسَّسة للتَّربية على مكافحة العنف أو مواجهة العنف؟ وماذا يجب أن نفعل أفرادًا ومؤسَّساتِ مجتمعٍ مدنيٍّ، ودولة تجاه دور المؤسَّسة التعليمية؟ وماذا يمكن أن يترتَّب من فعلٍ داخل المؤسَّسة؟

هناك وجهتا نظر؛ واحدة ترى أنَّه لا يجب إتاحة الفرصة للعمل السِّياسيِّ داخل الجامعات، حتَّى لا يوجد تشاحن وبغضاء. وأخرى ترى أنَّ الجامعة هي الَّتي تؤهِّل المواطن للمشاركة السِّياسيَّة، ومعرفة حقوقه، وكيف ينتخب في البرلمان،

وكيف يرشِّح نفسه للبرلمان، وكيف يعدُّ برنامجًا انتخابيًّا. فالتَّدريب الأساسيُّ يتمُّ في الجامعة. علينا أن نخرج بتوصيات تساعد في إحداث التَّغيير الاجتماعيِّ والسِّياسيِّ، وهو تغيير حتميٌّ وضروريٌّ.

الدِّيمقراطيَّة والحوار يتطلَّبان التَّدريب على ذلك، في المدرسة، وفي الأندية والمجالس الطُّلابيَّة، لإيجاد جيل ديمقراطيٍّ.

في مدارسنا لائحة لاتحاد الطلاب تقوم على أساس ديمقراطيٍّ، ولا خلاف على هذا، لكنَّ هذه اللَّائحة الَّتي وضعتها الدَّولة كقانون ملزِم، يجب أن تنفَّذ في المدرسة، ومن لم يقم بتنفيذها هم المعلِّمون الَّذين لا يؤمنون بالدِّيمقراطيَّة، فهذا النَّمط من المعلِّمين ليس لديهم ثقة بالطَّلبة، لأنَّ هؤلاء المعلِّمين تمَّت تنشئتهم بطريقة خاطئة. إذًا نحن بحاجة إلى تغيير الثَّقافة والإعداد.

دعونا نتحدَّث عن إدماج مفاهيم المواطنة والدِّيمقراطيَّة والحوار والاتِّصال في مناهج التَّعليم الَّتي ندرِّسها في المدارس، ونتبنَّى هذه الأفكار في المناهج الَّتي ندرِّسها، ليس على صعيد الخطاب فحسب، بل على صعيد الممارسة.

عندما نتحدَّث عن قوى التَّغيير، فإنَّما نتحدَّث عن الشُّعوب الجديدة، وفي مقدِّمتها النِّساء والشَّباب.

أمامي دراسة بعنوان: «**العنف المجتمعي في الأردن الواقع والأسباب والحلول**» صدرت في أغسطس/آب ٢٠١٠ قدَّمها أربعة أساتذة أفاضل من الجامعة الأردنيَّة، وأستاذ من جامعة اليرموك، إلى وزارة التَّعليم والبحث العلميِّ وصندوق دعم البحث العلميِّ.

وما يعجبني في هذا الأسلوب عندما التقينا بالشهود من أقاليم مختلفة من قارَّات العالم الخمس، للحديث عن التَّنمية الحديثة، أو الشَّركات ذات الجنسيات

المتعدِّدة، ووسائل الاتصال. وذهبنا إلى سان باولو، وصغنا عبارة جديدة: «أطفال الشَّوارع»، وذلك بالتَّفاعل مباشرةً مع الكنيسة ومع المجتمع المحليِّ. والإشارة إلى هؤلاء الأطفال بأنَّهم مجرمون تنعكس علينا سلبًا أكثر مما تنعكس عليهم، لأنَّنا نحن صُنَّاع القرار، وكما يقال: «لنا خيار صنع القرار»، ممَّا يؤدي إلى مزيد من الاستثمار الافتكاريّ! والتَّجاهل والتَّهميش للفقراء، أو يؤدِّي إلى تمكين وتأهيل هؤلاء.

وقبل أشهر تقريبًا، أسهم معالي الدكتور مدحت حسنين، الذي شرفنا في اللقاء الأخير في منتدى غرب آسيا وشمال إفريقيا WANA، كما أدين للدكتور إسماعيل سراج الدين بالفضل في دراسته حول الثَّقافة العربيَّة ومكانة الأمَّة العربيَّة في عالم متسارع التَّغيير. في لقاء WANA تحدَّثنا أيضًا عن نشرة بالعربيَّة وباللغات الأخرى للأمم المتَّحدة بعنوان: «**جعل القانون يعمل من أجل الجميع**» أو «**التَّمكين القانوني للفقراء**»، وتناولنا في هذه الدِّراسة التَّمكين القانوني، ووجدنا سببين رئيسيين من أهم الأسباب الَّتي تؤدِّي إلى العنف المجتمعيِّ، لهما تأثير كبير في التَّركيبة الاجتماعيَّة أو النَّسيج الاجتماعيّ، على نحو خطير، هما: الفقر والإحباط؛ أقول الفقر إشارة إلى المعرفة، لأنَّ الفقر المعرفيَّ يتضمَّن غياب أو جهل كيفيَّة التَّعامل مع الدَّولة ذات القانون، وذات السِّيادة القانونيَّة؛ إذ نرى أنَّ كاتب الاستدعاءات، كما يسمَّى في المشرق العربيِّ، ما زال على رأس عمله خارج هذه القاعة المزوَّدة بأحدث وسائل الاتِّصال الحديث.

إنَّ مشكلة المواطن هي غياب معهد للخدمة المدنيَّة كما يبدو لي. وأعترف بهذا في هذه المرحلة من تاريخ الأردن، ونحن مقبلون على مرور ستِّين عامًا على قيام الدُّستور الأردني في شهر ١/٢٠١٢.

فالنَّظرة للدَّولة، وللسُّلطة، هي نظرة وظيفة؛ فالكلُّ يبحث عن وظيفة. ولكنَّ فكرة الخدمة الاجتماعيَّة وتقديمها للآخرين ليست على رأس قائمة الأولويَّات، فالبعض يعتقد أنَّ عصر التَّخطيط أنهى الأولويَّات، وهذا الخطأ بعينه، لأنَّ الأولويَّات والتَّخطيط، والتدبير لنا من قبل الآخر؛ من قبل الخواجات، مستمرٌّ منذ قرون؛ قبل وصول نابليون وشامبليون ومجموعة الحكماء إلى شواطئ مصر.

إنَّ الفجوة الرقميَّة ما زالت قائمة، ولكنَّها مرتبطة باستخدام المنطق الطبيعيِّ وما يسمى باللُّغة الإنجليزيَّة Common sense وأرى أنَّ Common sense، أو المنطق الطَّبيعيّ للأشياء، أو المنطق العامّ، أساس للثَّقافة، الَّتي تعمل من خلالها. المنطق السائد هو أن تذهب إلى كاتب الاستدعاءات، والمنطق السَّائد أنْ توزِّع آلات الكومبيوتر واللاب توب، ولكن المنطق السّائد لا يقول كيف - بعد بناء المدرسة وتوزيع الآلات المذكورة - نقود معركة الإشراف على كيفيَّة تدريب هؤلاء المُتَّلقين بأساليب سليمة، يستطيعون بها أنْ يستخدموا ما قدَّمَته الحداثةُ التّقنيةُ لهم.

القسم الثَّاني من الدَّعوة لنظام إنسانيٍّ لإنسانٍ عالميٍّ جديد. وأرجوكم أن تهتموا بهذا الجانب، لأنَّني أرى أنَّ بناء الإسكندرية هو جزء من سيرورة. وبعد انتهاء أحداث الألفية الثَّانية في ٢٠١٥، سيبحث العالم - بكلِّ تأكيد - عن وجهات نظر جديدة. فجيل الثّمانية وجيل العشرين اليوم بحاجة لاستشارة أصوات مستقلَّة من الأقاليم الَّتي يتحدثون عنها.

ولنعترف مرة ثانية بسرقة العقول العربية للخارج. فبعد أن تمَّ تصدير الثَّروات العربيَّة من الغاز والنفط إلى الخارج، نرى اليوم أنَّ العقول العربيَّة تهاجر والطبقة الوسطى تهاجِم، وإضافة لذلك نرى (Introit Act) القرار الأمريكي في الحفاظ على الممتلكات الأمريكيَّة، وعلى الهوية الأمريكية. وبحسب دراسة للسيدة

لوريتا نابليوني بعنوان: «**الإرهاب والاقتصاد**» ترى أنَّ الولايات المتَّحدة استثمرت ما يعادل تريليار دولار ودخلت سوق اليورو. والتريليار دولار تعود ملكيَّتها للعرب؛ جُلّها للعرب. وهذه الاستثمارات دخلت في مجال الاستثمار العقاريِّ، وفي مجال الاستثمار التَّرَفي، وتجاوزت الاهتمام بالقضايا الأساسيَّة، باستثناء قضيَّة واحدة هي قضيَّة السِّلاح.

القسم الثاني من دراستنا ليست عن التَّسليح والسِّلاح، ولكنَّها عن الضَّحايا، وأسلحة الدَّمار الشَّامل، والصِّراعات الطّائفيَّة، والمعايير الإنسانيَّة في الصِّراعات المسلَّحة. ولاحظوا معي أنَّ ستة مليارات تُنفَق على صفقة واحدة، أو ستين مليارًا تنفق على صفقة واحدة مع دولة غربيَّة من قبل المجموعة العربيَّة، مقابل أضعاف ذلك تُنفق على إسرائيل. وإسرائيل أصبحت دولة عضوًا في منظمة الاقتصاد الدّوليَّة. في هذا الحديث - بفضل ورحمة الله تعالى - أتحدَّث إليكم وأتعاطف معكم، وأقول إن مشكلتنا الأمنيَّة الأساسيَّة هي الجماعات الضَّعيفة: الأحداث، والأطفال، وأحداث المدن وأطفال الشَّوارع. المجتثون. وأسمحوا لي أن أشمل بهذه العبارة «المقتلعون»؛ بمعنى الرَّحيل الطَّبيعي من الرِّيف إلى المدينة. وأنتم في التَّجمعات السَّكنيَّة المدنيَّة الضَّخمة كالقاهرة، تدركون أكثر منِّي معنى هذه الظَّاهرة. فلماذا لا نقوم بدراسة معرفية لإقامة قاعدة معرفيَّة لكلِّ صنوف الاجتثاث المختلفة: حالة فقدان الدَّولة، وعمليَّة الضَّبط الجماعيّ، والمهملون، والشُّعوب الأصليَّة، والمختفون، إلى آخر ذلك.

والقاعدة المعرفية تشتمل على ثلاثة أعمدة أساسيَّة. وهذه القاعدة المعرفيَّة أو ذلك البنك المعرفيّ المتبنَّى من المعلومة إلى المعلوماتيَّة إلى المعرفة، يمكن أن تُقام في صرح علميٍّ كمكتبة الإسكندريَّة. وتقوم تلك القاعدة المعرفيَّة على جمع المعلومة الإنسانيَّة والطَّبيعيَّة والاقتصاديَّة عن منطقة غرب آسيا وشمال إفريقيا. وقد تستغربون عبارة: غرب آسيا، ولكنْ مَن ينظر لنا من الشرق يعتبرنا الشَّرق المتوسِّط

وليس الغرب المتوسِّط. ونحن بطبيعة الحال بحاجة أيضًا إلى النَّظرة شرقًا؛إلى جذورنا، وجذور الصَّحوة الَّتي التقت فيما بعد بالثَّروة الصِّناعية كما سُمِّيت، ولكن لا تدين بالفضل لا للشَّرق ولا للغرب.

الإنسانيَّة جمعاء أسهمت في التَّطوُّر المعرفيِّ عبر تاريخها. باستثناء مجالين، هما: مجال الطَّهي والمطبخ - ومن الغريب أنَّ مجال المطبخ المشرقي معروف في العالم بتأثيراته وتفاعلاته مع آسيا - ومجال ترتيب الزُّهور. في تلك المجالات نرى العنصر الجماليَّ ما زال قائمًا في نفوسنا. وأرجو أن يتطوَّر ذلك الحسِّ الجماليّ والحسّ الرَّوحاني كما بقي أساسًا للثَّقافة اليابانيَّة على سبيل المثال، الَّتي أصَّلت الحداثة وحدَّثت الأصالة.

أمَّا فيما يتعلق بالجوانب الَّتي من صنع الإنسان، فهناك: أزمات الغذاء المعاصرة، والمجاعة، والتَّصُّحر، وإزالة الغابات، وكوارث جديدة من صنع البشر، ومخاطر الطَّاقة النَّوويَّة، والهندسة الوراثيَّة، والكوارث الصِّناعيَّة، وإدارة الكوارث.

إنَّ المجتمع بكافَّة فئاته، ولا أقول هنا الشَّباب فقط، ليسوا معنيين بهذه المسائل كما يبدو، لأنَّ هنالك إشارة لأجهزة الإعلام. وسأقول وسامحوني أنْ أقول بدرجة من القسوة، إنَّ المسموح هو اللَّغو واللَّغو. فأين القنوات العلميَّة؟ وأين الترجمة؟ ترجمة دوريات مهمّة مثل *science*، و *discovery*، و *National Geographic* إلى اللُّغة العربيَّة، كما فعلنا في مطلع السَّبعينيَّات، عندما تقدَّمت الكويت في تمويل ترجمة *scientific*.

أمَّا الأسباب القانونيَّة الخاصَّة لمراقبة العنف المجتمعيِّ، فهي إمَّا في إجراء المعاملة مع المواطن، أو في تحقيق ما يصبو إليه المواطن من الدَّولة، أو من أجهزة الأمن. أو إجراء المعاملة في دائرة مُهمَّة كضريبة الدَّخل على سبيل المثال. وعادةً مَن

يذهب إلى ضريبة الدَّخل هو الفقير وليس الغنيّ. لا بدَّ من أنْ نعترف بالفجوة بين الغنى الفاحش وبين الفقر المتزايد. وأقول كما تقول الصُّوفية: «الفقر فقري الفقر لله».والحمد لله لم أكن من الَّذين تاجروا في يومٍ من الأيَّام، ولا من الَّذين وضعوا أموال غيرهم في جيبه.

من الضَّرورة بمكان إعادة النَّظر في مواكبة العنف المجتمعيِّ. فالمحاور والتَّوصيات جديرة بأنْ تُؤخذ بالحسبان. وسأتحقَّق من وجود هذه الدِّراسة إلى جانب كل أخت وأخ منكم، قبل انتهاء الجلسة الختاميَّة بإذن الله.

إنَّ المحاور واضحة، فالمواطَنة والانتماء والهُويَّة الوطنيَّة، تعمل إجرائيًا على تجسير الفجوة بين جماعات الشَّباب في المناطق الاجتماعيَّة. وهنالك فرق بين كلمة Compo pollutant بمعنى متنوع الجنسيات و كلمة Sympathias بمعنى متعاطف مع الآخر. فالتكافل الودِّي أمر لا بدَّ من العمل عليه. أمَّا فيما يتعلَّق بتنمية الحوار البنَّاء بين قيادات الشَّباب المتعدِّدة، فحسبي أنَّ هذه الوسيلة الميسّرة موجودة لدى الكثير من الجامعات الَّتي لا تستخدمها. وكذلك تعزيز ثقافة حقوق الإنسان، والثَّقافة المدنيَّة، والمواطَنة، والتَّعدديَّة الثَّقافية لدى الشَّباب ضمن مختلف المراحل التعليمية.

ومع الأسف أقول إنَّ التعليم – كما تلاحظون في كثير من مداخلاتكم – يقتصر على الحفظ، ولا يأْبَه بالمعايشة الحياتيَّة للقضايا اليوميَّة.

علينا أنْ نعزِّز الهُويَّة الوطنيَّة. وهنا أتحدَّث بالعربي، ومحبتي لكم وتواصلي معكم يتجاوز العاطفة إلى الشُّعور بالتَّهديد الأكيد، الَّذي يواجهنا جميعًا من الفضاء السِّياسيِّ، ونحن نتحدَّث عن مستقبل الأراضي المحتلَّة، والبدائل لما يجري الآن من عبث على الساحة السِّياسيَّة، حين نتحدث عن إيران والموضوع النَّووي.

هناك دول قويَّة في الإقليم تتضارب في ودِّها لنا كلَّ يوم، وعلى رأسها الولايات المتَّحدة، ومنها إسرائيل، ومنها تركيا، ومنها إيران. ولكن ماذا عن العرب؟

نحن لسنا بحاجة إلى عداوة أحد، فالحمد لله أنَّنا قائمون بهذا الدَّوْر بصورةٍ كاملة. فنحن ننهش لحوم بعضنا البعض يومًا بعد يوم. ولا أُشير إلى أحد في هذا السِّياق. ولكن آن الأوان أنْ نترفَّع بدرجة من الموضوعيَّة الى المساهمة في بناء المكوِّنات الاجتماعيَّة المختلفة في نهضة بلادنا ووطننا العربي، والاحتفاء بمكوِّنات هذا البلد، أكان ذلك في معرض الفلم العربي ونجاح الفلم المصري، أو كان ذلك في لقاء الموسيقى التَّقليديَّة في أصيلة في المملكة المغربيَّة. فهناك نرى مبادرات إنسانيَّة تُطَمْئِن وتشجِّع.

إنَّ القضايا السَّاخنة، وتكافؤ الفرص، والعدالة الاجتماعيَّة، والمساواة بين المواطنين، والكفاءة الأمنيَّة إداريًا، والتَّعاون الاجتماعيِّ بما في ذلك ترشيد المواطنين والعناية بالصِّحَّة النَّفسيَّة، حظيت بالاهتمام. وقد قدَّمنا دراسة للصُّندوق الكويتيِّ، وكان إيجابيًا في الاستجابة للمرحلة الأولى.

إنْ أردنا أنْ نصل إلى العدالة وسيادة القانون، فعلينا أنْ نراجع العقليَّة العربيَّة، وأنْ نعالج الشَّباب، والأطفال منهم بصورة أساسية من أمراض التَّجارب، وخاصَّة بعد احتلال العراق واحتلال فلسطين.

عشر سنوات بعد الألفية الجديدة ونحن نتمتع بفوائد التّكنولوجيا المتقدِّمة بشكلٍ مذهل، ويمكننا التَّواصل عبر الزَّمان والمكان دون جهد يُذكر، ولكن ماذا عن التَّواصل الجُوَّاني فيما بيننا فكرًا والتزامًا وإرادةً وشجاعةً. إن أهل الضّاد هم أهل الشَّهامة والمروءة، ولكنَّني أرى ضرورة تعزيز المنظومة القيميَّة والاجتماعيَّة، وتعزيز الرُّوح؛ روح الوطنيَّة والتَّسامح في المنابر الدِّينيَّة المختلفة، من خلال إدخال

الثَّقافة المدنيَّة في برامج التَّوعية الدِّينيَّة الحكوميَّة وغير الحكوميَّة، وهو أمر قد بدأتم به في مصر، وسيسهم في هذه الثَّورة من الأفكار المفيدة.

أشكركم على حسن الاستماع، وأرجو أنْ لا أكون كرَّرت أو أمللت. أعتذر منكم ولا أدَّعي المعرفة في هذه المرحلة إلا من خلال الدراسة بالقياس. فشَرُفْتُ في عضويَّة اللَّجنة الدَّوليَّة في شرق أوروبا؛ أوروبا الشَّرقية لسنوات غدت تتحدَّث عن الدِّيمقراطيَّة الانتقاليَّة، وهذه الدِّيمقراطيَّة الانتقاليَّة لن تكون إلَّا صلابة مواقف شبابنا وشباب المستقبل إلى الوطن الَّذي يريدون. أشكركم على حسن الاستماع.

* * *

أة. هاجر الإسلامبولي

نشكرك سموّ الأمير على هذا العرض الَّذي قدَّمته لنا، وتبيانك للتَّحدِّيات الَّتي يجب أن نتعامل معها في عالمنا العربيّ، والآمال والفرص المتاحة لتحقيق هذه الآمال، لأنَّها -في الواقع - متوفِّرة. وينبغي أن نعبِّئ جهودنا جميعًا لإيجاد حلول لهذه التَّحدِّيات والقضايا، الَّتي تواجهنا. لقد وضعتم ثقتكم الغالية في شباب الأمَّة العربيَّة يا سموَّ الأمير، وهم على هذا إن شاء الله لقادرون بإذن الله. وأرجو أن يسمح وقتكم للاستماع إلى بعض مداخلات شبابنا واستفساراتهم، فهم يريدون التَّحاور مع حكيم الأمة العربية سموّ الأمير **الحسن بن طلال**.

دة. منى محامدة (الأردن)

سيّدي صاحب السُّموّ، وأنتم مشعل اللّاعنف، وأعلم أنَّ سموَّكم أشرتم في بداية حديثكم إلى الإنسانيَّة وواجبنا اتِّجاهها. وأشرتم أيضًا إلى فكر غاندي. أعتقد أنَّ الفكر اللّاعنفي يجب أن يكون بديلاً عن العنف. استمعت في بعض المداخلات إلى

العنف المشروع أو العنف المبرَّر، وأعتقد أنَّه لا يوجد هنالك ما يسمّى عنفًا مبررًا، فالعنف هو العنف. واللّا عنف يجب أن يدرج في مناهجنا المدرسيَّة، وأن يُدرَّب الطلاب على تقبُّل الآخرين، وعلى استخدام العقل بديلاً لليد. لم أجد سيِّدي في خطابكم أيَّ إشارة للمرأة والعنف الواقع عليها، فالمرأة الذَّليلة الخاضعة الخانعة لن تربّي إلّا جيلاً خاضعًا وخانعًا. والعنف ضدَّ المرأة في الوطن العربيِّ هو الَّذي يُخرِّج أجيالاً عنيفة. لذلك يا سيّدي أرجو أن يُفرَد للمرأة وقتٌ للبحث والدِّراسة.

سمو الأمير الحسن بن طلال

هل تريدين سيدتي المقررة أن أجيب على كل سؤال على انفراد أو مجموعة الأسئلة؟

أة. هاجر الإسلامبولي

وفقًا لما تراه مولاي الأمير. أعتقد مجموعة من الأسئلة سوف تعطي مجموعة أكثر من المشاركة ويمكن لسمو الأمير الرد عليها بشكل نهائي، لو سمحت.

د. أحمد بديري، طب بشري، وباحث في الطب النفسي والجنسي (مصر)

قمت بمحاولة على Google trends، وكتبتُ Sex ومن ثمّ فاصلة وكتبت terrorism، فوجدت أنَّ باكستان هي الأُولى في العالم، ومن ثمّ ظهرت بعض من الدُّول العربيَّة. وهذا يدلُّ على أنَّ الإحباط يولِّد نوعًا من العنف. أمّا في ما يتعلَّق بالمؤامرة، فأرى أنَّنا تآمرنا على أنفسنا أكثر ممّا تآمر علينا الآخرون. وإذا أدركنا أنّ الآخرين سيتآمرون علينا لا محالة، فيجب علينا التَّعامل مع مؤامراتهم بذكاء. وهذا يعود بنا إلى دُهاة العرب، وكيف كانوا يتعاملون مع أعدائهم.

سوف أقرأ خبرًا قصيرًا جدًّا منشورًا في صحيفة الدُّستور: إنَّ اسرائيل تطارد مخترعًا مصريًا للاستيلاء على أوّل قلب صناعيٍّ صغير والمسؤولون أُذنٌ من طين وأُذنٌ من عجين.

وهذه أيضًا رسالة أرسلها المركز الأكاديمي الإسرائيلي إلى السفير الإسرائيلي في مصر، الذي دخل تحت اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٨٢:«بناءً على تعليماتكم بإحضار ملفات كاملة عن اختراعات شباب مصريين، أرسلنا لكم عشرة ملفات عن اختراعات بملف الزراعة، وتحلية المياه والبلاستيك والكمبيوتر وإطار العربات، ونود أن ننبِّه إلى أنَّ معظم هذه الاختراعات قمنا بتجربتها وفحصها جيدًا، وهي تُعدُّ من أنبغ ما توصل إليه العلم الحديث».

متحدثة: «أشكرك، هذا يُطمئِن على مستقبل شبابنا العربي».

عبد الوهاب بن الوليد، جدة، جامعة سلطان بن عبد العزيز (السعودية)

أشكر سموّ الأمير على هذه اللَّفتة الجميلة والاهتمام الخاصّ بقطاع الشَّباب. وأودُّ أنْ أذكر أنَّ الشَّباب يمثِّل قطاعًا مهمًّا من قطاعات المجتمع. وقد ورد في هذه المداولات أنَّ هناك ٦٥٪ -٧٠٪ من المجتمع هم من الشَّباب. والقطاعات المعنيَّة بقطاع الشَّباب كثيرة: التعليم والجامعات ومؤسَّسات المجتمع المدنيّ، والمؤسَّسات الحكوميَّة الأُخرى الَّتي تهتمُّ بالرِّياضة، إضافة إلى الأُسرة.

وأعتقد أنَّه لا بد أن يكون هناك تكامل وتنسيق ولغة مشتركة بين الجميع، حتى ننهض بقطاع الشَّباب، ونستطيع أن نقلِّل من ظاهرة العنف، باستثمار الطّاقات المؤثِّرة من الشَّباب وجعلها مبادِرة، ونحتضن أعمالها ونظهرها إلى أرض الواقع، حتّى نستطيع تقديم ما نقدِّمه بفاعليَّة، ويتمكَّن الشَّباب من أن ينتجوا، كما ذكر السيد أحمد البديري. فهذه المبادرات الشَّبابيَّة لا بدَّ من أن تحتضن وترى منجزاتها على أرض الواقع، لا أنْ تبقى فقط حبرًا على ورق، وإنَّما تستثمر استثمارًا حقيقيًّا من قبل الجهات الرَّاعية. شكرًا.

المحامي مروان المعايطة (الأردن)

أودُّ أن أضع بين يديك سموَّ الأمير مناقشات المحور الأوَّل من هذا المؤتمر، وهو بعنوان: **العنف الأُسري والمجتمعي والبطالة والتهميش الإقصاء**. فقد ناقش هذه المحاور نخبةٌ من المشاركين من مختلف الدُّول العربيَّة. وتوصَّلو إلى أهمِّيَّة تعزيز المفاهيم المدنيَّة والدِّيمقراطيَّة والحوار والتَّواصل، وأهمِّيَّة إدماج هذه المفاهيم في بنية كلٍّ من الأسرة والمدرسة والجامعة، لتحقيق ممارسة عمليَّة حقيقيَّة، حتَّى ينشأ جيل ديموقراطي يستطيع أن يتعامل مع كلِّ المفاهيم الحديثة. وهناك توصية بأهمِّيَّة أن يكون للشَّباب العربيِّ المشاركين في البرامج الاجتماعيَّة والنَّشاطات ميزة تنافسيَّة، على صعيد الاستفادة من فرص الوظائف والعمل في القطاعين: العامِّ والخاصّ، لما يتمتَّعون به من المهارات الَّتي تمكّنوا منها واكتسبوها بعد ممارستهم واندماجهم في البرامج والأنشطة.

وأودُّ أن أنقل لسموكم المبادرة الَّتي قمنا فيها في الفصل الشّبابيِّ في منتدى الفكر العربيّ، بتبنّي أفكار سموِّكم، فقمنا بتشكيل لجنة جديدة للتمكين القانونيِّ للفقراء، يمتدُّ عملها ليشمل مختلف مناطق المملكة الأردنية الهاشمية. وتهدف هذه اللَّجنة إلى نشر الوعي القانونيِّ، وتأمين الحماية القانونيَّة اللّازمة للفقراء غير القادرين على دفع تكاليف العمليَّة القضائيَّة. شكرًا لسموِّ الأمير المفكر وأمير الفكر العربيّ.

سمو الأمير الحسن

سيدتي المقررة هل تسمحين لي بالإجابة على أربعة أسئلة ثم الإجابة على أربعة أسئلة أخرى؟

أة. هاجر الإسلامبولي

نحن كلنا آذان صاغية سمو الأمير في انتظار الاستماع إليك.

سمو الأمير الحسن

أوَّلاً فيما يتعلَّق بالمرأة، أسمحوا لي أنْ أذكر أنَّني في منتصف السَّبعينيّات ساهمت في أُولى جلسات تمكين المرأة من حقوق الانتخاب، وذلك بالاستناد إلى الدُّستور الرَّابع؛ وأعتقد أنَّ الدُّستور لا يشير إلى المرأة، ولكنَّه يشير إلى التَّكامل ومساواة الفرص بين المرأة والرَّجل.

وفي السَّبعينيّات أكَّدوا أنَّني كنت حياديًّا في جلسة إقرار الجلسات، علمًا بأنَّني تمنَّيت على السَّيِّدات الفاضلات أن يتولين شأنهنَّ بأنفسهنّ. فأصروا على مشاركتي، وكنت بعد أربعة أيام أشكِّك بنفسي.

قالت الأخت الفاضلة إنَّ «**العنف هو العنف**». وأمامي ثلاثة مسالك من المعلومات حول الجرائم في الأردنّ: الخلافات الشَّخصيَّة، والماليَّة. وعادةً ما تكون الخلافات الماليَّة لها علاقة بالإرث كما نعلم، وهنالك غُبن – في نظري – بحقِّ المرأة، وخاصَّةً في جشع الرَّجل وأقرباء المتوفَّى في كثير من الأحيان. ويختلف الأمر من دولة عربيَّة إلى أخرى، والعلاقة بين القانون المدنيِّ وأعراف الشَّريعة الإسلاميَّة. وهذا الاختلاف لا بدَّ له من عقل يسوّى الأمور إنْ أردنا أنْ ننظر إلى المواطن والمواطنة على أنهم مواطنون يتساوون في الحقوق والواجبات.

والبند الثَّاني يتمثَّل في الخلافات العائليَّة. وهنالك صلة بين البند الأوَّل والثَّاني، إلَّا أنَّ ارتباط الشَّباب والفتيات، الذي لا يبدأ في مرحلة مبكرة وفي المدارس، يؤدِّي إلى مثل هذا الانحراف، خاصَّة عندما يلتقي الشَّبابُ الفتاةَ للمرَّة الأُولى في حياته على مقاعد الدِّراسة الجامعيَّة.

والبند الثَّالث يتمثَّل في الثأر القديم. وهنا لست بحاجة إلى التوسُّع. ولكنَّني أرى أنَّ هذه المسائل تدلُّ أيضًا على غياب السُّلطة المعنويَّة لما أُسمّيه الطّاقات الثَّلاث: العامَّة والخاصَّة والمجتمع كافّة؛ بمعنى القطاع الرَّسميّ العامّ الحكومي، والخاصّ

بمعنى غرف الصناعة والتِّجارة والحركة التِّجاريَّة بصفة عامَّة؛ إذ لا أرى أيَّ اهتمام في تفعيل مؤسَّسات ما يُسمَّى بالقطاع الخاصِّ، ولا أرى أنَّ الأوقاف والزَّكاة - بالضَّرورة - جزءًا من القطاع العامّ. فهي فوق العامِّ وفوق الخاصِّ. ولكنْ عندما نتحدَّث عن العمل الخيريِّ والأخذ بيد الشَّباب، وحلِّ المشكلات الإنسانيَّة على أرض الواقع، فإنَّني أعتقد أنَّ هذا المجال يحتاج إلى قاعدة معرفيَّة. وقد أشرت قبل قليل إلى قاعدة معرفيَّة تشتمل على المعلومة التَّقليديَّة، كموضوع الإرث على سبيل المثال، وموضوع حماية البيئة وحماية الإنسان معًا معلومة تقليدية تُسمَّى بالعربية الحِمى؛ حماية حقوق الإنسان وحماية حقوق الطَّبيعة.

والباب الثالث الَّذي وددت أنْ أتحدَّث عنه ضمن الطَّاقات الثّلاث هو المجتمع المدنيّ بكافة، كما جاء في أحد التقارير. وهذا التَّقرير من التَّقارير المهمَّة التي يشير إليها جُلّ أساتذة الجامعة الأردنيَّة وجامعة اليرموك. وأعتقد أنَّ هنالك مثيلاً له بالجامعات العربيَّة كافة، بكثير أو بقليل. أعتقد أنَّه يجب على المجتمع المدنيِّ أنْ يسهم في تكوين وعي عامٍّ وضمير عامٍّ فيما يتعلَّق بقضيَّة المرأة.

أعود مرَّة ثانية لمؤتمر المملكة المغربيَّة قبل ثلاثين عامًا: «حقوق المرأة في الإسلام». لربَّما نحن بحاجة إلى إعادة النَّظر من جديد في التَّعامل مع قضيَّة العنف.وهنا أذكر مرَّة أخرى أنَّ أمامي بيانات عناوينها: القتل العمد، القتل القصد، الشروع بالقتل، الإيذاء البليغ.

فكل هذه العناوين لا علاقة لها بالعنف كما يُسمّى أمريكيًا بالإرهاب. ولكن هذه في اعتقادي آفة المجتمع، وعدم قدرتنا على تسوية صفوفنا داخل الأسرة ثمَّ الحي ثمَّ الإقليم، وبعد ذلك الدَّولة. والتَّعاون بين الدُّول ليس منفصلاً عن القضيَّة بعينها في السَّنوات المقبلة. ثمَّ سألتني أختي الفاضلة عن المرأة. فأقول إنَّ القضيَّة هي قضيَّة المواطنة بصفتها العامة. فطفل الشَّارع لا يذهب إلى البنك، فليس له

رصيد في البنك، ولا يستطيع أنْ يدفع كفالة، ولكنَّه يذهب لجماعة إجراميَّة. وسواء كانت تلك الجماعة ارتبطت بالجريمة المجرَّدة من الهوى السِّياسيِّ، أو كانت جريمة مسيَّسة. إذ لا يعلم الإنسان هذا الأمر إلّا بعد أن يقع في الفخ؛ فخ الاعتماد على المموِّل. ونرى كثيرًا من هذه المظاهر العنيفة في أماكن مختلفة من العالم، فهي ليست مرتبطة بالعرب والمسلمين فقط، ولكن غالبًا ما نُقصَد بهذه التهمة.

وأرجو أنْ أذكر أنَّ هناك ثلاثة عناوين من سيرورة الأمن: الأمن الأساسيّ، وأسلحة الدَّمار الشَّامل بما فيها الأيديولوجية الرّابعة، والأمن الظَّرفي، وهو موضوع العمل الشُرَطي والعنف، إضافة إلى حركات التَّحرُّر الوطني وما إلى ذلك، والتي لها صفتها الخاصَّة. فالأخت الفاضلة ذكرت العنف، وأنَّ العنف هو العنف. ومع شديد الأسف، فإنَّه – مع مرور عقود من الزَّمن– فإنَّ القضايا لا تتحول إلّا بالعنف. والعنف ليس من جانب المواطن في إقليم معيَّن، ولكنَّه أيضًا من جانب الدُّول، وإلى جانبها الشَّركات الخاصَّة المُستأجَرة للقيام بعمليَّات ضدَّ القرصنة، تحت اسم القرصنة البديلة أو القرصنة المشروعة. ولا أريد أنْ نتوسَّع في هذا المجال، ولا أريد أن أُحرج أحدًا. لقد وصلتُ إلى مرحلة من عمري لا أخشى الإحراج، لأنَّني إن كنت مخطئًا فعلى استعداد أن أعترف بخطئي.

أمَّا فيما يتعلَّق بالإحباط والمؤامرة والإنجاز؛ فقبل أيام قامت المجموعة الأوروبيَّة مشكورة بتقديم ثلاثين منحة، قيمة كلِّ منحة لا تتجاوز العشرين ألف يورو كما أعتقد. ووجدوا ثلاثين مبدعًا، والمبدعون الأردنيون وضعوا إنجازاتهم في مجالات تتراوح بين تطوير البطاقة البلاستيكيَّة لاستخدامها في الحافلة للنزول في الوقت المناسب، ودفع الكلفة المناسبة، وبين النانوية وتطوير النَّباتات في المناطق الصَّحراويَّة.

والَّذي لفت انتباهي، أنَّ لكل منحة مشرفًا أوروبيًّا أو عربيًّا مؤهَّلاً مع كل مبدع ليعينه - إذا كان الإبداع على سبيل المثال سيؤدّي إلى براءة اختراع - حتَّى يصل إلى تلك المرحلة.

اسمحوا لي ان أذكّركم مرة ثانية أنَّ ٧٠٪ من الَّذين يدرِّسون الرِّياضيات والعلوم في الولايات المتَّحدة هم من خارج الولايات المتَّحدة. ٣٠٪ في العلوم والرِّياضيات من آسيا، العرب منهم - نسبة وتناسبًا مع حجم الشعوب - أكثر من الصين والهند، فنتفاخر من جهة بأنَّ البعض منهم يعود الآن ولكن من مجال آخر؛ إذ نعتبر أن البعض منهم ليس متوفرًا، لعدم توفر المعدات اللازمة فقط أو المكتبات، ولكنَّه مرتبط في جانب مجتمعي، وهو القول بأنَّ المهم ليس ماذا نعرف ولكنْ مَن نعرف.

الواسطة والوسط والوسيط ظاهرةٌ منتشرة في الوطن العربيِّ. أمَّا فيما يتعلَّق بالمجتمع المدنيِّ والطَّاقات المهجَّرَة من الشَّباب، فإنَّ تطوير معايير أخلاقيَّة لكلِّ أنواع المهن في القطاع العامِّ والخاصِّ على حدٍّ سواء، وقيم الصِّدق والأمانة، والعمل من خلال برامج موجَّهة للتَّنشئة الأسريَّة، أمر في غاية الأهمِّيَّة، وبخاصَّة أن نكون صادقين مع أنفسنا وصادقين مع الآخر.

نعود مرَّة ثانية إلى القاعدة الفقهيَّة الواضحة، فمصلحة الجميع توعية الشَّباب في مرحلة النُّضج، من خلال إدخال مادة الثَّقافة الجنسيَّة في المرحلة الثَّانويَّة والجامعات، لإعطائهم معلومات علميَّة واجتماعيَّة ونفسيَّة عن التَّفاعل الفكريِّ مع الجنس الآخر، والانتقال إلى الحياة العامَّة جزئيًا من نظرة دونيَّة. فلا بدَّ من توجيه التعامل بين الطّالب والطّالبة من حيث تلك الطّالبة أو ذلك الطّالب إنسان أو إنسانة.

أما تنمية التَّطوير في مجال التَّعدديَّة الثَّقافيَّة لدى الشَّباب في إدخال مادَّة نظريَّة في المعرفة أو الفلسفة من خلال الاقتباس من الثَّقافات المتعدِّدة كمتطَّلب إجباريٍّ في المدارس والجامعات الأردنيَّة أو العربيَّة، فأعتقد أنَّنا لا نستطيع أن نغرِّد خارج السِّرب، فلا بدَّ من معرفة نظرة الآخر لنا، وتطوير موقفنا السَّلبي من القضايا الَّتي تهمُّنا.

أمَّا فيما يتعلَّق بمداخلة الأخ الأستاذ المعايطة، فإنَّ إطلاق حملة وطنيَّة معارِضة لثقافة العنف، وتعزيز ثقافة الاحترام والتَّسامح، فإنَّها ليست بالضَّرورة ضدَّ أمرٍ ما، ولكنَّها من أجل بناء وتطوير قدرات الشَّباب، وربَّما التَّنفيس أيضًا عن الشَّباب في بعض المجالات.

إنَّ مفاهيم حديثة، ووسائل تعليمية لتشجيع الابتكار والإبداع والتّطور والعمل الزَّماني؛ كلُّ هذه القضايا يمكن أن تُبحَث في المراكز الدِّراسية. لاحظوا أنَّ فنلندا - وهي دولة متقدمة في العالم - أضافت ساعة إضافيَّة في سنة تدريس إضافيَّة، وتعتقد أنَّ التَّحبب من اللُّغة ينتهي في سنِّ الحادية عشرة. فقضيَّة اللُّغة العربيَّة يجب أن تكون مُحكَمة قبل الدُّخول في المرحلة الثّانويَّة، ولإضافة هذه السَّنة للتَّأهيل لفترة ما قبل الجامعة قد يجعل الجامعة امتدادًا فكريًا وثقافيًا على الصَّعيد النَّظري والعمليِّ، وليس امتدادًا للتَّعليم الثّانوي كما هو الحال في كثير من جامعاتنا.

أرجو من السيدة المقرَّرة إذا سمح الوقت، ومن السيِّد همام أن نتجنَّب الأسئلة الأردنيَّة، مع حرصي على سماع صوت إخوتي من الأردنّ، ولهم أنْ يراجعوني بعد عودتهم من مصر إن شاء الله. وإذا كان هناك أيّ صوت من مصر أو من أي طرف آخر فليتفضل، فأنتم جميعًا أهلي، وتستحقّون حق المشاورة.

أة. هاجر الإسلامبولي

سمو الأمير نشكر وجود الإخوة من الأردن، إنما نزولاً على رغبة سموِّك سوف ننتقل إلى مجموعة من مصر والدول العربية أيضًا.

هاني خلاف، سفير سابق بوزارة الخارجية (مصر)

نشكر سموّكم على المساهمة القيِّمة الَّتي تفضلتم بها. عَرْض سموكم – كالعادة – ثريٌّ بنقاط مهمَّة ومركَّزة، كلٌّ منها يحتاج إلى تفصيلات وإسهامات كثيرة، وقد لمحت من كلام سموِّكم إشارة إلى أوضاعنا العربيَّة عمومًا. فما رأي سموِّكم في التَّزامن الَّذي نلاحظه بين إشاعة ثقافة السَّلام في الوقت نفسه الذي تزداد فيه الأبواق الَّتي تتحدَّث عن ثقافة العداء، وثقافة الخصومة، وثقافة العنف، وخصوصًا أنَّنا نجد مبرِّرات لدى كثير ممن يدعون إلى الكراهيَّة والعنف. ولكنّ تزامُن الثَّقافتين؛ ثقافة السَّلام وثقافة العنف، يجعل لدى الشُّعوب العربيَّة عمومًا والشَّباب على وجه الخصوص، قدرًا من اهتزاز القناعات وعدم اليقين. فهل نحن مُقدِمون على ثقافة سلام خالية تمامًا من معنى الصِّراع؟ أم على ثقافة صراع وعداء دائمة تخفي وراءها أفكارًا حول التآمر الأجنبيِّ ونظريات كثيرة. هذه المسألة تحتاج من سموِّكم إلى إيضاحات، وشكرًا.

دة. نسمة البطريق، جامعة القاهرة، كلية الإعلام (مصر)

فتحتم سموُّكم آفاقًا واسعة جدًا، خاصَّة من خلال إشارتكم إلى المعلومات والمعلوماتيَّة والمعرفة بصفة عامَّة وربطها بالشَّباب وثقافة العنف. ففي وسط هذه البيئة العربيَّة المليئة ببعض السَّلبيّات، كالفقر والتَّعليم والمناهج التَّعليميَّة، نجد أنَّ الشَّباب ينجذبون إلى الإعلام بكلِّ مقوِّماته الجاذبة لما يطرحه من مضامين، وردِّها للحسِّ الجمالي. وقد أشرتم سموّكم إلى أنّ الإعلام أنّه لا ينمي هذا الحس. وفي

الأدبيّات الاجتماعيَّة فإنَّ الحسَّ الجمالي ينمِّي الخيال ويفتح آفاق الإبداع. ويمكن أن يتحقق الحسُّ الجماليُّ من خلال أغنية، ومن خلال المسلسلات العديدة الَّتي تنمّي هذه الرَّغبة، وفي الوقت نفسه تسهم في تنمية العنف.

أرجو من سموِّكم زيادة الدِّراسات الخاصَّة بالتلفزيون، فقد أشرتم سموّكم إلى غياب المعلومات الثَّقافية، والرَّغبة في إعادة صياغة منظومة إعلاميَّة عربيَّة تؤدّي فيها القنوات الثَّقافية بصفة خاصَّة، والقنوات العلميَّة بصفة عامَّة، دورًا في تنمية مقوِّمات الهُويَّة. وشكرًا.

دة. عبير دويلة (الكويت)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. السَّلام عليكم صاحب السُّموِّ وعلى الحاضرين جميعًا من مصر ومن الأردن. لن أخرج عن نطاق المؤتمر وحواراته حول العنف. وأودُّ أن أسمع من سموِّكم عن العنف الّذي يجري في معظم الدُّول العربيَّة، وبخاصَّة في دولة الكويت كونها الدولة الَّتي وفَّرت الرِّعاية المادِّيَّة، والثَّقافيَّة، وغير ذلك من العوامل الإيجابيَّة الَّتي يمكن أن تحدَّ من ظاهرة العنف. وأرى أنَّه في مجتمعي؛ مجتمع الكويت والمجتمع العربيِّ أخذ العنف مجرىً يمكن أن نعتبره موجة تقليد أعمى! لا أدري! أهو للغرب أم للشَّرق؟

لقد أصبح لدى الشَّباب ثقافة القوَّة والاستئساد، فيردِّدون: إنْ لم تكن قويًا أكلتك الذِّئاب. فضلاً عن العنف اللَّفظي أو الجسدي للوصول إلى غاياته. فما رأي سموِّكم؟

محمد راضي عطا، مسؤول مشروع شبابي باسم بسطة إبداع (فلسطين)

سمو الأمير المعلّم والقدوة، هل ستتحوَّل مشاريعنا المقترحة حاليًا المتعلِّقة بفكرة التَّواصل الشَّبابي إلى أفعال على واقع الأرض؟ هل من الممكن أن نرى ثمارها كالخطّة الموضوعة لها مثلاً كبسطة إبداع مشروعنا؟

دة. نائلة عمارة، أستاذ إعلام، وكيل كلية الآداب، جامعة حلوان (مصر)

سموّ الأمير. كانت مناقشاتنا في المحور المتعلِّق بالتَّشبيك والتَّواصل ودوره في طرد ظاهرة العنف عند الشَّباب، ودارت مناقشتنا حول البيئة الاتصاليَّة الجديدة new media الَّتي أصبحت بديلاً للإعلام التَّقليدي والإعلام السُّلطوي الَّذي ينتمي للحكومات، والإعلام الَّذي ينتمي للطبقة الرَّأسماليَّة، الَّتي تعبِّر عن مصالحها فيه، وأصبح هناك بيئة اتِّصاليَّة جديدة، الجمهور الأول فيها هو الشَّباب، فالشَّباب يتواصل عن طريق Social networking. فما هي السَّلبيّات والإيجابيّات وكيفيَّة توظيف هذه البيئة الاتِّصالية الجديدة في محاربة العنف لدى الشَّباب؟ وما الَّذي يمكن حدوثه في هذا المجال؟ خاصَّة أنَّنا نرى العنف عند الشَّباب قد أصبح عابرًا للحدود؛ بمعنى أنَّ الشَّباب العربيَّ أصبح في حالة من العدوانيَّة أو اختلال الرؤى أو من Hysterio type. فالعدوان يمكن أن يصدر من الشَّباب المصري اتجاه الشَّباب الجزائري أو العكس! أو السُّعودي! من وجهة نظر سموِّكم كيف نتعامل مع هذه البيئة الجديدة؟

أة. هاجر الإسلامبولي

نتوقف سمو الأمير للاستماع لسموِّك أو نواصل، لأنَّ لدينا أسئلة؟ نحتاج للسماع إليك أولاً، ثم ننتقل إلى الاستماع إلى جزء ثالث. لو كنت سموك تسمح بهذا؟

سمو الأمير الحسن

تفضلي، أنا شاكر وممتنٌّ لسؤال سعادة السَّفير هاني خلّاف، المتعلِّق بالأوضاع العربيَّة وثقافة السَّلام، وثقافة الخصومة أو العداء. فإذا تحدَّثنا عن أيِّ خصومة مع الطَّرف الآخر، سآتي على المناطق السَّاخنة في منطقتنا. العنف وأسبابه بسبب الدِّراسة المعرفيَّة العربية يشتمل - كما تعرفون- على الإيذاء وإلحاق الضَّرر بالآخرين، وهو سلوك مكتسب، ويصل في ذروته إلى فترة الشَّباب.

إنَّ عمليَّة المناقلة من الأراضي الفلسطينيَّة Transfer الخاصَّة، الغاية منها التَّعامل مع الفئات العمريَّة.لاحظوا أنَّ الدُّخول إلى القدس الشَّريف للصَّلاة مقتصر في أيَّام الجمعة السَّاخنة على فئة معيَّنة من العمر، قد تتجاوز الخمسين والخمس والأربعين عامًا. وفكرة إقامة العنف و Hysterio type الَّذي تحدَّثت عنه الأخت الفاضلة Hysterio type العربيّ والجزائريّ والسُّعودي والمصري وبعد ذلك، هذا Hysterio type تصنعه أجهزة الإعلام الخارجيَّة، بسبب أنَّنا لا نرى إلّا العنف العربيِّ، ويؤخذ من هذا المنطلق الانتفاضة والاعتراف بالاحتلال المسلَّح، لأنَّ هذه ظاهرة خاصَّة بالعرب، والعرب غير عدائيين. ولا نستطيع أن نتعامل مع هؤلاء وصورة العرب في العالم هي البطالة التَّهميش والإقصاء والإحباط والانحراف عن القيم الاجتماعيَّة وضعف الوازع الدِّيني. وكلُّ هذه تتناقض - بطبيعة الحال - مع الصُّورة الأخرى. والمقصود بضعف الوازع الدِّيني؛ المضامين الأساسيَّة للانتقال من القول إلى الفعل في إطار ديني. وأوضِّح نفسي مرَّة أخرى، بالحديث عن الزَّكاة. إذ نسمع كلامًا عن المشرفين على الحركات الدينية في هذه الفترة، ولكنني - الفقير إلى رحمة الله تعالى- منذ ثلاثة عقود وأنا أنادي بإقامة صندوق زكاة عالميّ إسلاميّ. وجميع وزراء الأوقاف وافقوا على هذا الأمر في إطار المؤتمر العالميِّ الإسلاميِّ، فلماذا لا يحدث شيء من ذلك؟

إنَّ القاعدة المعرفيَّة المرتبطة بالتقاليد اليوم، لا تجعلنا ننافس التَّجمُّعات الأخرى، الَّتي ربما بدأت في فكرة التَّعاون بعدها بكثير.وسؤالي الأساسي عند الحديث عن الحلِّ الشِّمولي: مَن يدافع في هذا الإطار عن الحقوق العربيَّة؟

أمَّا ما ذكرته الأخت الفاضلة عن الإعلام، فقد آن الأوان أن يُفكَّر في الباحث المندمج، أو الصَّحفي المندمج - إذا كانت التسمية سليمة Impathic journalist-. فهنالك باحثون مندمجون يستطيعون أن يتحدَّثوا عن أوضاعنا. فلماذا ننتظر دراسات من الأمم المتَّحدة على سبيل المثال، ومن ثمَّ بعد ذلك نجلد ذاتنا، ونقوم بتمكين بعض البرامج الجزئيَّة مع هيئات من الأمم المتحدة؟ فلماذا لا نأخذ هذه الدِّراسة الَّتي أنتم بصدد وضعها، وأخذها على محمل الجدّ؟

عدد السُّكان في الوطن العربيِّ يقارب ثلاثمئة وثلاثة ملايين، عدد الأميين منهم سبعين مليونًا، وعدد الأطفال غير الملتحقين بالتَّعليم الابتدائيِّ عشرة ملايين نسمة حسب أرقام اليونسكو ٢٠٠٧. ونسبة الأطفال الَّذين أعمارهم أقل من ١٥ سنة ٣٤٪ من السُّكان، ٢٠٪ ومن السُّكان بالوطن العربيِّ يعيشون على معدل أقل من ٢٠ دولارًا يوميًا تقريبًا. وسؤالي للإعلام المعرفيِّ؛ لماذا لا نصل إلى مرحلة نتحدَّث فيها بجرأة عن التَّفكُّك الأسريِّ. أعتقد أنَّ التَّفكُّك الأسريَّ هو بداية التَّفكُّك السِّياسيِّ. ونرى هذه الظَّاهرة في أماكن أخرى، حيث أنَّ ربَّ الأسرة والزَّوجة يعملان معًا ساعات دوام طويلة، ولا يجدون من يقوم بواجب الطِّفل والأسرة. ولهذا فالشُّعور بالحرمان يتزايد، ولا نرى من الإعلام إلا مزيدًا من **الإعلام حول الاستهلاك** Ecological PERSON فالإنسان الَّذي يقع في هذا العالم في الجنوب، يستهلك أقلَّ بكثير كفرد من أضعاف الأضعاف ما نراه في الغرب.

سأرسل لكم دراسة صادرة عن جامعة تشيلي، وبالمناسبة فتشيلي – التي أخرجت من المنجم ٣٣ عاملاً وخلقت أسطورة – هي دولة قانون ودولة أعظم نظام للتَّعويض الأسري والكفاءات الأسريَّة، والضَّمان الأسري في العالم، ولا نسمع عنها شيئًا وهي دولة جنوبية.

إنَّ تهميش الثَّقافات هو أنَّنا لا نفسِّر ولكن نجيب على كلِّ اعتقاد. فماذا تعني المبادرة العربية؟ الأردن كانت مملكة، كانت وما زالت تسمَّى المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة. اعترفت دول العالم كافَّة بالمملكة الأردنيَّة الهاشميَّة، وبالطَّبع الدُّول العربيَّة. واحتُلت أرض، وهذه الأرض يتحدَّثون عن استعادتها في إطار حدود عام ١٩٤٩. من عام ١٩٤٩ إلى عام ٦٧ كانت محتلة ممَّن؟ هذه مشكلات يجب أن نتعامل معها آجلاً أم عاجلاً. هل سيكون الحلُّ على حساب الدُّول الَّتي وقَّعت اتفاقية مع إسرائيل؟ وما هو الحلُّ الذي يتحدَّثون عنه؟ لا أحد له مصلحة في استمرار هذا الانحراف السُّلوكي. إنَّ عقلية اليمين المتطرِّف في إسرائيل لا تتعاطف قيد أنملة مع الحقِّ العربيِّ في فلسطين التَّاريخيَّة.

عقدت جامعة كامبريدج قبل عام ندوة بعنوان: «**اليهود في الثقافة العربية**» وشارك فيها يهود من الدُّول العربيَّة كافة، الَّتي كانت ملاذًا وموطنًا أصيلاً للمثقفين العرب، ومنهم يهود من العراق، ولغتهم العربية متينة وحبهم للثقافة العربية واضح، وراحوا يتذكرون العلاقة بين العرب واليهود قبل الحروب واندلاع العنف كما يسمَّى، الَّذي كان للمتطرِّفين دور أساسيٌّ في تأسيسه. ولكنَّ الحقيقة واضحة في الديموغرافية بعد أنْ هاجروا إلى إسرائيل، ووزير الخارجية يتحدَّث بلغة هؤلاء.

قبل أيام تحدَّث «**وولدز**»؛ أحد مناصري هذه الحركة وهو برلماني هولندي، تحدث فقال: لماذا لا نسمي الأردن فلسطين ونحلّ المشكلة؟! فقلت له: لماذا لا نسمّي

بلدَه: هولندا، البلاد الواطية low Countries لأنَّها امتدت وانكمشت في فترات مختلفة إلى ما يسمى بلجيكا، الَّتي تعاني هي من المشاكل السِّيادية الَّتي تعاني منها لكسمبورغ. فالموضوع ليس موضوع مسمَّيات ولعبة قوى، وإنَّما - في نهاية المطاف - ما الَّذي ستقبل به شعوب المنطقة أو الشَّعب العربيّ.

هذا هو الحلُّ الشَّامل الّذي يرضي الجميع في معادلة ثقافة العدالة وثقافة الشُّمول. أشكركم على حسن الاستماع.

أة. هاجر الإسلامبولي

أشكرك سمو الأمير، ولدينا مجموعة أسئلة.

مها عبد الفتاح، جريدة «**أخبار اليوم**» (مصر)

سموّ الأمير، أحيّيكم وأحيّي فكركم وأشكرك سموّكم.

لقد وفَّرت المعلوماتيَّة وثورة الاتصالات والقنوات الفضائيَّة، وكافَّة وسائل الإعلام، مساحات من العنف الَّذي حاصرنا من كلِّ الجهات، حتّى إنَّنا اعتدنا على هذه الظّاهرة ولم نعد نهتزُّ لمشاهد العنف وممارساته. والشَّباب ينشأون وما زالوا ينشأون في ظلِّ العنف.

وسؤالي لسموِّكم عن المستقبل وتقاليد الأمور غدًا والشباب يعيشون العنف وإن لم يمارسوه. فهل يتجاوزون محنة السِّياسة العربيَّة الحاليَّة الّتي تمتاز بالتّنازع والاختلاف وعدم الاجتماع مع الغرب عمومًا في قضايانا؟ هل هؤلاء الشَّباب سيتجاوزون هذه المحنة، أم سيكونون أكثر ميلاً للعنف بوصفه طريقة في التَّعامل مع القضايا الَّتي يعايشها؟ وماذا سيكون عليه الحال عندما يتقلَّد هؤلاء الشَّباب الأمور في سنوات قادمة؟

نسرين سلامة، صحفية (مصر)

سموّ الأمير رئيس المنتدى وراعيه، أتوجَّه بالشُّكر لسموِّكم على بالغ عنايتكم بالشَّباب. إنَّ سلوكيّات العنف وثيقة الصلة بثقافة الخوف والكبت والقمع المتفشِّية بين الشَّباب. وقبل أن نطلب من الشَّباب التَّخلّي عن ثقافة العنف، ما الَّذي علينا فعله لكي نعينهم، ونجنّبهم تحمُّل تبعات حكومات متعاقبة وفاشلة، ونتائج مشكلات ليس لهم يد فيها؟ وكيف نوحِّدهم ونجعلهم يلتقون على أهداف واضحة؟ وبخاصّة في ظلِّ عدم وضوح الرُّؤية أو ضبابيَّة رؤية المستقبل.

وما تعريف سموِّكم لثقافة الحرِّيَّة على المستويات كافَّة، ولا سيّما على المستوى السِّياسي في الوطن العربيِّ؟

لينا مطاوع، سنة ثانية، هندسة مدنية

نرى هذه الأيّام الكثير من المؤتمرات والنَّدوات الَّتي تبحث في موضوع العنف والموضوعات المشابهة له، إلّا أنَّنا نجد أنَّ العنف بأشكاله يزداد يومًا بعد يوم، فهل نستنتج من ذلك أنَّ التَّوصيات الَّتي تخرج بها هذه المؤتمرات لا يُؤخذ بها؟ أم أنَّ الموضوعات الَّتي تبحثها هذه المؤتمرات هي تفاصيل لمشكلة جذريَّة ومشكلة سياسيَّة تتعلق بالنِّظام يَصعُب أن يكون حلُّها على يد مفكرين وباحثين؟ ما هذه العلاقة غير الطَّبيعيَّة مع وجود هذا الوعي بكلّ ما توصلنا له من معرفة الأسباب المؤدية إلى العنف، وفي الوقت نفسه زيادة العنف؟

رومان الأغبري (اليمن)

حيّاك الله سموّ الأمير، نحن الشّباب نحمل تجارب قليلة وأفكارًا بسيطة، ولكنَّنا أيضًا نتطلَّع إلى التَّغيير الإيجابيّ. ومشاركتنا في هذا التَّغيير هي مشاركة

ظاهريَّة وليست مشاركة حقيقية، فكأنَّما حالنا كمن يقول: يا فلّاح لماذا لا تزرع؟ فيردّ الفلّاح: لا أزرع لأنَّني مقيَّد، فيقال للفلَّاح: لماذا أنت مقيَّد؟ فيقول: سأبقى مقيَّدًا حتى يصبح عمري أربعين سنة.

فما رأي سموّكم في أنَّ دور الشباب أصبح فقط في الاقتراحات والتصويت فقط؟

محمد الرَّقاد، خبير حقوق الإنسان في جامعة الدول العربية (الأردنّ)

سيّدي صاحب السُّمو الملكيّ الأمير الحسن، الموضوع الّذي طرحته سموّكم هو موضوع شائك، ونحن جيل الشَّباب –إذا اعتبرت نفسي من جيل الشباب– موضوع خطير للغاية، وإذا ما تداركنا الأمر في هذه الفترة، أو قمنا بدراسات مستقبليّة، فإنَّ هذا الأمر سيتفشّى.

أطلب من سموّكم توضيح هل بالإمكان إدخال منظومة حقوق الإنسان في مفهوم الشّباب؟ فمنظومة حقوق الإنسان منظومة أصبحت عالميَّة ومعمولاً بها الآن في كلِّ المحاكم الدوليَّة. وخلال لقاءاتنا المستمرَّة مع مجموعة كبيرة من الشَّباب من مختلف الأطياف والأعمار والثَّقافات، نجد أنَّهم يعانون من فراغ فكريٍّ في هذا الموضوع، وسوء فهم في لهذه المسألة. فمثلاً أنا لا أستطيع أن أقوم باستدعاء طالب وأفهمه حقوقه لدرجة السماح له بالتَّطاول على أستاذه. في هذه الحالة فقدتُ المعنى الحقيقي الَّذي أريد أن أوصل فيه الطالب لحقوق الإنسان، وإذا سمحت للطالب أن يفهم حقوقه ويتطاول على أستاذه، فأنا فقدت المنظومة الإنسانيَّة بشكل كامل، ولم أصل للنتيجة التي أريد.

هند أمين، مكتبة الإسكندرية (مصر)

عَقْد المؤتمرات شيء مفيد جدًا للتَّشاور وتبادل الآراء، وأقترح على سموِّكم الحديث عن آليَّة للتَّعاون بين منتدى الفكر العربيِّ ومكتبة الإسكندريَّة، فيما يخصُّ تنفيذ المشروعات والمقترحات الَّتي طرحها المؤتمر، لنفعّل هذا الدَّور الَّذي نتكلَّم عنه.

أة. هاجر الإسلامبولي

سمو الأمير، هل تسمح لنا بسماع الرد على هذه الأسئلة؟

سمو الأمير الحسن

سأقوم بالتَّعليق على القضايا المشتركة بين السَّائلين، فأبدأ بالتَّساؤل المتعلِّق باستشراف المستقبل. أشكر الأخت من «**أخبار اليوم**» التي وجهت السؤال، وأقول إننا في العام ٢٠٢٠ سنرى ١٠٠ مليون عاطل عن العمل، قسم منهم جامعيون. وهذه أرقام البنك الدّولي. وواضح أنَّ الانفجار قائم عمليًا إذا لم نرتقِ بهذه المرحلة على مختلف الصعد، مثل إعادة هيكلة هذه الكفاءات، وأولويَّة الأوطان، والنَّزعة فوق القطريَّة وما فوق الأوطان، فعلى سبيل المثال دول حوض النيل ثمانية دول أو أكثر، وكذلك دول الأخدود الإفريقي العظيم.

أين النَّظرة الشُّمولية للمستقبل؟ هنا أود أنْ أوضِّح أنَّ الغاية من هذه اللِّقاءات ليست معالجة المشكلات، لأنَّنا لسنا حكوميين، ولا أقول هذا لأنَّني تركت العمل العام منذ أكثر من عشر سنوات. فقد عملت في العمل العام ما يقارب قبل ذلك أكثر من ٤٠ سنة، وأعرف أنَّ عقل المسؤول العربيِّ لا يفكر بالمدى المتوسط وعلى المدى البعيد.

قدَّمنا لمنتدى الفكر العربيّ تقارير لمؤتمرين اقتصاديين؛ مؤتمر في عمَّان ومؤتمر في الكويت، ولم يُقرأ منهما شيء. ولم يظهر في المؤتمرات الأخيرة ما يدلُّ على أنَّ الضَّمير يهتزُّ. وكنت من القلائل الَّذين شاركوا عام ١٩٦٤ في مصر الحبيبة في مؤتمر تناول موضوع تحويل روافد نهر الأردنّ، الَّذي كان وسيكون من بين الأسباب الَّتي أدَّت وستؤدِّي للحروب والصدامات، إذا تُرك أمر المياه على ما هو عليه.

إنَّ مشكلتنا هي عدم الوعي لدى المواطن والمسؤول. لقد جسَّدنا في عبارة شعار المنتدى: الفكر بين المواطن والمسؤول وبين المفكِّرين والحكومات. وهذا كان طموحنا في فترة ما، ولكنَّه - للأسف - لم يؤدِّ نفعًا لطموحاتنا، فنحن بحاجة للمزيد من

الجلسات الهادئة المفكِّرة البعيدة عن الكاميرات. أتألَّم لأنَّ هناك الكثير من هذه اللِّقاءات في هذه المرحلة بالذَّات دونما نتائج ظاهرة. بطبيعة الحال أقصد النَّتائج عند هذه الحكومات والمسؤولين عنها. ولكنَّ السؤال مرة ثانية: أين المساءلة؟ وأين المحاسبة؟ وأين مقاييس المساءلة في موضوع التَّقدُّم الاجتماعيِّ وتهيئة الكوادر؟

عند الحديث عن الحرِّيَّات وتعريف الحريَّات: أين المساءلة؟ وأين القانون؟ وأين دولة القانون؟ أنا لا أقول ذلك، ولا أستطيع أن أقول ذلك في هذه المرحلة من حياتي، ولكنني أرى أنَّ مَن لا يحمل أفكاره الجذرية للإصلاح والتغيير في مرحلة من مراحل حياته، ولتكن في المرحلة الجامعية، فلا فائدة منه في المراحل القادمة من حياته، وعليه أنْ يعيد إصلاح نفسه، بدلاً من أن يتحدَّث بمصطلحات متطرِّفة بعد الحصول على مبلغ من المال على سبيل المثال، وبعد الوصول إلى منبر يطلق منه الشِّعارات.

إنَّ الحكومات تُحسِن صنعنا واحتواءنا إذا ما أكدت التَّخطيط المدنيّ، الَّذي يأخذ بالحسبان البِنية الَّتي تشكلها الحارات المهلهلة، والمناطق السَّكنيَّة الفقيرة، وتضع نُصب أعينها حاجات هؤلاء، وخاصة حاجات الأحداث. وأنا أُقرُّ بتجربة الحداثة - على سبيل المثال وأنتم أعلم بتفاصيلها- الَّتي وضعت سياسات بعيدة المدى للحدِّ من حركة سكان الأرياف في إطار أوروبا الجديدة.

هنالك مفهوم للاستقلال المتكافئ. فأين الاستقلال المتكافئ لدينا؟ أما فيما يتعلَّق بالمدن، فقد وُجدت الحوافز والإمكانيَّات المناسبة للعمل المجدي بديلاً للمدن في كثير من الدول، الَّتي بدأت تبحث عن إدارة الرِّيف.

سامحوني إخوتي من الأردن إن قلت لكم إنَّه حتى اليوم لا يوجد تعريف يشجِّع العقل الزِّراعي على الإقدام على الزِّراعة، فهنالك من يقول أنْ ليس هنالك أهمية

للزِّراعة في الأردنّ. ولكنِّي أعتقد خلاف ذلك مع حدوث التَّغيُّر المناخي الحاصل، وتهديدات الحرب، وخاصةً النَّوويَّة منها. فإذا ما وصلنا للمرحلة النَّوويَّة واجهنا قدرنا. أنا متأكد أنَّه في المرحلة القادمة إذا استمرت وتيرة العنف، فلن تنزل عندنا طائرة واحدة. بعض البلدان العربيَّة صدَّرت القمح، وصدرت المياه. هل لمثل هذه الظاهرة مردود صحِّي على وضعنا؟

تحسن الحكومات صنعًا لو أنشأت أجهزة متخصِّصة للعمل في إرشاد المواطن. لقد أسَّسنا مكتبًا لإرشاد المواطن، وأقبلَ الكلُّ عليه وتعلَّم متطلَّبات الإرشاد. ولكن ماذا عن إرشاد الأحداث؟ ماذا عن إرشاد المواطن في حلِّ المشكلات المعتادة الَّتي تواجهه المواطن أو المواطنة. على هذه الأجهزة أنْ تضمَّ بين كوادرها مواطنين مدرَّبين على معالجة القضايا الأساسيَّة، يكونون مستعدِّين لسماع شكاوى أحداث المدن، والمرأة، وشكاوى ربِّ الأسرة، ويكونون ومفوَّضين لاتِّخاذ الإجراءات المناسبة لصالحهم، ولمنع استغلالهم.

هذه ليست مزاودة على أحد، وإنَّما جزء من عمل شَرُفْتُ بالعمل عليه منذ ثلاثين أو أربعين عامًا. فهل نفقد الأمل ونلعن الظلام؟ والله أعلم أنَّنا نلعن الظلام في كلِّ جلسة مسائية، ونعتقد أنَّ هذا التَّنفيس جزءٌ ممَّا يريح. ولكنَّ، الموضوع هو: نكون أو لا نكون. أذكّركم أنَّه في عام ١٩٠٧ قال رئيس وزراء بريطانيا: إنَّ الشُّعوب المجاورة للممرَّات المائيَّة؛ السويد ولندن وقبرص، والقريبة من الموارد الطَّبيعيَّة كالقفقاس وآسيا الوسطى، قريبة من ٧٠٪ من صادرات النفط و٦٥٪ ومن صادرات الغاز. فعلينا أنْ نبدأ في بناء ثقافة مجتمعيَّة مشتركة في مثل هذا التَّواصل. ومتى سيصبح المعيار الإنساني هو المعيار الكريم بدلاً من أن يكون المعيار الماديّ والنظام العالميّ الماديّ هو الحافز الوحيد، وكأنما نتنافس حول مكتسبات حتمًا غير نافعة لشعوبنا.

أة. هاجر الإسلامبولي

نستأذن سمو الأمير بالاستكمال، ولدينا مجموعة أخرى من الأسئلة فلدينا الرغبة في التعرف على آراء سمو الأمير فيها.

د. محمد الحوامدة (الأردن)

أشكر سموّكم على منحنا فرصة اللّقاء بكم، والحوار معكم في موضوع في غاية الأهمّيَّة. سأنظر للمسألة من منظور تكوين الذّات؛ فأنا كشاب أردني أو شاب عربي، أنظر إلى تكوين الذّات، لأنَّ المبادئ قد تغيَّرت على الصَّعيد الإنسانيِّ. ومبادئ التَّفوُّق والإبداع والتَّميُّز لم تعد كافية، ولم تعد المبادئ الوحيدة لتمكين هذه الذّات على الصَّعيد الدِّينيّ. تمكين الذّات هو التَّقرُّب إلى الله، وأكرمكم عند الله أتقاكم، وإذا أردتهما معًا فعليَّ بالتَّميز والتَّفوُّق والعلم، وعليَّ بالتَّقوى وخشية الله. وما نعانيه نحن الشَّباب هو عدم الشعور بأنَّ هذه المبادئ الرَّاسخة الثّابتة - الَّتي أقرَّها الله في القرآن الكريم- لم تعد على الصَّعيد الإنساني اليوم، بل أصبحت هناك مبادئ جديدة تتعلق بالواسطة والمحسوبية والمال، مقابل ذلك أصبح هناك التَّهميش والإقصاء والاجتثاث، فأين المحاسبة؟ وأين العدالة؟ كلُّ ذلك جعل تكوين الذّات العربية تكوينًا يميل للعنف بطريقة لا شعورية في كثير من الأحيان. لا يمكن أن نطوِّر من وعينا العربيِّ نحو ذاتنا ومستقبلنا إلّا بإعادة النَّظر للمبادئ. شكرًا جزيلاً.

كريم خشبة، طالب ماجستير علوم سياسية (مصر)

أشكر سموّكم على ما قدَّمتم. لديَّ سؤالان، الأوَّل يتعلَّق بالشَّباب، والثّاني يتعلَّق بالعنف: ماذا عن فاعليَّة الدَّعوات الحكوميَّة في تنمية الشّباب؟

وإلى أيِّ حدٍّ يمكن أن يكون نبذ العنف خيارًا داخل الإطار الفلسطينيّ؟ وما هو السَّبيل الأنجح «لحلحلة» القضيّة الفلسطينيَّة؟

طالبة سنة رابعة، عمل اجتماعي، الجامعة الأردنية (الأردن)

لن أقول: سوف سنعمل، سنقوم!! النِّظام التَّعليميّ في البلاد العربيَّة يعتريه كثير من الخلل، ما دامت مخرجات هذا التَّعليم هي البطالة. ونحن كطلاب نسينا المناهج العلميَّة وكيفيَّة تدريسها! وبعض المناهج ناقصة، وبعض مناهج العمل الاجتماعيّ في جانبها القانونيِّ غير موجودة، وكذلك الجانب النفسيّ. ثمَّ هناك الأطفال مجهولي النَّسَب وما يتَّصل بهم من تنشئة ورعاية. وما يجده المواطن في الواقع الوظيفيِّ من وجود الرَّجل غير المناسب في المكان المناسب.

رجائي نصري، الهيئة المصرية للخدمات الاجتماعية (مصر)

تحيّاتي لسموِّك، هل من الممكن أن يكون هناك مشروع عربيٌّ تربويٌّ تتبنّاه مؤسَّسة تعليميَّة على مستوى العرب تحت عنوان «التربية للمواطنة» نتَّفق فيها جميعًا على الرُّؤية والفلسفة ونختلف في آليات التَّنفيذ؟ وإذا وجد هذا المشروع، فهل يتعارض مع بعض الدُّول؟ أو من الممكن أن نتَّفق فيه. شكرًا.

أحد المتحدثين

شكرًا سيدي صاحب السمو على هذه المداخلات الغنيَّة، وعلى الرُّؤية الثّاقبة، فسموّك فتحتَ آفاقنا على كثير من الأمور الَّتي ستحظى بنقاشاتنا في الأيّام القادمة أو الباقية للمؤتمر.

نريد الاستمرار في مثل هذه المؤتمرات. ففي المحور الثّالث المتعلِّق بالصِّحَّة النَّفسيَّة وثقافة الخوف، حاولنا من خلال حوار الشَّباب، الَّذي كان فيه إبداع، أن نجد مقاربة أو بديلاً لثقافة الخوف وثقافة الأمن بالمفهوم الإنسانيّ. واستفدنا من طرح سموِّكم كثيرًا في هذا الجانب. وقد وجدنا أنَّ مفهوم التَّحرُّر الإنسانيِّ يمكن أن يكون بديلاً لثقافة الخوف.

فلو سمحت سموك، إذا أمكن أن تعطينا إطلالة إضافيّة على ثقافة الخوف وثقافة الأمن.

أة. هاجر الإسلامبولي

سمو الأمير هل تسمح لنا بتعليق، فهناك المزيد من الأسئلة، والجميع لديه تساؤلات يود طرحها على سموِّكم.

سمو الأمير الحسن

أنا شاكر جدًا للتَّفاعل والإيثار. وأرجو أن تكون الأسئلة الباقية موجَّهة من خلال شبكة الأثير إلى موقع المنتدى، لنبقى على اتِّصال. وهذا أمر في غاية الأهمِّيَّة.

أمَّا السُّؤال الأخير الَّذي يتعلق بثقافة الخوف، فأعود وأقول: هناك دلائل هامَّة لغياب الثَّقافة القانونيَّة لدى العديد من المواطنين. وفي هذا المجال اسمحوا لي أنْ أذكِّر بما قاله مفكِّر عام ١٩٤٠ «إنّا قادرون دائمًا على بناء الأفضل لأطفالنا، ولسنا قادرين على بناء شبابنا للمستقبل».

إنَّ الحكومات تحسن صنعًا لاحتواء الوضع إذا ما شجعت صانعي السِّياسة المدنيَّة على إعطاء أولوية أعلى لزيادة فرص العمل للشَّباب، وتوفير أوجه النَّشاط، وتوفير فرص الاهتمام للمواطنين.

مع شديد الأسف، لا أرى في هذه المرحلة أنَّ بمقدورنا الحديث عن مشروع عربيٍّ تربويّ، إلّا إذا كان الوازع والدافع أن نتعامل مع المواطن أيًّا كان، أو أيًّا كانت، على أساس من الموضوعية.

إنَّ العدالة الاجتماعيَّة في بلداننا، تتطلَّب تكليف هيئة فوق قطريَّة في هذه المرحلة.

أة. هاجر الإسلامبولي

نشكركم ياصاحب السموّ، ويبدو أن الوقت المخصص للاتصال بيننا عبر الأقمار الصناعيّة قد انتهى.

باسم جميع المشاركين لكم منا تحيات الاحترام والتقدير بما أغنيتم به هذا الحوار من آراء ونظرات عميقة في شؤون كثيرة.

خلاصة لمناقشات ورشات العمل

خلاصة لمناقشات ورشات العمل

المحور الأول
«العنف الأُسريّ والطلابيّ والمجتمعيّ؛ الفقر، والبطالة، والتّهميش، والإقصاء»

الرّئيس: أ. **هاني مصطفى** (مصر)

المقرّر: أ. **مروان المعايطة** (الأردنّ)

الخبير الميسِّر: د. **عماد صيام** (مصر)

قُدِّمت ضمن هذا المحور ورقة مرجعيّة للمناقشة بعنوان «**العنف ومظاهره المختلفة في الشّارع والبيت والمدرسة والجامعة**»، أعدّها د. **قدري حفني**، أستاذ علم النّفس السّياسيّ بجامعة عين شمس/القاهرة، وركّزت هذه الورقة على الاهتمام بالتنشئة الاجتماعيّة في مواجهة العنف. ذلك أنّ هذه التنشئة هي عمليّة تعلُّم الأفراد للأفكار والاتجاهات والسلوكيّات الاجتماعيّة والقيم والنُّظم السّائدة في المجتمع، التي تمكّنهم من التكيُّف مع الآخرين. ويجب أن لا يغيب عن البال أنّ أولئك الذين يمارسون العنف الآن كانوا في غالبيتهم أطفالاً منذ زمن قريب، وأنّ الأجيال القادمة لن تختلف كثيرًا عن الجيل الحالي في ممارسة العنف ما لم يُلتفَت إلى مؤسّسات التنشئة الاجتماعيّة والتركيز على دور الأسرة والتربية والإعلام والدّين والثقافة في الحدّ من العنف، الذي يُعدّ الصّمت عنه مظهرًا من مظاهره.

ناقش المشاركون ضمن هذا المحور أشكال العنف الأُسريّ وأسبابه؛ مؤكّدين الدّور الأساسيّ للأسرة (الخليّة الأولى) في التنشئة الاجتماعيّة الصّالحة، والتّكامل

في الدّور التّربويّ بين الأسرة والمدرسة، وأهميّة الحوار والنّقاش بين الآباء والأبناء لتجنّب شعور الأبناء بالكبت والإحباط؛ فضلاً عن دافع آخر للعنف الأُسريّ يتمثَّل في الحِرمان العاطفيّ والماديّ.

وأوضحت المناقشات أنّ العنف المتوارث (تعرّض الآباء للعنف في صغرهم) يؤثر على تربية أبنائهم بشكلٍ غير مباشر؛ ما يؤدّي إلى القسوة في التعامل مع الأبناء وعدم مراعاة شؤونهم، والمغالاة في الطّابع السّلطويّ داخل الأسرة، لا سيما من جانب الآباء تجاه الأبناء، وبين الأبناء الأكبر تجاه الأصغر.

وتطرّق المشاركون إلى العنف الرّياضيّ بأنواعه، وأوصوا ببحثه بشكل مفصّل، نظرًا لما يمثّله من حالة عنف خاصّة في المجتمع ذات تأثير يتجاوز مجال الرّياضة. ولاحظ المشاركون غياب المشروعات الخاصّة بالشّباب أو قلّتها، سواء على المستوى الوطنيّ أو الإقليميّ العربيّ؛ مؤكّدين أهميّة استقطاب الشّباب للانخراط في مشروعات مثمرة لهم ولمجتمعاتهم، مَعَ تأكيد الدور التربوي التكامليّ لمؤسسات المجتمع، وفي مقدّمتها الأسرة.

المحور الثّاني

«المخدِّرات والمُسكرات، والتّدخين، والأمراض الجنسيّة»

الرّئيس: أ. **فتحي فرغلي** (مصر)

المقرّرة: أة. **رميلة مصطفى الأغبري** (اليمن)

الخبير الميسِّر: د. **ماجد موريس إبراهيم** (مصر)

قدَّم د. **ماجد موريس إبراهيم**، استشاري الطب النفسيّ بمعهد الطب القوميّ بدمنهور، ورقة مرجعيّة للمناقشة عنوانها «**العنف وعلاقته بالاضطرابات النفسيّة، والجنسيّة، والإدمان**»، أوضح فيها أشكال العنف النّاتجة عن الإدمان،

ومنها العنف المدرسي بين الطلبة، والعنف المنزلي بين الزوجين، أو سوء معاملة الأطفال، وحوادث الطرق والسيارات، والانضمام لعصابات الجريمة المنظّمة جراء الضلوع في السرقة، أو تحت إجبار الحاجة الماديّة، أو العمل في ترويج الممنوعات؛ كذلك الانضمام للجماعات الإرهابيّة التي تستقطب الفئات المهشمّة من المجتمع؛ إضافة إلى حالات الانتحار والقتل العمد والخطأ بوسائل مختلِفة.

وأشارت الورقة إلى وجود ارتباط بين الإدمان والمجتمع الأبويّ السّلطويّ، الذي يشيع في الجماهير الرّوح الاعتماديّة التواكليّة؛ إضافة إلى الخوف، وهي العوامل التي تُرسِّخ لدى الأشخاص حالة «الذّات الطوليّة»، التي تعتمد على العاطفة الجيّاشة وتؤجل الأحكام المنطقيّة، ويتّسم سلوكها بالاستهلاكيّة والرّغبة في اللذّة والمكافأة السّريعة والمباشِرة، وكل هذه ليست إلا آليّات تدفع لتفاقم ظاهرة العنف.

تطرّق المشاركون في هذا المحور إلى عوامل الإدمان وأسبابه من نفسيّة (كالإحباط، واليأس، والقلق، والخوف من المجهول)؛ واجتماعيّة (كالتفكّك الأسريّ، والجهل، وقلّة الوعي، والتّقليد الأعمى، وانعدام أو قلّة الرّقابة الأُسريّة، والفراغ غير المُستثمَر، وغياب القدوة)؛ واقتصاديّة (أهمّها البطالة والفقر)؛ ودينيّة (أي غياب الوازع الدّينيّ، والتعصُّب والتطرّف)؛ وسياسيّة (كالحروب، والنّزاعات الطائفيّة، والكبت السّياسيّ، وعدم قدرة الحكومات على توفير الاحتياجات الأساسيّة للمجتمع والشّباب)؛ وإعلاميّة (عدم وجود ضوابط حول تقديم مشاهد الإدمان، وتأثير الثقافة الغربيّة على الإعلام).

واقترح المشاركون تحسين لغة الحوار الأسريّ من خلال التوعية الإعلاميّة؛ إضافة إلى برامج واجتماعات لتوعية الأهالي وطلبة المدارس بأخطار الإدمان، وتوفير أطباء نفسانيّين ومرشدين اجتماعيّين للطلبة، مَعَ الاهتمام بالأنشطة

الرياضيّة والاجتماعيّة والمسابقات الثقافيّة، والتوصية للحكومات بالتشديد على تطبيق القوانين المتعلقة بحظر المخدِّرات، وللإعلام بالحدّ من المشاهد والمواد الإعلاميّة المحرّضة على الإدمان أو التدخين أو تناول المُسكرات، وعمل برامج مشتركة بالتنسيق بين الأقطار العربيّة في هذا المجال.

وحذّر المشاركون من نتائج قلّة الثقافة الجنسيّة السليمة والهادفة أو انعدامها، ومن المواقع الاباحيّة على الإنترنت وغيرها من مواد إعلاميّة على الفضائيّات وبعض وسائل الاتصال؛ مؤكّدين أهميّة التنشئة الأسريّة والعناية بها، كذلك الوازع الدّينيّ، وتجنّب ممارسات الكبت وتهميش الآراء، وما ينتُج عن الفراغ لدى الشّباب، والتّرف، والفقر، والعزوف عن الزواج، وثقافة العيب فيما يتعلّق بالفحوصات قبل الزواج، عدا الطلاق والخلافات الزوجيّة.

ودعا المشاركون إلى إطلاق برامج التوعية المتعلّقة بالثقافة الجنسيّة بمختلِف الوسائل، وإلزام الخاطبين بفحوصات قبل الزواج، واستدامتها بشكلٍ دوريّ بعد الزواج، كذلك فحوصات الوافدين من خارج الدول، وتفعيل القوانين المتعلّقة بجرائم الدعارة والإدمان، والمراقبة، ومكافحة الانحراف الجنسيّ، وإقامة مراكز للطبّ الجنسيّ، ودعوة منظّمات المجتمع المدنيّ للعمل الجماعيّ في هذا الميدان، مَعَ توفير الأنشطة الثقافيّة والرياضيّة، ونشر القيم الدّينيّة التي تحضّ على الاستقامة والاعتدال، وعدم التمييز بين الجنسين في التوعية والتوجيه الاجتماعيّ؛ لا سيما في الأمور المتعلّقة بلوم الجاني لا الضحيّة.

المحور الثّالث

«الصّحّة النّفسيّة، وثقافة الخوف»

الرّئيس: **د. عاطف عضيبات** (الأردنّ)

المقرّرة: **أة. تقيّة النجّار** (البحرين)[1]

الخبير الميسِّر: **د. ثروت إسحق** (مصر)

حول ثقافة الخوف، قدَّم د. **قدري حفني** ورقة مرجعيّة للمناقشة جاء فيها: إنّ تعثُّر الوعي؛ ومن ثمّ التعثُّر في حلّ المشكلات الاجتماعيّة لا يرجع إلى كون هذه المشكلات غير قابلة للحلّ، أو لأنّها بالغة التعقيد فحسب، لكن يرجع في المقام الأوّل إلى أوضاع اجتماعيّة واقتصاديّة وتاريخيّة تخلق مصالح اقتصاديّة يقوم بقاء أصحابها على استمرار الحال على ما هو عليه؛ ومن ثم التصدّي بكل الوعي والحسم لأية محاولة للحلّ. كما يرجع من جهة أخرى إلى عزوف النّخب القادرة على طرح الحلول المبتكرة تخوّفًا وقصورًا، تخوّفًا من دفع ثمن المبادرة والتصدّي وقصورًا في المهارات التي يتطلّبها تكوين قوى الضّغط، كذلك مهارات العمل الجماعيّ.

وفي هذا السياق تناولت الورقة مشكلة الخوف من الحرّيّة، والخوف من التفاؤل، والخوف من التغيير، ضمن شواهد تاريخيّة تبيّن عوامل النجاح والإخفاق في الإصلاح.

أوضح المشاركون في هذا المحور أنّ الخوف ظاهرة طبيعية؛ لكنّه يصبح مشكلةً حينما يزداد الخوف مما يدور في المجتمع. ومن أسباب الخوف لدى الشّباب زيادة البطالة، خاصّة بين المتعلّمين منهم، والخوف من المستقبل، والجريمة والعنف ضدّ المرأة.

(١) ناب عن أة. تقيّة النجّار مقررًا في اليوم الأوّل من المؤتمر أ. أواب الشارقي (البحرين).

وطالب هؤلاء بمعالجة ثقافة الخوف من خلال الحثّ على غرس الأمن الداخليّ والنّفسيّ لدى الشّباب، وأنْ تعمل الحكومات على ترسيخ الحكومات مبادىء العدالة والمساواة، ودعم المشاركة التطوعيّة، والتمرّد الإيجابيّ على الواقع، والتربية السليمة وتعليم قيم التسامح، وتطبيق ثقافة السِّلم والأمن التي تحضّ عليها الأديان.

المحور الرّابع

«التّمكين التّكنولوجيّ، وتوظيفه في محاربة العنف؛ أهميّة التّواصل والتّشبيك؛ التّوعية الإعلاميّة»

الرّئيس: **د. محمود سرحان** (الأردنّ)

المقرّر: **د. وليد صادق** (مصر)

الخبيرة الميسِّرة: **دة. نائلة إبراهيم عمارة** (مصر)

الورقة المرجعيّة لهذا المحور قدّمتها **دة. نائلة إبراهيم عمارة**، أستاذة الإعلام ووكيل كليّة الآداب لخدمة المجتمع وتنمية البيئة/جامعة حلوان، بعنوان «**التّشبيك والتّواصل والتوعية الإعلاميّة في إطار ظاهرة العنف عند الشباب**»، وتناولت فيها أهميّة توظيف مواقع التشبيك الاجتماعيّ من جانب منظّمات المجتمع المدنيّ المعنية بقضايا العنف، والتّركيز بشكل محوريّ على قطاع الشّباب الذي لم يلق الاهتمام نفسه الذي ناله قطاع المرأة والطفل، والاهتمام بالحملات الإعلاميّة للتوعية والتثقيف.

لاحظ المشاركون أنّ هنالك مجموعة من المشكلات تواجه التّمكين التكنولوجيّ لدى الشّباب وتوظيفه في محاربة العنف، ومنها الكبت الإعلاميّ لمدة طويلة ثم الانفتاح الفضائيّ مرّة واحدة، وتخلُّف نُظم التّعليم، والتقليد، وتضييق المساحات أمام الإبداع والإعلام الحرّ، والمركزيّة والفردانيّة. وأشاروا إلى عصر «المواطن الرّقميّ»، حيث أصبح الفرد يمتلك عالَمه الرّقميّ على الإنترنت.

واقترح المشاركون الاستفادة من خبرات الشّباب العرب في تطوير أساليب تكنولوجيا المعلومات، وطرح فكرة الإعلام البديل عن طريق زيادة الإنتاج الفنّيّ العربيّ، وتصدير مُنتجاته إلى الغرب لتحسين صورة العرب هناك. كما اقترحوا أفكارًا للاستفادة من المنتديات الإلكترونيّة والبريد الإلكترونيّ و«الفيس بوك» لمناقشة القضيا الشبابيّة العربيّة وتطوير التواصل مع المنتدى وفيما بين الشباب أنفسهم؛ إضافة إلى وجود ميثاق شرف للشبكات الاجتماعيّة على الإنترنت، ووضع إطار قانونيّ لحقوق الاستخدام والمساءلة في إطار حقوق الملكيّة الفكريّة.

المحور الخامس

«الشّباب والمواطَنة: الهُويّة والثّقافة»

الرّئيس: **د. عبد الوهاب نورولي** (السعوديّة)

المقرّرة: **دة. عبير دويلة** (الكويت)

الخبير الميسِّر: **أ. محمود اسماعيل الخولي** (مصر)

أشار الرّوائيّ والباحث في علم الاجتماع السّياسيّ، د. **عمّار علي حسن**، في ورقته المرجعيّة لهذا المحور بعنوان «**الهُويّة وثقافة العنف لدى الشّباب... تصوّر مفاهيمي**»، إلى وجود ثلاثة عوامل مهمّة تمسّ تأثير قضيّة الهُويّة على إتيان الشباب بتصرّفات عنيفة. وهذه العوامل هي: تنامي أزمة الهُويّة، لا سيما في المجتمعات التي يُغلِّب فيها بعض الأفراد انتماءاته العشائريّة والقبليّة والطائفيّة على الانتماء للمجتمع الأوّل، أو الدّولة؛ ما يؤدّي إلى خلق نزاع نفسيّ داخل الشخص بين هذين الانتماءين، ولا يقف الأمر عند حدّ الصّراع بين الحضريّ والرّيفيّ، أو العصريّة والتقليديّة، أو الفجوة بين الحاكم والمحكومين؛ بل قد يصل إلى حدّ الصّراع المفتوح بين الثقافة الوطنيّة والثّقافات الوافدة، وبين الخصوصيّة الذّاتية والسيطرة الأجنبيّة. أما العامل الثّاني فيتمثَّل في تأثير العولمة وتدفُّق المعلومات والقيم والأفكار

والسِّلع بلا هوادة، وتوحُّش أنماط الاستهلاك واتّساع رقعة الفقر والتّهميش؛ ما يفتح أبوابًا جديدة للعنف. ويتمثّل العامل الثّالث في حمولات الثّقافة الدّينيّة، واعتماد الجماعات التي تمارس العنف على تأويلات فاسدة للنصّ الدّينيّ.

وأوضح الباحث أنّ الشّباب العربيّ يجد نفسه مدفوعًا إلى الانزلاق لارتكاب العنف بشتّى صوره الرمزيّة واللفظيّة والماديّة جراء تفشّي البطالة، وإصرار الكبار على ممارسة الوصاية على الشّباب في نظام أبويّ جامد، وانسداد الأفق السّياسيّ، واستشراء الفساد والشعور بالقهر والظّلم والهوان حيال العالم الخارجيّ.

يذكر أنّ دة. **عبير دويلة**، مقرّرة هذا المحور، قدَّمت أيضًا ورقة عمل حول مفاهيم «**المواطَنة؛ الهُويّة؛ الثقافة**».

خلُصت مناقشات المشاركين في المحور نفسه إلى أنّ المجتمع العربيّ هو مجتمع فتيّ وشاب، يتحمّل فيه الشّباب مسؤوليّة الإصلاح والتّطوير. ولأنّ الشّباب هم الأقدر على ذلك بما يمتلكونه من فكر خلّاق وتهذيب أخلاقيّ ونفسيّ ينبعان من الثقافة والهُويّة العربيّة، فلا بدّ للشباب العربيّ أن يعمل ضمن مجموعة من المشروعات والمبادرات التثقيفيّة والتوعويّة. وأهمّ وسائل مكافحة العنف تأكيد أُسس المواطَنة والهُويّة والثقافة، والسعي إلى تفعيل دور الشباب ومؤسسات المجتمع المدنيّ في المشاركة من خلال تفعيل النّصوص المتعلقة بالمواطَنة في القوانين والوثائق الدستوريّة، وتعميق الحسّ الوطنيّ من خلال المقرّرات الدراسيّة.

وأعرب المشاركون عن أملهم في مشروع كتاب عربيّ موحَّد يهدف إلى ترسيخ الهُويّة لدى النشء العربيّ وتعميق الإحساس العربيّ المشترك، وإيجاد قنوات تواصل شرعيّة تمكّن الشّباب من المشاركة في صنع القرار والتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم بشكلٍ سلميّ؛ ما من شأنه المساهمة في الحدّ من العنف.

ودعا الشباب المشاركون إلى العمل على إبراز الهُويّة العربيّة، وتأكيد احترام التنوّع الثقافيّ في المجتمع، والاستفادة من تراكم الخبرات الشبابيّة على مستوى الوطن العربيّ، وضرورة إحداث التوازن بين الوافد والموروث، وتعزيز الانتماء للثقافة العربيّة، والانفتاح العقلانيّ على الثقافات الأخرى من دون الذوبان فيها، وأيضًا ضرورة إعادة بناء منظومة القيم العربيّة التي تحض على التسامح وتقبُّل الآخر واحترام رأيه، وإيجاد منهاج عربيّ يخاطب الشباب بلغةٍ واحدة ضمن الواقع العربيّ.

الجلسة الختاميّة

تحدّث في هذه الجلسة **أ.د. هُمام غَصيب**، الذي أكّد ضرورة التّواصل بين الشّباب أنفسهم، وبينهم وبين المنتدى، سواء من خلال التّواصل إلكترونيًّا أو وجْهًا لوَجْه؛ مشيرًا في هذا المجال إلى الفصل الشّبابيّ الذي أُسّس في المنتدى، وإلى العمل على تكوين لجان شبابيّة للمتابعة في مختلف الأقطار العربيّة؛ فضلاً عن العمل على تأسيس قاعدة بيانات شبابيّة تخدم الأنشطة والتّواصل، ومتابعة إصدار «الكرّاسات الشّبابيّة»، التي أصدر منها المنتدى مجموعةً في موضوعات وقضايا متنوّعة.

ودعا أمين عام المنتدى إلى تقديم أفكار مبدعة ومبادرات ومقترحات عمليّة من جانب الشّباب. كما دعا إلى دعم المشروعات البحثيّة وغيرها المتعلّقة بالشّباب وقضاياهم. وقال: إنّه من الأفضل البدء في العمل، من دون أنْ نتوقّفَ طويلاً عند المصطلحات. وما نحتاجه هو النّقد الواعي؛ «وأنتم جميعًا مدعوّون للنّقد الواعي البنّاء». وركّز على أهميّة العمل خطوة خطوة، بعيدًا عن البدَع والتّحذلق والأجندات الخاصّة؛ مؤكّدًا دور الإعلام في نشر نتائج المؤتمر وحصيلة النقاشات والأفكار التي طرحها المشاركون.

وقدّم الشكر والتقدير إلى مكتبة الاسكندريّة على استضافة المؤتمر، وإلى الجهات الدّاعمة والمشاركة في التنظيم، والمشاركين والخبراء على مساهماتهم التي أغنتْ محاورَ النّقاش.

خلاصة جلسة

عَــرْض تجـــارب شـــبابيّة

رئيس الجلسة: د. **مأمون نور الدّين**

عُرِضَت في هذه الجلسة مجموعة من التجارب والمبادرات الشبابيّة الناجحة من أقطار عربيّة عدّة. فقدّمت أة. **سمر كلداني**، مديرة جائزة الحسن للشباب/ الأردنّ والمستشارة الإقليميّة للجائزة الدّوليّة في الدّول العربيّة، عرضًا حول أهداف الجائزة وفلسفتها وأنشطتها وإنجازاتها مصحوبًا بفيلم وثائقيّ.

وقدَّمت أة. **ياسمين مصطفى** عرضًا حول الأنشطة الشبابيّة والمتعلّقة بالشباب في مكتبة الاسكندريّة، والنهج الذي اتبعته المكتبة لتأكيد دور مشاركة الشباب في تنمية المجتمع وتقدّمه؛ كذلك تشجيع الشباب على التعبير والمبادرة.

وعرض أ. **محمّد راضي راجح عطا** من فلسطين لتجربة مجموعة «بسطة إبداع» الشّبابيّة في إطلاق المواهب الواعدة في الشعر والموسيقى والمسرح، وقدّمت الشاعرتان الشابتان أة. سراب خالد محمود قاسم، و أة. لينا مطاوع نماذج من كتاباتهما الشعريّة ضمن هذا العرض.

كما عَرَضَت أة. **رميلة مصطفى الأغبري** من اليمن لمبادرة التنمية الشّبابيّة المجتمعيّة (نسيج)، ودورها في التواصل بين الشباب لخدمة مجتمعه، والمساهمة في معالجة مشكلات المجتمع والشباب، والتوعية والتثقيف في القضايا العامّة.

* * *

خلاصة

نحن نحتاج إلى سياق ديمقراطيٍّ حقيقيٍّ يسمح بمشاركة القوى الاجتماعيَّة في أطرٍ منظَّمَة ومؤسَّسيَّة.

لقد تمَّت عمليَّة التَّحديث في منطقتنا العربيَّة على نحو يستحقُّ التَّقدير، فقد تمَّ هدم المؤسَّسات التَّقليدية الَّتي كانت قائمة على حكم العشيرة وحكم القبيلة وحكم الأسرة، ولم تحلَّ محلها مؤسَّسات مدنيَّة حديثة، قادرة على ضبط إيقاع الحياة الاجتماعيَّة. فبعد أن هدمنا المؤسَّسة التَّقليديَّة، صرنا في حالة فراغ أدَّت إلى حالة من الفوضى، فلم يعد هناك إمكانيَّة لأيِّ نوع من أنواع الضَّبط الاجتماعيِّ، الَّذي يؤطِّر لكلِّ فرد حدود مسؤوليَّته وواجباته، وحدود علاقته بالدَّولة، وعلاقة الدَّولة بالمواطن. ولهذا اختلطت حدود العلاقات ببعضها بعضًا.

وهنا لا بدَّ من إعمال الدِّيمقراطيَّة على نحوٍ حقيقيٍّ وفعّال، وفي إطار مؤسَّسي، يتيح للشَّباب فرصة المشاركة، وهذا هو ما ينقل الحديث عن الدِّيمقراطيَّة من مستوى الخطاب إلى مستوى الفعل، كما رأى المتحاورون. فغياب معيار الكفاءة والجدارة في تولِّي المناصب العامَّة، أو الحصول على الفرص المتكافئة، أمرٌ لا يقتصر على التَّعليم، وإنَّما يشمل قطاعات العمل والمؤسَّسات المختلفة. فغياب معيار الكفاءة يولِّد الإحباط واليأس والانسحاب والإقصاء، وهي مشاعر تؤدِّي إلى وجود العنف، ذلك أنَّ من لم يستطع الوصول إلى حقوقه بالطُّرق القانونيَّة، سيلجأ إلى طرق أخرى تتَّسم بطابع العنف.

لا بدَّ من أن تصبح المشاركة في البرامج الشَّبابيَّة - بما تقدِّمه من تنمية - أحد محدِّدات العمل، ولكن - مع مزيد الأسف - فإنَّ المسؤولين المعنيين لا يستثمرون الخبرات الشَّبابيَّة في برامج؛ إذ الأمر يتطلَّب:

- تشجيع الشَّباب على الالتحاق بالبرامج الشَّبابيَّة، وبهذا نكون قد أبعدناهم عن العنف والجريمة الإدمان، وغيرها من السُّلوكات السَّلبية الَّتي تهدر الطَّاقات الشَّبابيَّة.
- إدماج الشَّباب في البرامج الشَّبابية يكسبهم مهارات القيادة.
- إتاحة الفرصة للشَّباب للتَّعامل مع المجتمع، فيه قدر كبير من المشاركة، الَّتي تجعل من الشَّباب قوة مضافة إلى قوة المجتمع، فالعمل التَّطوعي - في النِّهاية - ثروة غير منظورة تضاف إلى اقتصاد المجتمع.

وهذه التَّوصيات مهمَّة، وكلُّ ما يحتاجه تنفيذها هو إيجاد هيكليَّة سياسيَّة فاعلة، تتمتَّع بقدر من الاستجابة للحوار، واحتمال الضَّغط الَّذي تمارسه منظَّمات المجتمع المدنيّ على المؤسَّسات، وبخاصَّة مؤسَّسات القطاع الخاصّ. فالملاحظ أنَّه عندما يتقدَّم لها اثنان، أحدهما اكتسب خبرته من العمل التَّطوعي، وثانيهما لديه خبرة حيثية، فإنَّ المؤسَّسات تختار ثانيهما، غير آبهةٍ بمن كانت خبرته في العمل التَّطوعيِّ.

وثمَّة أمر آخر أكَّده المتحاورون، يتَّصل ببناء المهارات المهنيَّة القائمة على القدرة على التَّفكير، ذلك أنَّ امتلاك المهارات المهنيَّة دون القدرة على التَّفكير، قد يؤدِّي بالشَّباب للاتِّجاه نحو العنف. وأعتقد أنَّ على الدَّولة ومؤسَّسات التَّعليم، ومنظَّمات المجتمع المدنيِّ، إعداد الشَّباب من خلال البرامج المستندة إلى التَّربية، وتشجيع الانخراط في العمل العامِّ، والمشاركة في الأعمال التَّطوعيَّة، على أن يتضمَّن كلُّ هذا أنماطًا من التَّنشئة الفكريَّة والقيميَّة، الَّتي تعضد الجانب المهاريّ.

ولا بدَّ من أن تدخل منظَّمات المجتمع المدنيِّ في حوار مع الدَّولة، والضَّغط باتِّجاه تغيير السِّياسات العامَّة، وحفزها على الاهتمام بقضايا التَّعليم وتوفير الموارد الَّتي تفي بمتطلَّبات وجود نواتج تعليميَّة عالية الجودة. ولا يعني هذا بأيِّ حال من

الأحوال إلقاء العبء بالكامل على الدَّولة، فنحن جميعًا يجب أن يكون لنا دور، سواء من خلال تقديم مبادرات، أو الحوارات مع الدَّولة. والحوار هنا يبدأ بالتَّفاوض، وقد ينتهي بالضَّغط، لأنَّه يفترض في أن تعبِّر عن آراء منظَّمات المجتمع المختلفة.

وفي هذا السياق قدَّم أحد المتحاورين المشاركين مداخلة، شخَّص فيها جذور العنف:

يتخذ العنف أشكالاً وأوجهًا كثيرة؛ فرديَّة أو جماعيَّة، أخطرها وأشدّها وبالاً وفتكًا، وأكثرها عمقًا تلك الَّتي تجد لها مسوِّغات اعتقاديَّة، سواء أكانت ذات مظاهر اجتماعيَّة أم دينيَّة أو كلاهما معًا؛ وهي مظاهر تستند إلى الشُّعور بالأفضليَّة والاستعلاء، وعدم استحقاق الآخر للوجود، كما يتجلَّى في العنف العنصريِّ والطَّائفي والمذهبيِّ الدِّينيّ. فهذا النَّمط من العنف ليس طارئًا، أو نتيجةً لظروفٍ استثنائيَّة، أو إفراز تقاطعات الحياة، أكانت اجتماعيَّة أو سياسيَّة أو اقتصاديَّة، بل هو كامنٌ في النَّفس، يتغذّى بالعقيدة ويتمسَّح بالأخلاق، ويسوِّغ نفسه متجاوزًا الضَّمير، وهو قابل للامتداد على مدى الزَّمن طالما لم يكن هناك تغيُّر اعتقاديٌّ وثقافيٌّ لدخائل النفس اتجاه الآخر.

والعنف سلوك متَّصل بلا وعي الإنسان، يدفعه إلى التَّصرف بعدوانيَّة غير مسوَّغة، أو بردَّة فعل أشدَّ من استحقاق الموقف نفسه. قد تكون حالات فرديَّة في بعض المجتمعات المتجانسة، أو ظاهرة جماعيَّة منتشرة في المجتمعات ذات الطَّبيعة القاسية، وبخاصَّة تلك الَّتي تعاني الحرمان والفقر والقهر والقمع أو كلّ ذلك، وهو ما تعانيه مجتمعاتنا العربيَّة، بفعل الإرث التَّاريخي الَّذي تأصَّل بعد خلافة النَّبي عليه السَّلام مع أنَّ النَّبي عليه السَّلام قد أسَّس ثقافة جديدة تستند إلى المساواة والعدالة والتَّسامح.فالمرحلة النَّبويَّة الشَّريفة كانت مرحلة فاصلة في التَّاريخ الإنسانيِّ. وفي ما بعد عانت الأمة من التَّناقضات، إلى درجة عدم التَّفريق بين التَّسامح العقائديِّ،

والفكريِّ الَّذي ظهر في الاختلافات الاجتهاديَّة المذهبيَّة. فقد أوجد الإسلام مستوىً من التَّسامح، وحضَّ النَّاس على أن يجتهدوا ويختلفوا، ويتقبَّل كلٌّ منهم الآخر، وهذا نتاج روحنة النَّبي عليه السَّلام وإنسانيَّته. غير أنَّ واقع الأمة لم يسر في هذا الرَّكب، فظهرت التَّناحرات والقمع والتَّمييز والاغتيالات والمؤامرات وسياسات الجور، وتُدوولت الخلافة على نحو مغاير لما كانت عليه الحقبة النَّبويَّة.

وهذا ما أدَّى إلى العنف المفرط والعنف المضادِّ، وأدى أيضًا إلى تعقّد الأمور، وغياب روح التَّسامح والاحترام وسيادة المنطق، وأوجد ثقافة العنف ورسَّخها عميقًا في النَّفس واللاوعي، حتَّى غدا العنف في مجتمعاتنا أمرًا عاديًّا، بإمكاننا أن نشاهده يوميًّا، بل التَّواصي والدَّفع نحو العنف وممارسته حدَّ الوجوب. وهذا كلُّه ناتج عن الجهل الثَّقافي وطبيعة البرامج الإعلاميَّة، وبخاصَّة البرامج الَّتي تتضمَّن مشاهد من العنف، الَّتي يشاهدها الأطفال، فيتأثَّرون بها، لأن الثقافة التي تقدِّمها كثير من هذه البرامج، تقوم على قاعدة ثقافيَّة مؤدَّاها: بما انه خصمك فافعل به الذي تريده وهذه ثقافة بدأت تنتشر في مجتمعنا ولم تكن موجودة من قبل.

وهذه الثَّقافة تعمل ضدَّ ثقافة الإنسانيَّة الرَّحمانيَّة، الَّتي دأب على تأسيسها الأنبياء والصَّالحون مدى التَّاريخ، وعلى رأسهم النَّبيُّ الخاتم ﷺ.

يجب علينا أن نراجع السُّلوكات بحيث تُنتج مفاهيم إيجابيَّة لدى النَّاس، ولا بدَّ من إعادة النَّظر في توصيف المفاهيم والعقائد وتعريفها.

وخلاصة القول: علينا تغيير مفاهيم أساسيَّة، كتحديد هُويَّات الأشخاص على نحو مختلف عمّا هو سائد في الواقع الآن.

خلاصة

المائدة المستديرة

رئيس الجلسة: أ. **نصوح المجالي**

تحدَّث في هذه الجلسة أ. د. **إسماعيل سراج الدين**، مدير مكتبة الإسكندرية؛ مُشيرًا إلى أهميّة قضية العنف لدى الشّباب وضرورة معالجتها. وأوضح أنّ الشباب يمرون بخمسة تحوّلات متزامنة قد تدفعهم إلى العزوف عن العمل العام وتدمير الذّات والاتجاه إلى العنف. وتبدأ هذه التحوّلات بالتحوّل من مرحلة الطّفولة إلى سنّ الرّشد؛ إذ يتّجه الشّباب إلى الاستقلاليّة. ويأتي التحوّل الثّاني متمثّلاً بالانتقال من التعليم المدرسيّ إلى الجامعيّ؛ وهي مرحلة يتعرّض فيها الشّاب إلى أنماط مختلفة وقيم جديدة يكتسبها تختلف عن تلك التي مارسها خلال طفولته.

وأوضح أنّ تحوّل الشّاب إلى مواطن له فكره السّياسيّ هو ثالث تلك المراحل؛ حيث تتطوّر عقليّتة خلال فترة الجامعة، ويسعى في هذه الأثناء إلى تكوين آراء وميول سياسية، وهي المرحلة الأهمّ التي يتشكّل فيها الفكر السّياسيّ لدى الشّباب، ليصبحوا فيما بعد مواطنين صالحين ناشطين، أو ليعزفوا عن الحياة السّياسيّة، أو أن يختاروا أفكارًا ووسائلَ ثوريّةً ومتطرّفة لتطوير المجتمع.

وأضاف: إنّ المرحلة الرّابعة لا تقلّ أهميّة عن سابقتها؛ إذ يتّخذ الشّباب خلالها قراراتهم المصيريّة من دون الاعتماد على أحد، فيما يواجهون في آخر تلك المراحل التي يمرون بها الأوضاع المجتمعيّة السّائدة، التي قد تؤدّي إلى زيادة مشاعر الغضب لديهم، وهو الغضب الذي قد يولِّد عُنفًا، نظرًا لمعدّلات البطالة المرتفعة، وتأخّر سنّ الزواج، وغيرها من العوامل.

ودعا أ.د. **إسماعيل سراج الدّين** في ختام كلمته إلى أن يعمل المجتمع بحكم المسؤوليّة المُلقاة على عاتقه على تسهيل تلك المراحل الخمس وتيسيرها أمام الشّباب، ومساعدتهم على تذليل العقبات التي يواجهونها.

قدَّم مقرّرو المحاور في هذه الجلسة (أ. **مروان المعايطة**/ الأردن؛ أة. **رميلة مصطفى الأغبري**/ اليمن؛ أة. **تقيّة النجّار**/ البحرين؛ د. **وليد صادق**/ مصر؛ دة. **عبير دويلة**/ الكويت) خلاصة للنقاشات التي دارت خلال أيام المؤتمر الثلاثة، وتضمّنت رؤية المشاركين حول أسباب انتشار ظاهرة العنف بين الشباب العربيّ، ومن أهمّها غياب الديمقراطيّة، وانعدام فرص المشاركة في صنع القرار، وانتهاك حقوق المواطنين لضرورات الأمن والطوارئ وغيرها، ومشكلات الفقر والبطالة. هذا إلى جانب الخلل الذي أصاب التنشئة الاجتماعيّة، سواء من جانب الأسرة أو المدرسة أو غيرهما من المؤسسات في المجتمع. فعلى مستوى الأسرة، التي تعدّ المسؤولة الأولى عن التنشئة الاجتماعية للفرد، هنالك غياب للحوار بين الآباء والأبناء؛ ما يؤدّي إلى الكبت والإحباط، واستخدام أساليب خاطئة في التربية تتسم بالقسوة والتمييز بين الأبناء على أساس الجنس أو السنّ أو لاعتبارات أخرى، وحثّ الطفل على العنف من جانب الأسرة لحماية شخصيّته؛ إضافة إلى السلطويّة التي يمارسها الآباء على أبنائهم، وعدم إتاحة الفرصة لهم للتعبير عن آرائهم وأفكارهم بحرية. وهذا الطابع السلطوي يمارسه أيضًا المعلم في المدرسة ضدّ التلاميذ مع وجود مناهج ونُظم تعليمية قائمة على التلقين؛ الأمر الذي يجعل الشاب مادة خام للأفكار المتطرّفة ويُنتج شخصيّة قابلة للتطرّف ورفض الآخر.

ومن بين أسباب العنف أيضًا غياب أو قلّة المشروعات التي تستوعب طاقات الشّباب بشكلٍ إيجابيّ على المستويين الوطنيّ والعربيّ؛ ما أدّى إلى نوعٍ من الكبت

لدى الشباب، فلجأوا إلى المجتمع الافتراضيّ عبر الإنترنت لبثّ أفكارهم وهمومهم الشخصية وآرائهم.

فيما يتعلّق بالحالة الدّينيّة، لاحظ المشاركون أنّ هنالك حالات منتشرة من التشدّد أو التطرّف، أو عدم قبول الآخر؛ وفي الوقت نفسه وجود ضعف في الوازع الدّينيّ والاتجاه إلى التغريب. كما لاحظوا أنّ الإعلام في كثير من الحالات يبدو محرّضًا على العنف من خلال ما يقدّمه من برامج تغذي التعصُّب والتّفكير الأُحاديّ بدلاً من ترسيخ قيم التسامح واحترام الآخر.

وحذر المشاركون في هذا السياق من خطورة الحواجز الاجتماعيّة والضائقات الاقتصاديّة والعوائق السياسيّة، التي تحول دون تفريغ طاقات الشباب الهائلة؛ ومن ثمّ تتحوّل هذه الطّاقات إلى إحباط وغضب يؤديان في نهاية المطاف إلى اللجوء للعنف.

أمّا الحلول التي اقترحها المشاركون لمواجهة ظاهرة العنف فتتلخّص في ضرورة اعتماد لغة الحوار داخل الأسرة، سواء بين الآباء والأبناء، أو بين الأبناء بعضهم بعضا؛ وضرورة الاهتمام بتأهيل المعلّمين؛ والحرص على وجود الأخصائيّين النّفسانيّين القادرين على توجيه الطلبة، خاصّة خلال فترة المراهقة. كذلك إقامة مشروعات يمكن للشباب أن يمارسوا من خلالها أنشطة اجتماعيّة وثقافيّة ورياضيّة، وتفعيل نصوص المواطنة الموجودة في الدّساتير العربيّة، والاهتمام بالعمل على إشراك الشباب في صنع القرار، وتوفير القنوات الشرعية التي تتيح لهم التعبير عن آرائهم بشكل سلمي، والعمل على نشر قيم التسامح وقبول الآخر من خلال التّعليم والإعلام.

* * *

خلاصة

لدينا في هذه الجلسة أربعة محاور، هي: محور المواطنة، ومحور الهُويَّة، والثَّقافة، والقيم. فإلى أيِّ محور تحبِّذون الانتقال؟ وسوف أنضمُّ لكم. لدينا في موضوع الهُويَّة ثلاث قضايا هي:

١-مصادر ومؤثرات تشكيل الهُويَّة.

٢- بناء الثِّقة لدى الشَّباب.

٣- والاعتزاز بالهُويَّة.

وفي المحور الثَّقافي لدينا أربعة قضايا هي:

١- ثقافة التَّعدُّد.

٢- التَّنشئة الاجتماعيَّة.

٣- قبول الآخر.

٤- تأثيرات سياسيَّة واجتماعيَّة.

ويوجد لدى دة. **عبير دويلة** من الكويت، ورقةٌ سوف تعرِضها لنا، سنستفيد منها في حواراتنا.

دة. عبير دويلة

ورقة العمل الخاصَّة بي كنت قدَّمتها من قبل عن دراسة ميدانيَّة تخصُّ الشَّباب الخليجيَّ الكويتيّ بالذات.وعنوانها: «انعكاس الانفتاح الثَّقافي على قيم المواطنة لدى الشَّباب»:

إنَّ فهم الاختلالات، ومظاهر العنف في السُّلوك وتحليلها، يمكن لها أن تمدَّنا بمعلومات وحقائق عن نمط الهُويَّة والثَّقافة اللَّذيْن نتج عنهما العنف. وقد وردت الإشارة إلى شيء من هذا القبيل في الحوارات وأوراق العمل، ولكنَّني هنا سأقف عند التَّجرِبة نفسها، وكذلك عند الدِّراسة الميدانيَّة.وتهدف هذه الدِّراسة إلى تأكيد قيم المواطنة والانفتاح الثَّقافي، وانعكاساتها على سلوك الشَّباب، ومعرفة أثر متغيرات الجنس، ومستوى الدِّراسة والتَّخصص في هذا الشَّأن.

وتنبع أهميَّة الدِّراسة من طبيعة الموضوع الَّذي يتناول المواطن من زوايا ذات أبعاد سياسيَّة وأمنيَّة لها علاقة بمعايير الانتماء، ومستوى مشاركة الأفراد في حماية الوطن والذَّود عنه، كما تعبِّر عن وعي الفرد بالحقوق والواجبات، والنَّظرة إلى الآخر، وصيانة المرافق العامَّة، والحرص على المصلحة الوطنيَّة، كما تعكس مدى إدراك المواطن لدوره في مجابهة التَّحدِّيات الَّتي تواجه المجتمع والدَّولة في آنٍ واحد.

وتتَّضح أهمِّيَّة الدِّراسة كذلك ممَّا تسعى إليه من استكشاف طبيعة وعي الشَّباب بقيم المواطنة، وبيان الفروق ذات الدّلالة الإحصائيَّة حسب المتغيِّرات المختلفة.

وقد أسفرت عمليَّة التَّحليل الإحصائيّ عن نتائج، وملاحظات مهمَّة تعكس الواقع النَّفسيّ والاجتماعيّ والفكريّ والثَّقافيّ والسِّياسيّ، الَّذي يعيشه الشَّباب الكويتيّ في الآونة الأخيرة؛ إذ يشهد المجتمع الكويتيّ، كغيره من المجتمعات، مجموعة من المتغيِّرات والمستجدّات والأحداث الإقليميَّة والدّوليَّة، الَّتي كان لها انعكاسات خطيرة، تمظهرت في بروز صور العنف والتَّطرُّف، بوصفها ظاهرة فكريَّة وسياسيَّة جديدة وغريبة على المجتمع الكويتيّ.

بالإضافة إلى ذلك تبدَّت زيادة في مساحة المشاركة السِّياسيَّة من خلال الانتخابات الطُّلابيَّة، وسلسلة الحوارات الوطنيَّة الَّتي أولت عنايتها لقضايا المرأة والشَّباب. وقد أسفرت هذه الحوارات عن نتائج فكريَّة وثقافيَّة ذات مغزى سياسيّ واضح. وجاء هذا كلُّه في سياق متَّصل، وانفتاح غير مسبوق لقنوات الإعلام والاتِّصال والفضائيَّات، الَّتي تطرح أطيافًا متعدِّدة من الثَّقافة السِّياسيَّة. وكذلك شبكة المعلومات (الإنترنت) وما تقدِّمه من آراء وأطروحات ذات علاقة وثيقة بالجغرافية السِّياسيَّة للمجتمع الكويتيِّ.

ومن أبرز ما استنتجته الدِّراسة أيضًا:

١- اتَّسمت التَّغيُّرات بالإيقاع السَّريع، وهو ما أحدث نوعًا من الاختلال والاضطراب فيما اعتقده الشَّباب من قيم، وما يؤمن به من مفاهيم وقناعات، وما يتبنَّاه من اتِّجاهات. ويظهر ذلك واضحًا من خلال التَّحليل الإحصائيِّ لنتائج الدِّراسة، الَّتي أظهرت تناقضًا في بنية الوعي والصُّورة الذِّهنيَّة لدى الشَّباب لبعض المفردات المرتبطة بالتَّعدُّديَّة والانفتاح على الآخَر، والحرِّيَّة والمشاركة السِّياسيَّة، إذ سادت نزعة التَّردُّد تارةً بين الإقبال على الفكر المطروح عبر وسائل الاتِّصال والإعلام، وبين التَّمسُّك بالجذور، وما وقر في ضمير المجتمع من مفاهيم وقناعات سياسيَّة وثقافيَّة واجتماعيَّة. وإن دلَّ ذلك على شيء، فإنَّما يدلُّ على أنَّ عمليَّات الانفتاح وضعت الشَّباب الكويتيَّ - الَّذي هو عيِّنة الدِّراسة- على عتبة الأزمة الفكريَّة في تلمُّس الخطى المناسبة في ظلِّ هذا الزَّخم المثير والمتشتِّت من المعلومات الأخبار والأحداث. وتدلُّ النَّتائج كذلك على وجود حالة من الصِّراع الفكريِّ والإيديولوجيِّ بين التَّيَّارات الفكريَّة والعقيديَّة الموجودة في السَّاحة الكويتيَّة، سواء التَّيَّارات ذات البُعد الدِّيني، الدَّاعي إلى وجوب الحفاظ على الخصوصيَّة والهُويَّة الذَّاتيَّة، أو التَّيَّارات ذات المنطلقات الغربيَّة الوافدة، الدَّاعية إلى التَّحرُّر والانفتاح دونما اعتبار للشُّروط الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة والقسَمات الحضاريَّة للمجتمع الكويتيِّ. ولمَّا كان جمع من الشَّباب الكويتيِّ يعيش العصر بواقعه ويتأثَّر به، ويستمدُّ أحكامه

القيميَّة، ومعاييره السُّلوكيَّة منه، فإنَّ ما يسوده من اضطرابات وتناقض في وعيه وتصوُّره وإدراكه هو محصلة فعليَّة لهذا الواقع.

٢- تشير النَّتائج أيضًا إلى قصور واضح في دور العديد من المؤسَّسات المجتمعيَّة؛ الثَّقافيَّة والتَّعليميَّة، في تشكيل الوعي ودعمه وتنميته بالصُّورة الَّتي تقتضيها وقاية المجتمع، واستيعاب ما يحدث على أرض الواقع من أحداث، وما يتصارع فيه من أفكار، والسَّعي إلى تأكيد استمراريَّة الاحتفاظ بالجذور، وتنمية الإحساس بالهُويَّة والانتماء لدى الشَّباب الكويتيّ، محاولة في الوقت ذاته تخليصه من التَّناقض والاضطراب الحادث في مسألة الحرِّيَّة وآليَّات ضبطها، وآفاق المشاركة السِّياسيَّة، وكيفيَّة القيام بها، وتوضيح مضامين التَّعدُّديَّة وكيفيَّة ممارستها، ومعرفة الآخَر ومن ثمَّ التَّعامل معه دون إفراط أو تفريط.

٣- على الرَّغم من وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة بين هذه المتغيِّرات والأبعاد، إلاّ أنَّها تركَّزت في معظمها على ما يخصُّ الانفتاح والتَّعدُّديَّة والمشاركة السِّياسيَّة، ممَّا يؤكِّد أثر الانفتاح الثَّقافيّ في المفاهيم السِّياسيَّة عامَّة ومفهوم المواطنة خاصَّة. فقد ظلَّت فئة الشَّباب، الَّتي تستمدُّ ثقافتها السِّياسيَّة من المصادر التَّقليديَّة، أكثر ميلاً إلى المفاهيم السَّائدة، أكثر تمسكًا بالمألوف وارتباطًا بالجذور الثَّقافيَّة الَّتي كرّستها التَّربية الوطنيَّة وفق القواعد الفكريَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة للمجتمع ومؤسَّساته، بالإضافة إلى ما راكمته الخبرة التَّربويَّة ومؤسَّساتها التَّعليميَّة، الَّتي نجحت - على مرِّ عقود طويلة - في تكريس هذه المعتقدات على المسارين؛الرَّسميِّ والأهليِّ.

وقد خرجت الدِّراسة بتوصيات يمكن لنا أن نذكرها باقتضاب:

١- لا بدَّ من وضع هذه النَّتائج أمام الجهات التَّربويَّة والإعلاميَّة المسؤولة عن التَّنشئة الاجتماعيَّة لشبابنا، حتَّى تضعها في حسبانها عند تطوير مناهجنا، فتسدّ الخلل، وتتلافى حدوث الاضطراب في الوعي أو القصور في تمثُّل حقائق المواطنة،

وتلمُّس الأسلوب الأمثل لإكساب شبابنا مهارات التَّعامل مع ما يقتضيه الانفتاح الثَّقافيِّ الَّذي يتعرَّضون له ويتأثَّرون به.

٢- إجراء بحوث دوريَّة تتَّصل بقضايا الشَّباب، لرصد مدى التَّقدُّم في فهمهم ووعيهم، وتعديل الخطط والبرامج الموجَّهة إليهم.

٣- أن توازن برامج الإعلام الموجَّهة إلى الشَّباب في رسائلها التَّربويَّة والتَّوعويَّة بين مفهوم المحافظة على الخصوصيَّة الثَّقافية لوطننا، وبين مفهوم الانفتاح العالميِّ، حتَّى تحقِّق تطلُّعات مجتمعنا في التَّفاعل مع الرَّكب الحضاري دون الذَّوبان في الآخر.

أرجو أن تتمَّ الاستفادة من هذه الدِّراسة في أثناء المناقشة. وشكرًا لكم.

أ. نصوح المجالي

شكرًا دكتورة على هذا العرض المختصر والوافي. لقد تمَّ التَّعريف بالنّقاط الرَّئيسيَّة للمواطنة، وعرَّفنا الهُويَّة والثَّقافة، وتحدَّثنا عن موضوع القيم. وإن كنتم وجدتم الإجابة لدينا، إلَّا أنَّنا نريد منكم أن تقدِّموا إجابات أخرى. ولنبدأ بموضوع المواطنة. بإمكان كلِّ واحد منكم أن يدوِّن كلمة «المواطنة»، ومن ثمَّ نستمع إلى مواطن الضَّعف ومواطن القوة في وعي هذا المفهوم. ولنبدأ بذكر مواطن القوة لنرسِّخ مفهوم المواطنة.

خلاصة بأهم الأفكار والآراء المطروحة في الجلسة

- المواطنة هي المساواة في الحقوق والواجبات.
- إيجاد وسائل جديدة للتَّعبير عن الذَّات.
- تعزيز مفهوم دولة القانون والمؤسَّسات وتعميقه.

• زيادة دور مؤسَّسات المجتمع المدنيِّ، الَّتي يمكن أن تقدِّم مفهومًا حيويًّا لمعنى المواطنة، وتعمِّق قيمها بطريقة أكثر سهولة.

• يمكن للنِّظام التَّعليميِّ ومناهجه دعم قيم المواطنة، مع حاجتنا إلى إصلاح المناهج التَّعليميَّة، لتكون قادرة على إحداث التَّوازن ما بين الوافد والموروث.

• نقاط الضَّعف بالضَّرورة هي عكس نقاط القوَّة، فإذا لم توجد دولة القانون والمؤسَّسات، وراح النِّظام التَّعليمي يُعزِّز قيم التَّفرقة وأشكال التَّمييز، ويوجد أنساقًا ثقافيَّة قائمة على المساواة، فإنَّ كلَّ هذا سيخدش قيم المواطنة في المجتمعات العربيَّة.

• أرى أنَّ مِن أولى نقاط الضَّعف؛ عدم وجود توعية قانونيَّة بالقوانين وبالحقوق والواجبات.

• لا بدَّ من تعزيز فكرة التَّعايش مع الآخَر لدى الإنسان، فالتَّعايش من الأمور الدَّاعمة لقيم المواطنة، وبالتَّالي ستقلِّل من حجم ظاهرة العنف.

• ضعف سيادة القانون، وغياب العدالة والمساواة.

• هيمنة منظومة القيم التَّقليدية السَّائدة تجاه التَّعامل مع الآخَر.

• عدم وجود مشروع عربيٍّ أو مشروع فكريٍّ واضح للشَّباب العربيِّ؛ بمعنى أنَّ كلَّ مشاريعنا مستمَدَّة من الغرب؛ إذ لا يوجد مشروع عربيٌّ خاصٌّ يساعد في تشكيل هُويَّتنا الثَّقافيَّة.

• سيادة الانتماءات الذَّاتيَّة الصُّغرى على الانتماءات الجمعيَّة الكبرى.

• عدم إشراك الشَّباب في صناعة القرار على كلِّ المستويات.

• انخفاض الوعي بمعنى أو بكيفيَّة تطبيق مفهوم المواطنة.

• انعدام ثقة الجيل السَّابق بالجيل الجديد: جيل الشَّباب.

• عدم وجود ضوابط للتدخُّلات الخارجيَّة.

• هناك ضعف في الشُّعور بالهُويَّة، ناتج عن عدم وجود اعتزاز بالهُويَّة العربيَّة. وقد يكون للاستعمار دور في أن ينظر المواطن العربيّ إلى ذاته القوميَّة نظرة دونيَّة. وهذا ما يدفع كثيرًا من الشَّباب للحصول على جنسيَّة أجنبيَّة بأيَّة طريقة، حتَّى يجدوا أنفسهم على نحو أفضل.

• توجد تأثيرات سلبية للعولمة على الهوية، أو على تشكيل الهوية على نحو مُشتّت.

• لا ننسى أنَّ الاعتزاز الزَّائد بالهُويَّة في بعض الأوقات قد يتحوَّل إلى نزعة تعصُّبيَّة تجاه الآخر، وهذا بدوره سيؤدّي إلى العنف.

• إذا كان هناك وعي بأهمِّيَّة هُويَّتك الَّتي تحملها، فستعرف كيف تتمثَّلها أمام الآخَرين؛ إذ يجب أن تحافظ على هُويَّتك وصورتك جميلة أمام النَّاس. فإذا كنت تحمل هُويَّة إسلاميَّة أو عربيَّة، فيفترض عندئذ أن تتصرَّف على نحوٍ لا يعطي انطباعًا سلبيًّا، خاصَّة بعد أن انتشرت في الغرب ظاهرة اتِّهام العرب والمسلمين بالتَّطرُّف والعنف والإرهاب. فالاعتزاز بالهُويَّة يُعزِّز فكرة حمايتها أيضًا بطريقة ايجابيَّة؛ فكلَّما اعتززت بهُويَّتي أكثر حافظت على نقاء صورتها أمام الآخَرين.

• لا نريد أن نتعصَّب لقوميَّتنا العربيَّة أو لديننا، لأنَّنا لسنا ضدَّ الآخر. ويمكن لهُويَّتنا أن تدفعنا لأن نكون مدركين للأخطار الَّتي حولنا.

• التَّعصُّب للهُويَّة شيء سلبيٌّ، لهذا يجب أن أفكِّر كيف يمكن أن تكون هُويَّتي على نحو أفضل بعيدة عن التَّعصُّب.

• فكرة التَّعصُّب فكرة صفة سلبيَّة، وبخاصَّة التَّعصُّب الأعمى. وإذا اضطرَّ الإنسان إلى التَّعصُّب، فليكن تعصُّبُه مسؤولاً بحيث لا ينفي وجود الآخر. فعدم القدرة على تقبُّل الآخر أو التَّواصل معه، أو تقبُّل وجوده، ناتج عن فكرة التَّعصُّب للهُويَّة.

• الاعتزاز بالهُويَّة لا ينفي الانفتاح على الآخر ثقافةً وتواصلاً.

• هناك فكرة جديرة بالانتباه، وهي التَّشتُّت والتَّداخل ما بين الهُويَّات المختلفة للفرد، وغياب ملامح الهُويَّة الَّتي نسعى إليها. فمفهوم الهُويَّة يختلف من دولة عربيَّة لأخرى، لأنَّ طبيعة الانتماءات للقبيلة والعشيرة والبلد الَّذي أنا فيه وما إلى ذلك، تختلف من دولة لدولة، وكذلك الانتماء القوميّ والدِّينيّ، كأن يكون الشَّخص عربيًّا، أو مسلمًا، أو مسيحيًّا. فترتيب الأولويّات سيوحِّد قليلاً من طريقة تفكير النّاس، ويجمعهم على هُويّات مشترَكة.

• تنوُّع دوائر الانتماء ضمن المجتمع الواحد أدَّى إلى اضطراب في الهُويَّة، ، فهناك شخص يعرف نفسه من خلال قبيلته، وشخص آخر يعرف نفسه من خلال حزبه، وثالث يعرف نفسه من خلال دينه. فهذا الاضطراب مدعاة لأن يُضعِف الهُويَّة الوطنيَّة ضمن قيم المواطنة. ولذلك فإنَّ مسؤوليَّة الشَّباب أن يبحثوا عن قواسم مشترَكة، وعن دوائر ولاء مشترَكة تعزِّز قيم المواطنة والعدالة والمساواة.

• أرى أن تعزيز اللُّغة العربيَّة في العالم العربيِّ كلّه يؤدِّي إلى أن تكون الهُويَّة أقرب إلى بعضها بعضًا. فاللُّغة العربيَّة تحمل فكرًا. وكلَّما كانت اللُّغة أقوى أصبح الوعي الفكريُّ قويًّا وناضجًا.

• اللُّغة تعبِّر عن هُويَّة الأمَّة. فلذلك نقول إنَّ اللُّغة هي مرآة لواقع المجتمع، فكلَّما كانت اللُّغة راقية عبَّرت عن رقيٍّ اجتماعيٍّ وثقافيٍّ وفكريٍّ لهذا المجتمع.

• توحيد المناهج الدِّراسيَّة على المستوى العربيِّ بحاجة إلى خطوات عمليَّة أكثر من مجرد أن نقدِّم توصية، لأنَّ توحيد المناهج بحاجة إلى قرار سياسيٍّ.وهذا أغلب الظَّنِّ لن يحصل، فبالتَّالي تبقى المسألة مجرَّد حلم كبير غير قابل للتَّحقيق. فمناهج التَّاريخ الَّتي تُدرس في مصر مناهج كفؤة، ثمَّ بعد الوعي عليها وتحليها نكتشف أنَّ كلَّ الَّذي كان يقال في كتب التَّاريخ شيء، والواقع الممارَس على الأرض شيء آخر، فهناك تشويه للصُّورة التي تكوّنت ابتداء، عن الدَّولة والوطن الأكبر وعن الأمَّة. ثمَّة خلل في هيكليَّة التَّعليم العربيِّ. ومثال آخر هو كتاب اللُّغة العربيَّة؛ وعدم قدرته على تعزيز قيمة اللُّغة العربيَّة الَّتي نتمسَّك. فما زالت مشكلة ازدواجية اللُّغة العاميَّة والفصحى.

• علينا أن نعيد ثقتنا وتمسُّكنا بلغتنا، لنتمكَّن من التَّواصل بها على نحو جيِّد، ونشعر بجمالها، ثمَّ بعد ذلك نتحدَّث عن التَّاريخ والجغرافيا، فاللُّغة العربيَّة مفتاح لكلِّ العلوم. هل هناك أيّ نقاط جديدة؟

• أريد أن أتحدَّث عن تجربة شخصيَّة تخصُّ الشَّعب الفلسطينيّ، وهي من نقاط القوَّة. فهُويَّة الشَّعب الفلسطينيِّ ظلَّت معرَّضة للانتهاك، وليس لها وجود فعليٌّ، ومع ذلك ظللنا نحاول تعزيز هُويَّتنا بطرق كثيرة، وقد نجحنا في هذا. وذلك من خلال إيجاد نوع من أنواع القَطْع أو الفصل بيننا وبين الهُويَّة الإسرائيليَّة، فلم نعد نتطلَّع إلى الاستعمار الإسرائيليّ لكي يصبح مرآة لنا. لقد أصبح لدينا مشاريعنا الشَّبابيَّة الخاصَّة بنا، فلم يعد سلوكنا رَدَّة فعلٍ على الإسرائيليين.

• أرى أنَّ ثقة الشَّباب العربيِّ بقدرته على تمكين الهُويَّة العربيَّة وإعادة تماسكها هي واحدة من نقاط القوَّة، فالشَّباب لديهم إبداع وتفكير خلَّاق، وعلى دراية بأنَّ الهُويَّة العربيَّة الآن أصبحت متآكلة، لذلك فهم يعيدون بناءها، وتماسكها، وفرضها على الواقع.

• فلنأتِ إلى مفهوم الثَّقافة.

• هُويَّتي هي ثقافتي، ولغتي هي ثقافتي ووطنيَّتي ومواطنتي ثقافتي كذلك. لكن من الممكن أن نخصَّ الثَّقافة بالذَّات. فهناك تحدٍ ثقافيٌّ يواجه الشَّباب العربيَّ.

• التَّحدّي الثَّقافيّ الَّذي يواجهنا كشباب عربيٍّ اليوم هو تحدٍ في الانتماء للثَّقافة العربيَّة، وهو تحدّي الإعجاب بثقافة الآخر والانفتاح عليه، والتَّخلّي عن الثَّقافة العربيَّة. فأدَّى ذلك كلّه لتلاشي الأمَّة واختفاء ملامحها الحضاريَّة، وبالتَّالي انعكس على قدرتها على الإنجاز. ثمَّ هناك التَّحدِّي اللُّغوي، الَّذي انعكس بالضَّرورة على ضعف الثَّقافة العربيَّة، وقدرة الأمَّة العربيَّة على إنتاج المعرفة عالميًّا. وهناك التَّحدِّي العسكريّ. فالمرحلة الَّتي مرَّت بها الأمَّة والشَّباب العربيّ، ولَّد في كثير من الأحيان حالة من الإحباط، وانعكس هذا الإحباط ثقافيًا على وعينا كشباب بهُويَّتنا، وبالتَّالي أدَّى إلى انتشار ثقافات بديلة، كثقافة الخوف وثقافة الحرب

وثقافة التَّعصُّب وثقافة اللَّامبالاة. وهذه كلّها ثقافات ناتجة عن كلٍّ هذه العناصر مجتمعة. والخروج من المأزق الآن، أو الخروج من هذه التَّحدِّيات ومواجهتها، يتطلَّب منّا إعادة النَّظر في كثير من الأمور الَّتي تحدَّثنا، منها ترسيخ قيم المواطَنة وتحقيق العدالة والمساواة في الحقوق الواجبات، والاعتزاز بالهُوِيَّة العربيَّة أساسًا لانتمائنا.والإعلاء من مكانة اللُّغة ضمن المؤسَّسات المختلفة التَّربويَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والإعلاميَّة، لإعادة صياغة الجيل من جديد. والمحرِّك الأساسيُّ لكلٍّ هذا هو مؤسَّسات التَّنشئة الاجتماعيَّة المختلفة؛ التَّربويَّة والتَّعليميَّة والمؤسَّسات التَّربويَّة الموازية ومنها الأسرة والنَّادي والمركز.

- شكرًا لك دكتور. هل من أحد يريد أن يتحدَّث؟

• أريد أن أتحدَّث بتوسُّع قليلاً عن دور الإعلام في تعزيز الثَّقافة العربيَّة أو الهُوِيَّة العربيَّة لدى الشَّباب العربيِّ. فرؤوس الأموال العربيَّة كلّها تُحرك الإعلام العربيَّ، ومع ذلك لا يوجد أيَّة رؤية لتعزيز الثَّقافة العربيَّة لدى الشَّباب، لأنَّ البرامج الَّتي تُقدَّم مستوردة وتحمل أفكارًا غربيَّة، وتُقدَّم بقالب غربيٍّ، باستثناء اللُّغة أو اللَّهجة الَّتي تُقدَّم بها. والمفروض في الإعلام أن يستقطب الشَّباب من مختلف الجنسيّات العربيَّة، ضمن خطَّة واضحة لتقديم الأفكار في إطار القيم العربيَّة لا القيم والأفكار الغربيَّة، فضلاً عن الاهتمام بمناقشة قضايا الشَّباب العربيِّ بشكل جادّ.

• أرى وجود إشكاليَّة في التَّنشئة الأسريَّة. ففي البيت نحن نتعلَّم شيئًا، ثمَّ نخرج إلى المدرسة ونتعلَّم شيئًا آخر، وكذلك في الشَّارع والجامعة، وهكذا. فليس لدينا منهج حياتيٌّ واضح نؤمن به. فاليابان – وهي دولة متقدِّمة جدًا، لكنَّها عاشت ظروفًا أصعب بكثير مما عشنا – استطاعت أن تصبح قوَّة اقتصاديَّة ثالثة في العالم. والسَّبب أنَّه يوجد لديهم منهج حياتيٌّ واضح، في كلِّ مناحي الحياة.

• لا بدَّ من دعم المشاريع الثَّقافيَّة الشَّبابيَّة، سواء من مؤسَّسات المجتمع المدنيِّ أو من الدَّولة، فكلَّما زادت نسبة الرِّعاية لهذه المشاريع تتعزَّز نقاط القوَّة الثَّقافيَّة.

• يمكن أن نربط مفاهيم: القيم والثَّقافة والهُويَّة، بالعنف. لأنَّنا نناقش قضيَّة الشَّباب والعنف.

• هل نحن متَّفقون على هويَّة عربيَّة أم إسلاميَّة؟ فهذه المسألة من الممكن أن تكون مثار خلاف.

• الدِّين الإسلاميُّ وازع، يدفع الشَّخص إمَّا إلى التَّعريف بالهُويَّة الَّتي له، أو يوجِّهه نحو أشكال التَّسامح والمواطنة بشكلها الموضوعيِّ.

• لديَّ ملاحظة على المستوى القانونيِّ، فالإسلام هو دين الدَّولة، وهذه هي المادَّة الأولى من الدُّستور. وعندما يكون الإسلام هو دين الدَّولة، فهو عنصر مشترَك، في ظلِّ وجود أقليَّات من أديان أخرى. وهذا لا ينفي احترام الأقليَّات، ففي القوانين نفسها نجد ما يحمي هذه الأقليَّات.

• الإطار المرجعيُّ الَّذي هو الإسلام لا ينبغي أن يكون إطارًا دينيًّا فقط. بمعنى أن نحتضن أكبر عدد ممكن من كلِّ الأطياف الموجودة في داخل الوطن العربيِّ؛ إذ من الممكن أن نتحدَّث عن إطار حضاريٍّ أكبر. فالحضارة الإسلاميَّة شارك فيها أكثر من مكوِّن.

• عندما أقول إنَّ دين الدَّولة الإسلام، فهذا يعني وجود قوانين في كلِّ دولة، تراعي الأديان الأُخرى وتحترم حرِّيَّاتها. فلا يعني قولي أنا مسلم وأنَّ ديني هو الإسلام، أنَّني اعتديت على الدِّيانات الأُخرى.

• في الوقت الَّذي نقول فيه إنَّ الإسلام يحتوي على قيم التَّسامح وقبول الآخَر وكلّ القيم الإيجابيَّة، لكنَّني أرى أنَّ كلَّ هذه الخطاب الدِّينيِّ في العالم العربيِّ يُعدُّ أحد أسباب الاتِّجاه للعنف، سواء العنف بالقول أو العنف الفكريّ أو عدم قبول الآخَر. وهذه إشكاليَّة كبيرة جدًا.

• الخطاب الدِّينيّ على المنبر، أو في وسائل الإعلام يبقى بحاجة إلى تعديل.

• تعتبر الكلمة نقطة قوَّة الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة. وهناك مشاريع شبابيَّة تُرسِّخ ثقافة التَّعدُّد، وهذه المشاريع موجودة على الأرض في أكثر من دولة، وينبغي أن يتمَّ الاهتمام بهذه المشاريع، لأنَّها ترسِّخ الثَّقافة، وبخاصَّة مشروع المدن الثَّقافيَّة العربيَّة، الَّتي تعطي لكلِّ مدينة أو كلِّ دولة عربيَّة هُويَّتها الخاصَّة بها وتمنحها إضافة. لا بدَّ من تعزيز الهُويَّة من خلال المصداقيَّة في ما تتضمَّنه مناهج التَّعليم، وخاصَّة الجوانب التَّاريخيَّة.أمَّا فيما يتعلَّق بتوحيد المناهج، فقد أشار بعض المتحدِّثين إلى صعوبة اتِّخاذ قرارٍ سياسيّ. ولكن يمكن ذلك من خلال ضغوط وتوصيات المنتدى، والاتِّصالات مع الجامعة العربيَّة للاتِّفاق أو النَّظر في إيجاد كتاب واحد فقط يُدرَّس في جميع الدُّول العربيَّة، يتضمَّن موضوعات مختلفة تضعها الدُّول العربيَّة.بمعنى أن تختار الكويت موضوعًا أو موضوعين ليُدرَجا في هذا الكتاب. وتختار الأردنُّ موضوعًا أو موضوعين يُدرَجا في هذا الكتاب، وهكذا بالنِّسبة لجميع الدُّول العربيَّة، بحيث يدرس الطَّالب كتابًا موحَّدًا، يجد فيه موضوعًا من الأردنِّ، وموضوعًا من مصر، وموضوعًا من المغرب وموضوعًا من موريتانيا، وموضوعًا من الكويت، وهكذا... والكتاب نفسه تطرأ عليه تعديلات بمرور الوقت، مع ثبات المبدأ نفسه، وهو وجود هذا الكتاب الموحَّد، ولتكن مثلاً قصة من التَّاريخ أو من المجتمع، حتَّى يدرك الطَّالب أنَّ هنالك دولاً عربيَّة تُسمّى كذا وكذا وكذا، ومن خلال الموضوع أو الموضوعين المدرجين يستطيع أن يتعرَّف على الشُّعوب العربيَّة الأخرى.

• يوجد مشروع عواصم الثَّقافة العربيَّة. وهذا المشروع يُعدُّ من أهمِّ عناصر القوَّة، ومن الممكن أن يكون له أكثر من شكل وامتداد في كلِّ العواصم العربيَّة، وكلِّ الدُّول إذا اهتممنا به أكثر.

• ما دور الشَّباب العربيِّ في الحدِّ من ظاهرة العنف، بعد هذه الحوارات؟ وما هي مطالب الشَّباب العربيِّ حتَّى يوجد لديَّ مواطنة واعتزاز بهُويَّتي؟ وكيف لي أن أعمِّق ثقافتي العربيَّة؟ وكيف يمكن أن نلخص الحديث الذي تحدثنا به؟

• ترسيخ المواطنة وتعزيزها لدى الشَّباب العربيِّ من أهمِّ الأمور الَّتي سوف تؤدِّي إلى محاربة العنف. ولا بدَّ من وجود الآليَّات على مستوى الدَّولة، وعلى مستوى مؤسَّسات المجتمع المدنيِّ، وعلى مستوى الأفراد. فعلى الدَّولة أن تكون هي الرَّاعي الأساسيّ لقيم المواطنة، من خلال المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات. فترسيخ قيم المواطنة وتعزيزها كفيل بالحدِّ من ظاهرة العنف، من خلال العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين كلِّ المواطنين. وعلى مستوى القرار السياسي ينبغي إعطاء دور لمؤسَّسات المجتمع المدنيِّ في نشر قيم المواطنة وتعزيزها، وإشراك الشَّباب في صناعة القرار.وتفعيل المشاركة في المؤتمرات والحوارات والنَّدوات وكلِّ البرامج الشَّبابيَّة. وأن يكون هناك حلقات وصل ما بين المسؤول على مستوى الدُّول العربيَّة كلّها وبين فئة الشَّباب، وإيجاد قنوات الحوار واستمراريَّته وديمومته. وهذه القنوات لا تكون مقتصرة فقط على القضايا الثَّانويَّة، بل تكون أيضًا في القضايا الأساسيَّة والرَّئيسيَّة فيما يتعلَّق بمصير مستقبل الشَّباب العربيّ. أمّا على مستوى الأفراد، فإنَّ الموقف يفرض علينا كشباب عربيٍّ، أن نكون واعين بحقوقنا وواجباتنا، ومنتمين لأمَّتنا، من خلال القيام بما تتطلَّبه منّا قيم المواطنة، فالحبُّ والانتماء والولاء، هي المحرِّك للقيام بواجبنا اتجاه الأمَّة.

الملاحق

١- مقالات حول مؤتمر «الشباب وظاهرة العنف»

٢- برنامج الموتمر

٣- قائمة المشاركين

٤- من ألبوم المؤتمر (صور)

٥- مطبوعات المنتدى

ملحق (١)

مقالات حول مؤتمر «الشباب وظاهرة العنف»

(أ)

مؤتمر الشَّباب والعنف: الأسرة أوَّل المحرِّضين*

أة. منى عـلام

في محاولة لدراسة ظاهرة العنف المنتشر بين شباب المنطقة العربيَّة، نظم منتدى الفكر العربيِّ مؤتمر «**الشَّباب وظاهرة العنف**» بمكتبة الإسكندريَّة في الفترة من ١٣ - ١٥ ديسمبر ٢٠١٠، بحضور ممثِّلين عن تسع دول عربيَّة هي: مصر والأردنّ والبحرين والسُّعوديَّة وعُمان وفلسطين وقطر والكويت واليمن، أغلبهم من الشَّباب النّاشطين في العمل المدنيِّ.

وشارك في المؤتمر الشَّبابي الرَّابع للمنتدى مجموعةٌ من المثقَفين المصريين والعرب من بينهم د.**علي الدين هلال** أستاذ العلوم السِّياسيَّة بجامعة القاهرة، والسَّفير **هاني خلّاف** مندوب مصر الأسبق لدى جامعة الدُّول العربيَّة، ود. **ماجد موريس** استشاري الطبِّ النَّفسيِّ بمعهد الطِّبِّ النَّفسيِّ بدمنهور، و د.**نائلة إبراهيم عمارة** أستاذ الإعلام ووكيلة كليَّة الآداب جامعة حلوان، ومن الأردن د.**همام غصيب** أمين عام منتدى الفكر العربيِّ، و د.**مأمون نور الدِّين** وزير الشَّباب والرِّياضة الأردني سابقًا، ومن السُّعودية د.**عبد الله الصَّالح العثيمين** الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالميَّة.

---

* موقع *www.onislam.net* (٢٠١٠/١٢/١٧).

تناول المؤتمر على مدار أيّامه الثَّلاثة، خمسة محاور، ناقش **الأوَّل** منها العنف الأسري والطُّلابي والمجتمعي والفقر والبطالة والتَّهميش والإقصاء، بينما تناول **الثَّاني** المخدِّرات والمُسْكِرات والتَّدخين والأمراض الجنسيَّة. وفي المحور **الثَّالث** نوقشت الصِّحَّة النَّفسيَّة وثقافة الخوف، أمَّا المحور **الرَّابع** فقد تناول التَّمكين التِّكنولوجيَّ وتوظيفه في محاربة العنف. وناقش المحور الخامس الشَّباب والمواطنة والهُويَّة والثَّقافة، وذلك بهدف دراسة ظاهرة العنف بين الشَّباب بطريقة علميَّة، وبحث أسبابها والوصول إلى حلول يمكن من خلالها مواجهتها، والحدّ من انتشارها بين الشَّباب العربيِّ.

الشَّباب والعنف .. علاقة خاصَّة

في كلمته عن العنف أوضح د. **علي الدِّين هلال** قائلاً: إنه ظاهرة موجودة في الواقع، ولا يخلو مجتمع من أشكالها المختلفة، ولكنَّ المثير للقلق أنْ تزيد نسبته في مجتمع ما بشكل كبير، وأضاف أنَّ العنف يحمل في جوهره معاني الاقتحام والتَّعدِّي على الآخَر بالقول أو بالفعل، وقد يكون فرديًّا أو جماعيًّا، وهناك نوع ثالث هو العنف الهيكليُّ: فأوضاعٌ اجتماعيَّة مثل الفقر والبطالة تُعدُّ شكلاً من أشكال العنف ضدَّ الفقراء، وضدَّ مَن لا يجدون فرصةَ عمل، ويمكن تسمية هذا النوع أيضًا بالعنف الصَّامت.

وأكَّد هلال أنَّ ظاهرة العنف ليست قاصرة على فئة الشَّباب فقط، ولكن هناك - في رأيه- علاقة خاصَّة تربط بين الشَّباب والعنف، وذلك بناء على مجموعة من الأسباب؛ أوَّلها ديموجرافيّ؛ حيث إنَّ الشَّباب يمثِّلون حاليًّا ما يقرب من ثلثي عدد السُّكّان في الوطن العربيِّ، وهو وضعٌ سوف يستمرُّ سنوات طويلةً مع استمرار الطَّفرة السُّكّانيَّة، وثانيها أنَّ الشَّباب يشكِّلون الشَّريحة الَّتي تتميَّز بالفتوَّة والحركة، ومن ثَمَّ

فهم الأكثر قدرة على ممارسة العنف، وثالثها ازدياد إمكانيَّة تضليلهم بحكم حداثة السِّنِّ وقلَّة الخبرة والميل إلى التَّمرُّد، مشيرًا إلى أنَّ ما يعيشه المجتمع العربيُّ من أزمات سياسيَّة واجتماعيَّة ينعكس على الشَّباب ويجعلهم يشعرون بالتَّهميش السِّياسيِّ والاجتماعيِّ/ ما قد يدفعهم إلى اللُّجوء للعنف.

دائرة العنف اللانهائيَّة

وعن العلاقة بين الإدمان والعنف؛ قدَّم د. **ماجد موريس** ورقة بحثيَّة بعنوان «العنف وعلاقته بالاضطرابات النَّفسيَّة والجنسيَّة والإدمان» أوضح فيها أشكال العنف النّاتجة عن الإدمان، ومنها العنف المدرسيّ بين الطَّلبة، والعنف المنزليّ بين الزَّوجين، أو سوء معاملة الأطفال، وحوادث الطُّرق والسَّيّارات، والانضمام لعصابات الجريمة المنظَّمة نتيجة الضُّلوع في السَّرقة أو تحت إجبار الحاجة الماديَّة، أو العمل في توزيع المادَّة لحساب التّاجر، وكذلك الانضمام للجماعات الإرهابيَّة الَّتي تستقطب الفئات المهمَّشة من المجتمع، بالإضافة إلى حالات الانتحار والقتل العمد والخطأ بكافَّة الوسائل.

وأشار في ورقته إلى وجود ارتباط بين الإدمان والمجتمع الأبويِّ السُّلطويِّ الَّذي يشيع في الجماهير الرُّوح الاعتماديَّة التَّواكليَّة، بالإضافة إلى الخوف. وهي العوامل الَّتي تُرسِّخ لدى الأشخاص حالة «الذَّات البطوليَّة» الَّتي تعتمد على العاطفة الجيّاشة، وتؤجِّل الأحكام المنطقيَّة، ويتَّسم سلوكها بالاستهلاكيَّة والرَّغبة في اللَّذَّة والمكافأة السَّريعة والمباشِرة، وكلُّ هذه ليست إلّا آليّات تدفع لتفاقم الظَّاهرة.

أمَّا الورقة الَّتي قدمها د. **عمار علي حسن** الباحث في علم الاجتماع السِّياسي، فجاءت تحت عنوان: «الهُويَّة وثقافة العنف لدى الشَّباب.. تصوُّر مفاهيميّ»، وأشار

فيها إلى وجود ثلاثة عوامل مهمَّة تمسُّ تأثير قضيَّة الهُويَّة على إتيان الشَّباب بتصرُّفات عنيفة؛ وهي تنامي أزمة الهُويَّة، لا سيَّما في المجتمعات الَّتي يُغلِّب فيها بعضُ الأفراد انتماءاتهم العشائريَّة والقبَليَّة والطَّائفيَّة على الانتماء للمجتمع الأوَّل أو الدَّولة، ممّا يؤدِّي إلى خلق تنازُع نفسيٍّ داخل الشَّخص بين هذين الانتماءين، ولا يقف الأمر عند حدِّ الصراع بين الحضريِّ والرِّيفيِّ أو العصريَّة والتَّقليديَّة، أو الفجوة بين الحاكم والمحكومين، بل قد يصل إلى حدِّ الصِّراع المفتوح بين الثَّقافة الوطنيَّة والثَّقافات الوافدة، وبين الخصوصيَّة الذَّاتيَّة والسَّيطرة الأجنبيَّة. أمَّا العامل الثّاني فيتمثَّل في تأثير العولمة وتدفُّق المعلومات والقيم والأفكار والسِّلع بلا هوادة، وتوحُّش أنماط الاستهلاك واتِّساع رقعة الفقر والتَّهميش، ممَّا يؤدِّي إلى فتح أبوابٍ جديدة للعنف، ويتمثَّل العامل الثّالث في حمولات الثَّقافة الدِّينيَّة واعتماد الجماعات الَّتي تمارس العنف على تأويلات فاسدة للنِّص الدِّيني.

وأضاف د. **عمار** أنَّ الشباب العربيَّ يجد نفسه مدفوعًا إلى الانزلاق لارتكاب العنف بشتَّى صوره الرَّمزيَّة واللَّفظيَّة والماديَّة نتيجة تفشِّي البطالة، وإصرار الكبار على ممارسة الوصاية على الشَّباب في نظامٍ أبويٍّ جامد، وانسداد الأفق السِّياسيِّ واستشراء الفساد والشُّعور بالقهر والظُّلم والهوان حيال العالم الخارجيِّ.

أمّا د. **نائلة إبراهيم عمارة** فقدمت ورقة بعنوان: «التَّشبيك والتَّواصل والتَّوعية الإعلاميَّة في إطار ظاهرة العنف عند الشَّباب» أكَّدت فيها أهمِّيَّة توظيف مواقع التَّشبيك الاجتماعيّ من قبل منظَّمات المجتمع المدنيِّ المعنيَّة بقضايا العنف، والتَّركيز بشكل محوريٍّ على قطاع الشَّباب الَّذي لم يلق الاهتمام نفسه الَّذي نال قطاع المرأة والطِّفل.

الهروب من الواقع

وقد شهدت الجلسة الختاميَّة للمؤتمر، عرض خلاصة المناقشات الَّتي دارت على مدار أيَّام المؤتمر الثَّلاثة، وتضمَّنت رؤية المشاركين عن أسباب انتشار ظاهرة العنف بين الشَّباب العربيِّ، والَّتي كان من أهمِّها غياب الدِّيمقراطيَّة ومن ثَمَّ انعدام فرص المشاركة في صنع القرار وانتهاك حقوق المواطنين لضرورات الأمن والطَّوارئ وغيرها، ومشكلات الفقر والبطالة، بالإضافة إلى الخلل الَّذي أصاب التَّنشئة الاجتماعيَّة، سواء من جانب الأسرة أو المدرسة أو غيرها من المؤسَّسات الَّتي من المفترض أن تؤدِّي دورًا في هذه العمليَّة؛ فعلى مستوى الأسرة الَّتي تعدُّ المسؤولة الأولى عن التَّنشئة الاجتماعيَّة للفرد، نجد غياب الحوار بين الآباء والأبناء، ممَّا يؤدِّي إلى الكبت والإحباط، واستخدام أساليب خاطئة في التَّربية تتَّسم بالقسوة والتَّمييز بين الأبناء على أساس الجنس أو السِّنِّ أو لاعتبارات أخرى، وحثّ الطِّفل على العنف من جانب الأسرة لحماية شخصيَّته، إضافة إلى السُّلطويَّة الَّتي يمارسها الآباء على أبنائهم، وعدم إتاحة الفرصة لهم للتَّعبير عن آرائهم وأفكارهم بحرِّيَّة، وهذا الطَّابع السُّلطويّ يمارسه أيضًا المعلم في المدرسة ضدَّ الطَّلبة، ووجود مناهج ونظم تعليميَّة قائمة على التَّلقين، ممَّا يجعل الشابَّ مادَّة خامًا للأفكار المتطرِّفة، ويُنتج شخصيَّة قابلة للتَّطرُّف ورفض الآخر.

ومن بين الأسباب أيضًا غياب أو قلَّة المشاريع الَّتي تستوعب طاقات الشَّباب بشكل إيجابيٍّ على المستويين الوطنيِّ والعربيِّ، وقد أدَّى كلُّ ذلك إلى نوع من الكبت لدى الشَّباب فلجأوا إلى المجتمع الافتراضيِّ عبر شبكة الإنترنت لبث أفكارهم وهمومهم الشَّخصيَّة وآرائهم.

أمَّا الحالة الدِّينيَّة، فنجد إمَّا تشدُّدًا أو تطرُّفًا أو عدم قبول للآخَر، وإمَّا ضعف الوازع الدِّينيِّ والاتِّجاه إلى التَّغريب، ويكون الإعلام في كثير من الحالات محرِّضًا على العنف من خلال ما يقدِّمه من برامج تغذِّي التَّعصُّب والتَّفكير الأحاديَّ بدلاً من ترسيخ قيمة التَّسامح واحترام الآخَر.

الحرِّيَّة السِّياسيَّة هي الحلُّ

أمَّا الحلول الَّتي اقترحها المشاركون لمواجهة ظاهرة العنف، فتتلخَّص في ضرورة اعتماد لغة الحوار داخل الأسرة، سواء بين الآباء والأبناء أو بين الأبناء بعضهم بعضًا، وضرورة الاهتمام بتأهيل المعلِّم، والحرص على وجود الأخصائيِّ النَّفسيِّ القادر على توجيه الطَّلبة، خاصة في فترة المراهقة. وكذلك إقامة مشاريع يمكن للشَّباب أن يمارسوا من خلالها أنشطة اجتماعيَّة ورياضيَّة، وتفعيل نصوص المواطنة الموجودة في الدَّساتير العربيَّة، والاهتمام بالعمل على إشراك الشَّباب في صنع القرار، وتوفير القنوات الشَّرعيَّة الَّتي تتيح لهم التَّعبير عن آرائهم بشكل سلميٍّ، والعمل على نشر قيم التَّسامح وقبول الآخَر من خلال التَّعليم والإعلام.

وحذر المشاركون من خطورة وجود الحواجز الاجتماعيَّة والضَّائقات الاقتصاديَّة، والعوائق السِّياسيَّة الَّتي تحول دون تفريغ طاقات الشَّباب الهائلة، وبالتَّالي تتحوَّل هذه الطَّاقات إلى إحباط وغضب، مما يؤدِّي في النِّهاية إلى لجوء الشَّباب إلى العنف.

وجدير بالذِّكر أنَّ منتدى الفكر العربيِّ عقد خلال السَّنوات الخمس الماضية ثلاثة مؤتمرات شبابيَّة، هي على الترتيب: «**الشَّباب العربيُّ وتحدِّيات المستقبل**» عام ٢٠٠٤، و«**الشَّباب العربيّ في المهجر**» عام ٢٠٠٦، و«**نحو تطوير مؤسَّسات العمل الشَّبابي العربيّ**» عام ٢٠٠٨.

ومنتدى الفكر العربي – كما يعرفه القائمون عليه – هو منظمة فكريَّة عربيَّة غير حكوميَّة، تأسَّست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمَّة العربيّ الحادي عشر في عمَّان. ويهدف المنتدى – الَّذي يرأسه سموّ الأمير **الحسن بن طلال**، ويتَّخذ من العاصمة الأردنيَّة عمَّان مقرًّا لأمانته العامَّة – إلى بلورة فكر عربيٍّ معاصر نحو قضايا الوحدة والتَّنمية والأمن القوميِّ والتَّحرُّر والتَّقدُّم.

(ب)

الشباب وظاهرة العنف: المستقبل العربي مطروحًا في مؤتمر

أة. مها عبد الفتاح *

الشَّباب هو المستقبل. ويا له من فارق أنْ يُناقش الكبار مشكلات الشَّباب من فوق رؤوس الشَّباب، وأن يناقش الشَّباب مشكلات الشَّباب. فهذا مؤتمر أُريد له أن يكون منهم ولهم، وقد حرص من أعدّوا له من منتدى الفكر العربيِّ ومن مكتبة الإسكندريَّة على أن يكون للشَّباب الدَّور الرَّئيس، والأولويَّة في كلِّ مجرياته. فالإعداد والتَّنظيم تولَّاه الكبار بمسؤوليَّة الخبرة وأهميَّة التَّجربة: أ. د. **همام غصيب** الأمين العام لمنتدى الفكر العربيِّ، ود. **محسن يوسف** مستشار مدير مكتبة الإسكندريَّة للمشروعات الخاصَّة. ولم يكن من دور للكبار من الخبراء والمتخصِّصين غير تقديم أوراق المؤتمر، وتحديد رؤوس الموضوعات المطروحة، أمَّا فرص الرأي والنِّقاش والحوار، وتشخيص العِلل والتَّوصُّل للنَّتائج والحلول، فتُركت شبه كاملة للشَّباب العربيِّ المشارك، فالأولويَّة لهم في إبداء الرَّأي والنِّقاش والحوار في الجلسات العامَّة، وفي محاور العمل، مع توجيه طفيف أو تعقيب قصير للحضور من خارج دائرة الشَّباب. لذا جدير بهذا المؤتمر أن يُنسب إلى الشَّباب. والملاحظ أنَّ معظم الخبراء ممَّن تولَّوا زمام المحاور

* جريدة «**أخبار اليوم**» القاهريّة (٢٠١٠/١٢/١٧).

الخمسة كانوا مقاربين في العمر لمرحلة الشَّباب، فكان التَّجانس واضحًا بين المِنصَّة والحضور في المحاور الخمسة.

وقد خُصِّص المحور الأوَّل للعنف الأسري والمجتمعيّ، وتناول أثر قضايا الفقر والبطالة والتَّهميش والإقصاء والإحباط. والمحور الثَّاني كان مخصَّصًا لتأثير المخدِّرات والمُسكِرات والتَّدخين والأمراض الجنسيَّة. والمحور الثَّالث للصِّحَّة النَّفسيَّة وثقافة الخوف. والمحور الرَّابع للتِّكنولوجيا وتوظيفها ضدَّ العنف من خلال شبكات التَّواصل والمتابعة والتَّوعية الإعلاميَّة. وتناول المحور الخامس: المواطنة والهوية والثقافة. والمؤتمر نتاج تلاقٍ فكريٍّ وتوافقٍ في رسالتي هاتين المؤسَّستين، وربما هما الأهمّ فكريًّا في عالمنا العربيِّ: منتدى الفكر العربيِّ وقد مضى على تأسيسه ثلاثون عامًا، ومكتبة الإسكندريَّة العملاقة، وهي في الثَّامنة من عمرٍ مديدٍ. والاهتمام المشترك لهاتين المؤسَّستين بالشباب متأصِّل في رسالتيهما، فمكتبة الإسكندريَّة تجسِّد هذه الرِّسالة عمليًّا؛ إذ دومًا ما يفخر د. إسماعيل سراج الدين بأنَّ القائمين على المكتبة ممَّن تعدَّوا سِنَّ الشَّباب لا يزيدون على ٢٠٪ فقط وأنَّ ٨٠٪ من مجمل الوظائف يتولّاها شباب أعمارهم في العشرينيّات والثَّلاثينيَّات، وهم المحرِّك الحقيقيُّ لدولاب العمل في ذلك الصَّرح الَّذي نفخر به.

إنَّ عصرنا هذا بحاجة أكبر إلى إتاحة الفرصة أمام الشَّباب، ليس فقط لأنَّهم المستقبل، بل لقدرتهم على التَّكيُّف بسهولة مع طفرات العلم الحديث والتِّكنولوجيا المتجدِّدة دومًا، فضلاً عن استعدادهم الطَّبيعيِّ للابتكار والإبداع. وقد جسَّد المؤتمر هذه الدعوة عمليًّا، وهي دعوة كثيرًا ما تتردَّد وقليلاً ما تتحقَّق؛ بمعنى أنَّه فتح المجال واسعًا أمام الشَّباب، وأتاح فرص مشاركتهم الفعَّالة، وهو ما حدث تمامًا نتيجة تلاقي أهمِّ مؤسَّستي فكر في العالم العربيِّ: مكتبة الإسكندريَّة العملاقة، ومنتدى الفكر العربيِّ، الَّذي أسَّسه منذ نحو ثلاثين عامًا، عددٌ من خيرة مفكري العالم العربيِّ في مقدمتهم سموّ الأمير **الحسن بن طلال**، ليكون منظَّمة عربيَّة غير

حكوميَّة أقرب ما تكون إلى منبرٍ حرٍّ، وآليَّةٍ تفحص قضايا العالم العربيِّ وأحواله، وإيجاد الحلول للتَّحدِّيات الَّتي تواجهه، وطرحها تباعًا في ندوات ومؤتمرات، لبلورة أفكار وتوفير خيارات لمن بيدهم القرار. ويرأس مجلسَ أمناء منتدى الفكر العربيِّ سموُّ الأمير الحسن؛المهموم بالحاضر، القلق على المستقبل العربيِّ؛ هذا الأمير الَّذي اعترف العالَمُ الخارجيُّ بقيمته الفكرية ومكانته الثَّقافية، حتَّى إنَّه كان رئيسًا منتخَبًا لنادي روما، الَّذي له مكانته بين كافَّة منتديات الفكر الأوروبيِّ والعالميِّ. وقد أتاحت التِّكنولوجيا الحديثة لمن أعاقته الظُّروف عن الحضور، فرصةَ المشاركة والتَّواصل الإلكترونيِّ بالصَّوت والصُّورة، فتمكَّن الجميع من المشاركة والتَّواصل مع سموِّ الأمير الحسن مدَّةً امتدَّت نحو ساعتين، تساءل خلالها عن النَّظرة الشُّمولية للمستقبل، وعن العقل العربيِّ المسؤول الَّذي يفكر للمدى المتوسط والبعيد؟ وممّا قاله سموّه: مَن لنا بمن يدعو مثل فرانكلين روزفلت عام ١٩٤٠ عندما وعد قومه قائلاً: نحن قادرون على بناء شباب للمستقبل، وقد فعل ووفى.. ألا من يدعو في عالمنا لمثل ذلك ويفعل، ألا من رؤية مستقبليَّة للمجموعة العربيَّة؟

أما د.علي الدين هلال، فقد ألقى كلمته في أوَّل الأيَّام الثَّلاثة للمؤتمر، وجاءت كلمته بنهج حديث جدًّا في مخاطبة الشَّباب، فحقَّق معنى التَّفاعل بينه وبين الشَّباب، فلم يفرض آراءه عليهم، أو يلجأ إلى أسلوب التَّلقين، بل اتَّخذ نهجًا يقوم على الحوار، واستطلاع آرائهم والتَّفكير المشترَك بين يُعلِّم ومن يتعلَّم، فكانت كلمتُه مفعمة بالحياة. واستبقي د. هلال ثلث السَّاعة الأخير ليسترسل فيما أراد إيصاله للشَّباب.

وأهم ما اتُّفق عليه من توصيات، الإبقاء على التَّواصل الإلكترونيِّ بين الشَّباب أنفسهم من ناحية، ومع الأمانة العامة لمنتدى الفكر العربيِّ من ناحية ثانية، تبادلاً للرَّأي، وللملاحظات، فلا ينقطع الاهتمام بموضوع العنف مع انتهاء المؤتمر، ولا يضيع جُهدٌ بُذِل، بل يُبنى عليه.

(ج)

الشباب وظاهرة العنف .. في حوارات منتدى الفكر العربي

أ. نصـوح المجـالي*

على مدى عدَّة أيام، وبدعوة من منتدى الفكر العربيِّ، شاركتُ في حوار فكريٍّ أداره المنتدى في مدينة الإسكندريَّة، حول ظاهرة العنف لدى الشَّباب: مظاهره، ودوافعه وأبعاده. وهل هو ظاهرة مُنبتَّة أم نتيجة لمتغيِّرات وضغوط وتراكمات معاشة، أحيت هذه النزعة التي اوحت - بسبب شدة العنف وتكراره - كأنَّ المزاج العام في بلادنا ومزاج الشَّباب بخاصَّة قد تغيّر، ونحا نحو التَّمرُّد والغضب. وهي ظاهرة تستحقُّ الاهتمام. وقد تدارسها المنتدى بطريقة الحوار المفتوح، فقام بتوزيع الموضوعات على محاور متعدِّدة، كلُّ محور منها يتناول جانبًا من جوانب المشكلة، بإشراف عدد من الخبراء، لتسهيل عمليَّة تنظيم الحوار وإيصاله إلى غايته.

كان مسرح اللِّقاء مكتبة الإسكندريَّة؛ ذلك الصَّرح الثَّقافي الَّذي يرمز إلى دورٍ ثقافيٍّ مصريٍّ معاصرٍ ورائد، وإلى تراث فكريٍّ وحضاريٍّ عريق. وقد شارك في اللِّقاء والحوار أساتذة وطلبة من مختلف البلدان العربيَّة، وكانت الهموم والتَّجارب متقاربة ومتشابهة في العالم العربيِّ، ممَّا يسَّر عمليَّة النَّقد والتَّحليل واستخلاص النَّتائج. غير أنَّ العنف عُدّ خروجًا على الطَّبيعة الإنسانيَّة. وقد عُزِيَ

* جريدة «**الرأي**» الأردنيّة (٢٠١٠/١٢/٢١).

بعضه لخلل يصيب النُّفوس كالامراض النَّفسية، أو الانحراف الَّذي تُسبِّبه المخدِّرات والمسكرات والأمراض الجنسيَّة، وهذا في جانب منه. لكنَّ معظمه ناتج عن عوامل وضغوط اجتماعيَّة وأحوال طارئة، وذروة ذلك ما ينتج عن حالات الغزو والاحتلال وما يرافقها من تفتيت للمجتمعات، وتشريد للعائلات، وتدمير للقيم، وضياع لمصادر أرزاق الناس، وما ينتج عن الصِّراعات من مآسٍ داخلية، تولِّد أشكالاً من القهر والغضب والإحباط، تدفع الكثيرين إلى التَّطرُّف الطَّائفيِّ أو العرقيِّ، أو التَّطرُّف الدِّينيِّ، وتكون الحصيلةُ توظيف الغضب في سياقات سياسيَّة وعصبيَّات تتغذَّى على العنف والدَّم، ورفض الآخَر، بما فيه الآخَر القريب الَّذي يكون عادة ضحيَّة ما يجري. يُضاف لذلك الخللُ الَّذي تُسبِّبه النِّزاعات والصِّراعات وما ينتج عنها من هجراتٍ من الوطنِ ومآسي الاغتراب، وتفتت الأُسَر وتفشِّي الفقر والبطالة، وخاصَّة عندما يكون حجم الهجرات بالملايين؛ إذ تصبح الهجرات مُراكِمات للإحباط والقهر الَّذي يُشكِّل نارًا تأكل أصحابها، وتصيب مَن حولهم، وتعقِّد الحياة والنُّفوس سواء بسواء.

غير أنَّ العنف في أوساط الشَّباب - وهم الأغلبية في المجتمع - له مصادر أخرى، أهمُّها: التَّنشئة الخاطئة، وتآكل دور مراكز التَّنشئة، والأسرة، والمدرسة، وتراجع القيم والضَّوابط الاجتماعيَّة. فالأسرة ألقت عبء التَّوجيه على المدرسة، والمدرسة اكتظَّت بالطَّلبة حتى لم يعد المعلِّم قادرًا على التَّواصل الجيِّد مع الطَّلبة، وهو الَّذي يرزح تحت همومه الخاصَّة. ومؤسَّسة التَّربية ما زالت في حيرة بين الأسلوب الأبويِّ القديم الَّذي يُوصف بالقسوة، والأسلوب الحديث الذي يفتقد للضَّبط والمتغيِّرات الَّتي سلبت المدرسة والمدرّس قدرتهما على الضَّبط والتَّوجيه.. كما أنَّ القسوة في التَّوجيه ما زالت سائدة في البيت والمدرسة، والتَّلقينُ والحفظ قيَّد حرِّيَّة التَّفكير، وظروف الطَّوارئ الَّتي صادرت حرِّيَّة النّاس في كثير من مجتمعاتنا، وما رافقها من سهولة انتهاك حقوق المواطنين، كلّها عوامل مولدة أيضًا للغضب

والإحباط ، يضاف إليها الإحباط الاقتصاديُّ الَّذي يولِّد الفقر والبطالة، ليضيف للصُّورة الاجتماعيَّة والبيئة المعاشة ضغوطًا فوق الضُّغوط، فيصبح الغضب السَّريع والعنف شعلة الإحباط وشرارته في المجتمع.

وتناول الحوار جوانب تتعلَّق بالأخطار الخارجيَّة والقلق على الهُويَّة، ووسائل حديثة لمواجهة هذه الآفة بالتَّوجيه والإعلام، ووسائل التقنيَّة الحديثة، الَّتي تتيح مجالات واسعة للحوار الاجتماعيِّ من خلال التَّشبيك والتَّواصل التِّكنولوجيِّ.

والعنف لدى الشَّباب موضوع واسع فيه الكثير من الآراء والاجتهادات، وليس هناك وصفة مضمونة لمواجهة العنف المتزايد في مجتمعاتنا وأوساط شبابنا، فهو نتاج الخلل الَّذي أصاب مجتمعاتنا وحياتنا، بسبب المتغيِّرات السَّريعة المتراكمة في الحقب القليلة الماضية.

لقد حظي المؤتمر بمداخلة مطوَّلة عبر الأقمار والفيديو من سموِّ الأمير الحسن رئيس منتدى الفكر، حاور فيها المشاركين، وأضاء جوانب مهمَّة تتَّصل بموضوع الحوار، ركَّز فيها الأمير على البُعد الإنسانيِّ في العلاقات الدّوليَّة والإنسانيَّة، والضُّغوط الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، والمتغيِّرات المتعاقبة، وبُعد القيم الَّذي يؤدِّي تآكلها وغيابها في سلوك الأمم وسياساتها وصراعاتها إلى تفاقم المآسي، والعنف والضرر الَّذي يلحق بالبشر والبيئة المحيطة بهم. فالعنف يطرق أبواب مجتمعاتنا، وأسبابه متعدِّدة، ولا بدَّ من إيجاد الوسائل لفك أسراره ودرء خطره، ويبدو ذلك التَّحدي مطروحًا، ليس فقط على الشباب ومراكز التَّنشئة وأجهزة الأمن ودوائر القانون وأصحاب الفكر، بل على شعوبنا ومجتمعاتنا الحديثة أيضًا.

(د)
الشباب العربي أمل الأمة ومستقبلها

أ. أشرف الشنيكات*

تشرَّفت الأسبوع الماضي بأن أكون ضمن الوفد الأردني الرسمي المشارك في مؤتمر: «الشَّباب وظاهرة العنف»، الَّذي أقيم في مكتبة الإسكندرية بجمهورية مصر العربيَّة، بتنظيم من منتدى الفكر العربيِّ، تحت رعاية صاحب السُّموِّ الملكيِّ الأمير **الحسن بن طلال** المعظَّم، وبمشاركة حوالي مائة شاب وفتاة من معظم الدُّول العربيَّة. وخلال أيّام المؤتمر الأربعة، جرى حوار بيني وبين العديد من الشَّباب العربيِّ حول قضيَّة المؤتمر الرَّئيسة، وهي ظاهرة العنف. كما جرى حوار حول الكثير من القضايا، ذات العلاقة بالأوضاع السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة، والهموم الَّتي تشغل تفكير الشُّعوب العربيَّة. وقد لمست انتماءً عربيًّا كبيرًا لدى المتحاورين، وشعورًا نبيلاً بالقضايا القوميَّة، وحرصًا على الأبعاد الأمنية للأقطار العربيَّة، ورغبة مُلحَّة بضرورة إزالة كافة العقبات أمام ازدهار الشعوب وتَقدُّمها.

أعترف أن شهادتي بحق جيل الشَّباب «مجروحة» لكوني واحدًا من هؤلاء الشَّباب، وبالتَّالي، فحكمي ليس محايدًا. لكنَّني أؤكِّد لكم جميعًا أنَّ جيل الشَّباب هو جيل التَّغيير والنُّهوض، فقد عرف أخطاء مَن سبقوه، ويعرف ما يخبِّئه له المستقبل،

---

* رئيس منتدى أبناء البلقاء الثقافي، ورئيس تحرير موقع أبناء البلقاء الإخباري.

ويسير على طريقٍ واضحِ المعالم صوب مستقبلٍ جميلٍ ورائع. وأستذكر هنا ما قاله لي العالِمُ العربيُّ الكبيرُ الدكتور فاروق الباز «إنَّ الشُّعوب العربيَّة تعتمد عليكم في تغيير وضعها للأفضل.. إنَّ وجودكم اليوم في مكتبة الإسكندريَّة هو دليل رفضكم للواقع وسعيكم للتَّغيير».

لقد قدم جميع المشاركين أوراقَ عملٍ ومداخلات رائعة، نالت إعجاب جميع الحضور من وزراء وسفراء وكبار الشخصيات، وهو ما يبشِّر بقدوم الأمل الحقيقيِّ لأمَّتنا العربيَّة الكبيرة. وإذا كانت فعاليَّات المؤتمر قد انتهت، إلَّا أنَّ تواصلنا الشَّبابيَّ العربيَّ لم ينتهِ، بل ابتدأ منذ الآن، تمهيدًا لعملٍ عربيٍّ شبابيٍّ قادم، لتحقيق وحدة عربيَّة شبابيَّة، وإزالة الحدود المصطَنَعة الَّتي أوجدها الاستعمار بين الأشقّاء. وستشهد الأيّام القادمة - بإذن الله - أُولى الفعاليَّات الشَّبابية العربيَّة المشترَكة، ومضاعَفَة العمل العربيِّ نحو مستقبل الأمَّة المشرق إن شاء الله.

ولا يفوتني أن أتقدَّم بالشُّكر الجزيل لجميع من ساهم في إقامة هذا اللِّقاء العربيِّ الشَّبابيِّ المشترَك، وعلى رأسهم صاحب السُّموِّ الملكيِّ الأمير **الحسن بن طلال** المعظَّم رئيس منتدى الفكر العربيِّ، والدكتور **همام غصيب** الأمين العام للمؤتمر، والدكتور إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية، وجميع المشاركين من الشَّباب والفتيات.

ملحق (٢)

برنامج مؤتمر «الشباب وظاهرة العنف»

برعاية صاحب السّموّ الملكيّ الأمير الحسن بن طلال

المؤتمر الشّبابيّ الرّابع ٢٠١٠

"الشّبـــاب وظاهرة العنـــف"

مكتبة الإسكندريّة؛ ١٣-٢٠١٠/١٢/١٥

البـــــرنـــــامَـــج

اليوم الأوّل: الإثنين ٢٠١٠/١٢/١٣ (مكتبة الإسكندريّة)	
٩:٣٠-١٠:٣٠	**الجلسة الافتتاحيّة** (القاعة رقم ١)
	* كلمة مكتبة مدير الإسكندريّة: **السفيرة هاجر الإسلامبولي** * كلمة المشـــــاركين: **الشّريفة نور بنت علي** * كلمة أمين عام المنتدى: **د. هُمام غَصيب**
١٠:٣٠-١١:٠٠	**استراحة قهوة وشاي**
١١:٠٠-١٢:٣٠	**الجلسة الأولى:** ورقة المؤتمر الرّئيسيّة: (القاعة رقم ١)
	المتحدّث: **د. علي الدّين هلال (مصر)** وزير الشّباب والرّياضة السّابق

	أمين الإعلام في الحزب الوطنيّ الديمقراطيّ يُقدّمُه: **د. هاني خلاّف** (مصر)
١٢:٣٠-١٣:٣٠	**توزيع المشاركين على فرق العمل**
	المحور الأوّل: "العنف الأُسريّ والطلابيّ والمجتمعيّ؛ الفقر، والبطالـــة، والتّهمـــيش، والإقصاء" (القاعة رقم ١) الرّئيس: **أ. هاني مصطفى** (مصر) الخبير الميسّر: **د. عماد صيام** (مصر) المقرّر: **أ. مروان المعايطة** (الأردنّ)
	المحور الثاني: "المخدِّرات والمُسكِّرات، والتّدخين، والأمراض الجنسيّة" (القاعة رقم ٢) الرّئيس: **أ. فتحي الفرغلي (مصر)** الخبير الميسّر: **د. ماجد موريس ابراهيم** (مصر) المقرّرة: **أة. رميلة مصطفى الأغبري** (اليمن)
	المحور الثّالث: "الصّحّة النّفسيّة، وثقافة الخوف" (القاعة رقم ٣) الرّئيس: **د. عاطف عضيبات** (الأردنّ) الخبير الميسّر: **د. ثروت اسحق** (مصر) المقرّرة: **أة. تقيّة النّجّار** (البحرين)
	المحور الرّابع: "التّمكين التّكنولوجيّ، وتوظيفه في محاربة العنف؛ أهمّيّـــة التّواصـــل والتّشبيك؛ التّوعية الإعلاميّة" (القاعة رقم ٤) الرّئيس: **د. محمود السرحان** (الأردنّ) الخبيرة الميسّرة: **دة. نائلة ابـــراهيم عمـــارة** (مصـــر) المقرّر: **د. وليد صادق** (مصر)
	المحور الخامس: "الشّباب والمواطنة: الهُويّة والثّقافة" (القاعة رقم ٥) الرّئيس: **د. عبد الوهّاب نورولي** (السّعوديّة) **[حتّى يوم الثلاثاء ١٢/١٤]** **د. مأمون نور الدّين (الأردنّ) [يوم الأربعاء ١٢/١٥]** الخبير الميسّر: **أ. محمود اسماعيل الخولي** (مصر) المقرّرة: **دة. عبير دويلة** (الكويت)
١٤:٠٠-١٦:٠٠	**استراحة غداء**
١٦:٠٠-١٨:٠٠	**متابعة اجتماعات فرق العمل حسب التّرتيب السّابق**

اليوم الثّاني: الثّلاثاء ٢٠١٠/١٢/١٤ (مكتبة الإسكندريّة)	
٩:٣٠–١٠:٠٠	متابعة اجتماعات فرق العمل
١٠:٣٠–١١:٠٠	استراحة قهوة وشاي
١١:٠٠–١٣:٣٠	Video Conference: سموّ الأمير الحسن بن طلال + المشاركين إدارة اللّقاء: السفيرة هاجر الإسلامبولي د. همام غَصِيب
١٤:٠٠–١٦:٠٠	استراحة غداء
١٦:٠٠–١٨:٠٠	عَرْض تجارب شبابيّة (القاعة رقم ١) الرئيس: د. مأمون نور الدّين (الأردنّ) جائزة الحسن للشباب: أة. سمر كلداني (الأردنّ) مكتبة الإسكندريّة: (شباب من أجل التغيير) ياسمين مصطفى (مصر) بسطة إبداع: محمّد راضي راجح عطا (فلسطين) مبادرة التنمية الشّبابيّة المجتمعيّة (نسيج): رميلة مصطفى الأغبري (اليمن)

اليوم الثّالث: الأربعاء ٢٠١٠/١٢/١٥ (مكتبة الإسكندريّة)	
٩:٣٠–١١:٠٠	اختتام اجتماعات فرق العمل حسب التّرتيب السّابق [+ كلمة وجيزة للدّكتور فاروق الباز/المحور الأوّل]
١١:٠٠–١١:٣٠	استراحة قهوة وشاي
	مائدة مستديـــرة (القاعة رقم ١) الرئيس: د. نصوح المجالي (الأردنّ) المقرّرون: أ. مروان المعايطة (الأردنّ)، أة رميلة مصطفى الأغبري (اليمن) أة. تقيّة النّجّار (البحرين)، د. وليد صادق (مصر) دة. عبير دويلة (الكويت) [تخلّلها كلمةٌ وجيزة للدّكتور اسماعيل سراج الدّين]
١٣:٠٠ – ١٣:٣٠	الجلسة الختاميّة (القاعة رقم ١) د. هُمام غَصِيب

ملحق (٣)

قائمة المشاركين

في مؤتمر «الشباب وظاهرة العنف»

مكتبة الإسكندريّة؛ ١٣-١٥ كانون الأوّل /ديسمبر ٢٠١٠

(ألفبائيًّا؛ مَعَ حفظ الألقاب)

	الأردنّ	
١-	**أريج عبد الكريم صافوطي**	طالبة جامعية
٢-	**أشرف الشنيكات**	رئيس منتدى أبناء البلقاء الثقافي
٣-	**حمدي الجريري**	محامي
٤-	**سامر الصالح**	
٥-	**سعيد نضال محمّد سعيد**	
٦-	**سمر كلداني**	مديرة جائزة الحسن للشباب والمستشارة الإقليميّة للجائزة الدّوليّة في الدّول العربيّة
٧-	**عاطف عضيبات**	مستشار وكبير الباحثين
٨-	**عليا بريزات**	
٩-	**فادي الكردي**	جائزة الحسن للشباب
١٠-	**الفهد سمير الحباشنة**	طالب جامعي
١١-	**لينا مطاوع**	طالبة جامعية/ جامعة البلقاء التطبيقية

١٢-	**مأمون نور الدّين**	وزير الشباب والرياضة الأردنيّ سابقًا
١٣-	**محمّد الحوامدة**	
١٤-	**محمّد الرقاد**	جامعة الدول العربيّة/ القاهرة
١٥-	**محمود السرحان**	مدير عام مركز القرية الكونيّة للدراسات والتدريب والاستشارات
١٦-	**مروان المعايطة**	محامي
١٧-	**منى مخامرة**	مستشار قانونيّة
١٨-	**مهند حمود عليمات**	طالب جامعي
١٩-	**نصوح المجالي**	عضو مجلس إداري المؤسسة الصحفية الأردنيّة جريدة «**الرأي**»، وزير سابق
٢٠-	**نور بنت علي**	المعهد الدبلوماسيّ الأردنيّ، وزارة الخارجيّة
٢١-	**ولاء العواملة**	الجمعية الخيرية الأردنيّة لرعاية الأحداث
	البحرين	
٢٢-	**أوّاب الشارقي**	جمعية التجديد الثقافية
٢٣-	**تقية النجار**	إعلاميّة، جمعية التجديد الثقافية
	السّعوديّة	
٢٤-	**الحسن نورولي**	
٢٥-	**عبد الوهّاب نورولي**	أُستاذ جامعي
٢٦-	**عبدالله الصالح العثيمين**	الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

فلسطين	
٢٧- **سراب خالد محمود قاسم**	
٢٨- **لبنى غانم**	
٢٩ **محمّد راضي راجح عطا**	مسؤول بسطة إبداع
عُمان	
٣٠- **سعيد محمّد الصقلاوي**	الرئيس التنفيذي/مكتب بيسان للاستشارات الهندسية عضو مجلس الأمناء في منتدى الفكر العربيّ
العراق	
٣١- **ڤيان شاكر**	جامعة مانشستر متروبوليتان/ بريطانيا
الكويت	
٣٢- **عبير دويلة**	أستاذ مساعد في أصول التربية/المعهد العاليّ للفنون الموسيقية وزارة التربيّة والتعليم
مصر	
٣٣- **إسماعيل سراج الدين**	مدير مكتبة الإسكندرية
٣٤- **أحمد سمير سيّد مهدي**	أُستاذ جامعي
٣٥- **أحمد شوقي رمضان**	شركة AGIT
٣٦- **أحمد عصمت**	مؤسسة الاسكندريّة للتنمية الثقافية والسياحية
٣٧- **أحمد عكاشة**	
٣٨- **أحمد ماهر محمود العشري**	

٣٩- **أحمد محمّد علي**	طالب جامعي/جامعة الاسكندريّة
٤٠- **أحمد منصور**	مدير العلاقات العامة/جامعة الاسكندرية
٤١- **أحمد هلباوي**	كلية الطب/جامعة الاسكندريّة
٤٢- **اسحق عزيز**	كلية الآداب/ جامعة عين شمس عضو منتدى حوار الثقافات بالهيئة القبطية الإنجيلية
٤٣- **أمل فوزي**	إعلاميّة/جريدة «**نصف الدنيا**»
٤٤- **آيات علي عبد العزيز**	باحثة سياسية/مركز معلومات ودعم اتخاذ القرار، مجلس الوزراء
٤٥- **إيثار الديواني**	
٤٦- **إيهاب سرور**	نائب رئيس المجلس المصري الأوروبيّ عضو مجلس الأمناء في منتدى الفكر العربيّ
٤٧- **بسنت أحمد فهمي**	مستشار بنك التمويل المصريّ السعوديّ
٤٨- **ثروت اسحق عبد الملك**	أُستاذ علم الاجتماع/جامعة عين شمس
٤٩- **جلال إبراهيم محمّد سمير**	
٥٠- **رجائي نصري جرجس**	منسق برامج لمنتدى حوار الثقافات الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية
٥١- **سوزان عادل محمّد زكي**	ناشطة في المجتمع المدنيّ في البيئة وثقافة السلام وتنمية الشباب
٥٢- **شدوة القاضي**	
٥٣- **شريدان ذو الفقار**	
٥٤- **شريف سليمان**	

٥٥-	**عبد الرحمن دغيش**	
٥٦-	**عبد العزيز فتحي**	
٥٧-	**علاء زكريا**	
٥٨-	**علي الدّين هلال**	عضو مجلس الشورى، وزير الشباب والرياضة الأسبق، أُستاذ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة
٥٩-	**عماد صيام**	باحث وخبير تنموي/ الأمانة العامة للمدارس الكاثوليكية
٦٠-	**فاروق الباز**	مدير مركز أبحاث الفضاء
٦١-	**فاطمة مصطفى أحمد**	المجلس المصري الأوروبيّ
٦٢-	**فتحي فرغلي**	رئيس اتحاد الكشافة والمرشدات
٦٣-	**كريم خشبة**	طالب دراسات عليا
٦٤-	**لبنى سعيد زكي**	باحثة سياسية/ مركز معلومات مجلس الوزراء
٦٥-	**ماجد موريس يوسف**	استشاري في الطب النفسي/المعهد الطبي القومي
٦٦-	**محمّد أبو شقرة**	
٦٧-	**محمّد أحمد الكسار**	رئيس قسم العلاقات العامة/المؤسسة المتحدة للخدمات الاجتماعية
٦٨-	**محمّد الحسين ابراهيم**	باحث سياسي/مركز معلومات رئاسة مجلس الوزراء المصريّ
٦٩-	**محمّد الحسيني**	
٧٠-	**محمّد الهندي**	جامعة الاسكندريّة

٧١-	**محمّد سامي**	إعلاميّ
٧٢-	**محمّد مبارك**	طبيب/ رابطة شباب الصفوة، مكتبة الاسكندريّة
٧٣-	**محمّد وهبي**	كلية العلوم/جامعة الاسكندريّة
٧٤-	**محمود الخولي**	مستشار رئيس مركز معلومات مجلس الوزراء المصري
٧٥-	**مصطفى خفاجي**	
٧٦-	**معتز سلامة**	باحث بمركز الدراسات الاستراتيجية صحيفة «**الأهرام**»
٧٧-	**منى الكيالي**	إعلاميّة
٧٨-	**منى علام**	إعلاميّة
٧٩-	**منير عامر**	إعلاميّ، رئيس تحرير فنون مصريّة «**روز اليوسف**»
٨٠-	**مها عبد الفتاح**	كاتبة وإعلاميّة
٨١-	**نائلة ابراهيم عمارة**	وكيل كلية الآداب جامعة حلوان
٨٢-	**ندى أيمن غانم**	باحثة سياسية/مركز معلومات رئاسة مجلس الوزراء المصريّ
٨٣-	**ندى محمّد حسن عبد المجيد**	طالبة جامعية
٨٤-	**نورة جمال**	طالبة جامعية
٨٥-	**هاجر الإسلامبولي**	سفيرة، مكتبة الاسكندريّة
٨٦-	**هالة ياقوت**	إعلاميّة/جريدة **عكاظ** السّعوديّة
٨٧-	**هاني خلاّف**	مساعد وزير الخارجية للشؤون العربيّة ومندوب مصر الأسبق لدى جامعة الدول العربيّة/ سفير سابق

٨٨-	**هاني مصطفى**	وزير مفوض ومدير إدارة الشباب والرياضة الأسبق/جامعة الدول العربيّة
٨٩-	**هشيم كامل**	منسق إقليمي للمنطقة العربيّة
٩٠-	**هدى الساعاتي**	إعلاميّة/جريدة «**الشروق**»
٩١-	**وليد صادق**	أُستاذ جامعي، مستشار اقتصاديّ بدولة قطر
٩٢-	**ياسمين مصطفى**	مكتبة الاسكندريّة، برنامج شباب من أجل التغير
٩٣-	**يسر بدير**	
٩٤-	**يسرية سلامة**	إعلاميّة/جريدة «**القبس**»
٩٥-	**يمنى عادل سطحية**	طالبة جامعية/ جامعة الاسكندريّة
	اليمن	
٩٦-	**رُميلة مصطفى الأغبري**	رئيسة البرلمان الشّبابيّ اليمنيّ

ملحق (٤)

من ألبوم المؤتمر (صور)

انتماء
1999
2000
2001
2002
2003
2004
2005
2006
2007
2008
2009
2010
2011
الدكتور
مامون نور الدين
روميلية مصطفى الاغبرى

ملحق (٥)

مطبوعات المنتدى

أولاً: سلسلة الحوارات العربية العالمية

١- *Europe and the Arab World* (بالإنجليزية والفرنسية)
تقرير الحوار العربي الأوروبي الأول، ١٩٨٢

٢- *America and the Middle East*
تقرير الحوار العربي الأمريكي الكندي، ١٩٨٣

٣- *Palestine, Fundamentalism and Liberalism*
تقرير الحوار مع الأحرار الدوليّين، ١٩٨٤

٤- *Europe and the Security of the Middle East*
تقرير الحوار العربي الأوروبي الثاني، ١٩٨٥

٥- **العرب والصين**
مداولات الحوار العربي الصيني حول الحاضر والمستقبل، ١٩٨٦

٦- **المقاومة المدنية في النضال السياسي**
مداولات ندوة اللاعنف في النضال السياسي، ١٩٨٦

٧- *Arab, Non-Violent Political Struggle in the Middle East*
المحرّرون: رالف كرو، وسعد الدين إبراهيم، وآخرون

٨- **ديجول والعرب**
مداولات ندوة شارل ديغول في ذكرى ميلاده المئة، ١٩٨٩
تحرير وتقديم: د. سعد الدين إبراهيم

٩- **العرب واليابان**
مداولات الحوار العربي الياباني الأول، ١٩٨٩

١٠- *Arab-German Relations in the Nineties*
مداولات الحوار العربي الألماني، ١٩٩١

١١- *Arab-Japanese Dialogue II*
مداولات الحوار العربي الياباني الثاني، ١٩٩١

١٢- *Arab-Japanese Dialogue III*
مداولات الحوار العربي الياباني الثالث، ١٩٩٢

١٣- *Arab Immigrants and Muslims in Europe*
الحوار العربي الأوروبي الخامس، ١٩٩٣

١٤- *Ethics in Economy: Euro-Arab Perspectives*
أخلاقيات الاقتصاد: بحوث ومناقشات ندوة فكرية، ١٩٩٣
١٥- **التنمية، السياسة الخارجية، الديمقراطية:**
ندوة عربية نمساوية، ١٩٩٥
١٦- *Euro-Arab Seminar 1995, Amman (1995)*
١٧- *Euro-Arab Seminar 1996, Vienna (1996)*
١٨- **العرب والأتراك: الاقتصاد والأمن الإقليمي**
بحوث ومناقشات ندوة ، ١٩٩٦
١٩- *The Arab World and Turkey*
٢٠- **دور المنظمات غير الحكومية في تطوير المجتمع الأهلي: أوروبا والأقطار العربية** بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٧
٢١- *The Role of NGOs in the Development of Civil Society: Europe and the Arab Countries*
٢٢- **الكلفة البشرية للنزاعات**
بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٨
٢٣- *Human Cost of Conflict*
٢٤- *WTO Trading System: Review and Reform*
٢٥- **التعاون العربي الإيراني: المحاور السياسية والاقتصادية والثقافية**
بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٩
٢٦- **آفاق العلاقات العربية الصينية في القرن الحادي والعشرين**
بحوث ومناقشات ندوة، ٢٠٠٢
٢٧- **العرب والصين: آفاق جديدة في الاقتصاد و السياسة**
بحوث ومناقشات ندوة، ٢٠٠٦

ثانيًا: سلسلة الحوارات العربيّة

١- **تجسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب**
تأليف: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٨٤
٢- **تجربة مجلس التعاون الخليجي: خطوة أو عقبة في طريق الوحدة العربية**
تأليف: أ. عبد الله بشارة، ١٩٨٥
٣- **التكنولوجيا المتقدمة وفرصة العرب الدخول في مضمارها**
مداولات ندوة، ١٩٨٦
٤- **العائدون من حقول النفط**
مداولات ندوة حول التعاون العربي في مجال العمالة، ١٩٨٦
٥- **الأمن الغذائي العربي**
مداولات ندوة، ١٩٨٦
٦- **القمر الصناعي العربي بين مشكلات الأرض وإمكانات الفضاء**
مداولات ندوة، ١٩٨٦
٧- **إمكانات واستخدامات الشبكة العربية للاتصالات الفضائية**
تأليف: د. محمد المقوسي، ١٩٨٦
٨- **تحديات الأمن القومي العربي في العقد القادم**
تأليف: د. علي الدين هلال، ١٩٨٦

٩- **التعلُّم عن بُعد**
مداولات ندوة «**التعلُّم عن بُعد والجامعة المفتوحة**»، ١٩٨٦

١٠- **الأرصدة والمديونية العربية للخارج**
مداولات ندوة «**السياسات البديلة لحماية الأرصدة ومواجهة المديونية**»، ١٩٨٧

١١- **العنف والسياسة في الوطن العربي**
مداولات ندوة، ١٩٨٧

١٢- **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي**
مداولات ندوة، ١٩٨٧ (طبعة ثانية ١٩٩٧)
تحرير وتقديم: د. سعد الدين إبراهيم

١٣- **الإنتلجنسيا العربية**
مداولات ندوة، ١٩٨٨

١٤- **الأزمة اللبنانية: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية**
مداولات ندوة، ١٩٨٨

١٥- **التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي**
مداولات ندوة، ١٩٨٩

١٦- **النظام الإنساني العالمي وحقوق الإنسان في الوطن العربي**
مداولات ندوة، ١٩٨٩

١٧- **آفاق التعاون العربي في التسعينات**
مداولات ندوة، ١٩٩١

١٨- **نحو تأسيس نظام عربي جديد**
مداولات ندوة، ١٩٩٢

١٩- **التنمية البشرية في الوطن العربي**
بحوث ومناقشات ندوة، ١٩٩٣

٢٠- **اتفاقية غزة - أريحا: الأبعاد الاقتصادية المحتملة**
مداولات ورشة عمل، ١٩٩٣

٢١- **الحرية الأكاديمية في الجامعات العربية**
مداولات ندوة فكرية، ١٩٩٤

٢٢- *Academic Freedom in Arab Universities*

٢٣- **الجامعات الخاصة في الدول العربية**
مداولات ندوة فكرية، ١٩٩٥

٢٤- **الغزو العراقي للكويت: الخبرات المستخلصة والخروج من الأزمة**
مداولات ندوة، ١٩٩٦

٢٥- **مواقف الفكر العربي من التغيرات الدولية: الديمقراطية والعولمة**
تأليف: د. علي أومليل، ١٩٩٨

٢٦- **التصوّر العربي للسلام**
مداولات ندوة، ١٩٩٧

٢٧- **تطوير البنية المالية التحتية في الوطن العربي**
تحرير: د. عبد الرحمن صبري، ١٩٩٩

٢٨- **النظام العربي ... إلى أين؟**
مداولات ندوة، ٢٠٠٠

٢٩- **أسواق النفط والمال ... إلى أين؟**
مداولات ندوة، ١٩٩٩

٣٠- **حل النزاعات العربية بالطرق السلمية**
مداولات ندوة، ١٩٩٩

٣١- **تطوير سياسات الطاقة الداخلية وعلاقتها بقطاع المياه في الوطن العربي**
مداولات ندوة، ٢٠٠٠

٣٢- *Domestic Energy Politcies in the Arab World*

٣٣- **آفاق التعاون العربي بين الإقليمية والعالمية**
مداولات ندوة، ٢٠٠١

٣٤- **الثقافة العربية الإسلامية: أمن وهوية**
مداولات ندوة، ٢٠٠٢

٣٥- **الخطاب العربي: المضمون والأسلوب**
مداولات ندوة، ٢٠٠٣

٣٦- **أسس تقدم الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين**
مداولات ندوة، ٢٠٠٣

٣٧- **الشباب العربي وتحديات المستقبل**
مداولات مؤتمر، ٢٠٠٤

٣٨- **الوسطيّة بين التّنظير والتّطبيق**
مداولات ندوة، ٢٠٠٥

٣٩- **الفكر العربيّ في عالم سريع التّغير**
مداولات ندوة، ٢٠٠٧

٤٠- **الشباب العربي في المهجر**
مداولات مؤتمر، ٢٠٠٧

٤١- **دولة السّلطة وسُلطة الدولة**
مداولات ندوة، ٢٠٠٧

٤٢- **المرأة العربيّة: آفاق المستقبل**
مداولات مؤتمر، ٢٠٠٨

٤٣- **المواطَنة في الوطن العربيّ**
مداولات ندوة، ٢٠٠٨

٤٤- **نحو تطوير مؤسسات العمل الشبابيّ العربيّ**
مداولات ندوة، ٢٠٠٨

٤٥- **القدس في الضمير**
مداولات ندوة، ٢٠٠٩

٤٦- **الأزمة الاقتصادية العالمية وتداعياتها في الوطن العربي**
مداولات ندوة، ٢٠٠٩

٤٧- **قضايا المياه: عربيًّا وإقليميًّا**
مداولات ندوة، ٢٠١٠

٤٨- **الشّباب وظاهرة العنف**
مداولات مؤتمر، ٢٠١٠

ثالثًا: سلسلة المترجمات العالميّة

١- **التصحّر**
تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية، ١٩٨٦

٢- **المجاعة**
تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية، ١٩٨٦

٣- **ثورة حفاة الأقدام**
تأليف: برتراند شنايدر/أمين عام نادي روما السابق، ١٩٨٧
ترجمة: منتدى الفكر العربي

٤- **أطفال الشوارع**
تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية، ١٩٨٧
ترجمة: منتدى الفكر العربي

رابعًا: سلسلة دراسات الوطن العربي

١- **المأزق العربي**
تحرير: د. لطفي الخولي، ١٩٨٦

٢- **تقرير حالة الأمة العربية في عام ١٩٨٨**

٣- **تقرير حالة الأمة العربية في عام ١٩٨٩**

٤- **الدولة القطرية وإمكانيات قيام دولة الوحدة العربية**
تحرير: د. فهد الفانك، ١٩٨٩

٥- **مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي**
تأليف: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٨٩

٦- كرّاس اتفاقية مجلس التعاون العربي (بالإنجليزية)، ١٩٨٩

٧- مصر والوطن العربي
تأليف: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٩٠

٨- العقل السياسي العربي
تأليف: د. محمد عابد الجابري

٩- التسوية: الشروط، والمضمون، والآثار
تأليف: د. غسان سلامة، ١٩٩٥

١٠- التنمية العربية: من قصور الماضي إلى هاجس المستقبل
تأليف: د. يوسف صايغ ، ١٩٩٦

١١- تحديات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا في الدول العربية
تأليف: د. فتح الله ولعلو، ١٩٩٦

١٢- القطاع الخاص ومستقبل التعاون العربي المشترك
تأليف: د. الشاذلي العياري، ١٩٩٦

١٣- التعليم العالي في البلدان العربية: السياسات والآفاق
مداولات ومناقشات ندوة فكرية، ١٩٩٥

خامسًا: سلسلة الدراسات والبحوث الاستراتيجيّة

١- السياسات التعليمية في وادي النيل والصومال وجيبوتي
تأليف: دة. أماني قنديل، ١٩٨٩

٢- السياسات التعليمية في المشرق العربي
تأليف: دة. سعاد خليل إسماعيل، ١٩٨٩

٣- مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم
تأليف: د. سعد الدين إبراهيم وآخرون، ١٩٨٩

٤- الأمية في الوطن العربي
تأليف: أ. هاشم أبو زيد، ١٩٨٩

٥- التعليم العالي في الوطن العربي
تأليف: د. صبحي القاسم، ١٩٩٠

٦- سياسات التعليم في دول المغرب العربي
تأليف: د. محمد عابد الجابري، ١٩٩٠

٧- سياسات التعليم في دول الخليج العربية
تأليف: د. محمد جواد رضا، ١٩٩٠

٨- **التربية العربية منذ ١٩٥٠: إنجازاتها ومشكلاتها وتحدياتها**
تأليف: د. ناثر سارة، ١٩٩٠

٩- **احتياجات الوطن العربي المستقبلية من القوى البشرية**
تأليف: د.أنطوان زحلان، ١٩٩٠

١٠- **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟**
تأليف: د. ضياء الدين زاهر، ١٩٩٠

١١- **تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين: الكارثة أو الأمل** (التقرير التلخيصي لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي)
تحرير وتقديم: د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٩١

سادسًا: سلسلة اللقاءات الشهريّة

١- **اللقاءات الشهرية لمنتدى الفكر العربي عام ٢٠٠٣ (٢٠٠٤)**

٢- **اللقاءات الشهرية لمنتدى الفكر العربي عام ٢٠٠٤ (٢٠٠٥)**

٣- **اللقاءات الشهريّة لمنتدى الفكر العربي عام ٢٠٠٥ (٢٠٠٦)**

٤- **بين الأقلمة والعولمة: آراء واجتهادات وحوارات في عالم مضطرب (٢٠٠٦)**

سابعًا: سلسلة دراسات المنتدى

١- **العمل العربي المشترك: آمال وعقبات ونتائج**
تأليف: د. محيي الدين سليمان المصري، ٢٠٠٤

٢- **المجتمع المدنيّ وتحوّلات الدّيمقراطيّة في الوطن العربيّ**
تأليف: د. الحبيب الجنحاني، ٢٠٠٦

٣- **الحُكم الاقتصادي العلمي والصدمة الارتدادية**
تأليف: أ.د. حميد الجميلي، ٢٠١٢

ثامنًا: سلسلة كراسات المنتدى

١- **ثلاث رسائل مفتوحة إلى الشباب العربي**
الحسن بن طلال، ط١؛ شباط/ فبراير ٢٠٠٥
ط٢؛ ١٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٨

٢- **حقائق عن النفط**
كمال القيسي، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥

٣- **قضايا شبابيّة**
د. محمود قطّام السّرحان، ط١؛ آذار/ مارس، ٢٠٠٦
ط٢؛ ١ تموز/يوليو ٢٠٠٨

٤- **التوثيق ما بين الموروث التّاريخيّ والواقع المعاصر**
د. سعد أبو ديّة، أيلول/ سبتمبر، ٢٠٠٦

٥- **شَـذرات شبابيّة**
أ.د. هُمام غَصِيب، ١ تمّوز/ يوليو ٢٠٠٨

٦- **حول المواطنة في الوطن العربيّ**
الحسن بن طلال، ٢٠ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٨

٧- **القدس في الضمير**
الحسن بن طلال، ط١؛ ١٥ شباط/فبراير ٢٠٠٩
ط٢؛ ١٠ تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠٠٩

٨- **سُبل النهوض بالبَحث العلميّ في الوطن العربيّ**
أ.د. هُمام غَصِيب، ٣٠ نيسان/ إبريل ٢٠٠٩

تاسعًا: سلسلة كتاب المنتدى

١- **الوسطيّة: أبعادٌ في التراث والمعاصرة**
إشراف وتقديم: الأمير الحسن بن طلال، ٢٠٠٦

٢- **الجدار الأخير: نظرات في الثقافة العربية**
تأليف: أ.د. صلاح جرّار، ٢٠٠٦

٣- **مرايا في الفكر المعاصر: حوارات مع نخبة من المفكرين العرب**
يوسف عبدالله محمود، ٢٠٠٧

٤- **اللغة العربيّة والإعلام وكُتَّاب النصّ**
مداولات ندوة، ٢٠٠٧

٥- **إدوارد سعيد: المثقّف الكونيّ**
مداولات ندوة، ٢٠٠٨

٦- **الثقافة وأزمة الهُويّة العربيّة**
أ.د. محمد عبد العزيز ربيع، ٢٠١٠

٧- **الحَداثة والحُرّيّة**
أ.د. الحبيب الجنحاني، ٢٠١٠

٨- **قضايا في الفكر والتفكير عند العرب**
أ. حسن سعيد الكرمي، ٢٠١٢

عاشرًا: إصدارات خاصة

١- **في الفكر العربيّ النّهضويّ**
الأمير الحسن بن طلال ولفيف من أعضاء المنتدى، ٢٠٠٦

٢- **استلهام ابن خلدون والفكر الاجتهادي**
أبو يعرب المرزوقي، ٢٠٠٧

٣- **شبابيّات**، ٢٠٠٨

٤- **استراتيجيّة عمل للسنوات الخمس المقبلة (٢٠١٠- ٢٠١٥)**

٥- **أزمة الفكر والهُويّة العربيّة وعلاقتها بالقصور التنمويّ**
أ.د. جورج قُرم

حادي عشر: الكشافات/نشرة ومجلة *المنتدى*

١- **الكشاف التراكمي للأعداد ١- ١٧١ (١٩٨٥-١٩٩٩) لنشرة *المنتدى***
إعداد: أمل محمد زاش (طبعة محدودة)

٢- *Al Muntada : Cumulative Index (Issues 1-30) Compiled by Amal M. Zash*

٣- **الكشاف السنوي للأعداد (١٧٢-١٨٣) لعام ٢٠٠٠**
إعداد: أمل محمد زاش (طبعة محدودة)

٤- *AL Muntada: Annual Index (31-34)*
إعداد: أمل محمد زاش (طبعة محدودة)

٥- **الكشاف السنوي للأعداد (١٨٤-١٩٥) لعام ٢٠٠١**
إعداد: أمل محمد زاش

٦- *Al Muntada: Annual Index (35 - 48) 2001*
إعداد: أمل محمد زاش

٧- **الكشاف السنوي للأعداد (١٩٦-٢٠٧) لعام ٢٠٠٢**
إعداد: أمل محمد زاش

٨- *Al Muntada: Annual Index (39-42) 2002*
إعداد: أمل محمد زاش

٩- **الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢٠٧-٣١٢) لعام ٢٠٠٣**

إعداد: أمل محمد زاش

١٠- **الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢١٤-٢١٩) لعام ٢٠٠٤**

إعداد: أمل محمد زاش

١١- **الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢٢٠-٢٢٥) لعام ٢٠٠٥**

إعداد: أمل محمد زاش

١٢- **الكشاف السنوي لمجلة المنتدى للأعداد (٢٢٦-٢٣١) لعام ٢٠٠٦**

إعداد: أمل محمد زاش